

مَنْسا
بنت مَركُوم
- رواية -
بدر رمضان
ساحر الكتب

# إهداء خاص ..

إلى صديقي المُقرب من عالم الجن؛ «بني النعمان» رجاء صغير:

«أظن أنني عملت معك الواجب في ثلاث روايات؛ أتمنى أن تحقق لي أمنيتي..»

عفوًا..

لا تصدقوا الإهداء فقد جاءني هكذا..

أقصد أن الجن لا يحققون الأماني، و«بني النعمان» ليس صديقي المفضل، لقد اتخذت صديقًا آخر ..

عفوًا مرة أخرى...

حسنًا سأخبرهم!!

لا تصدقوني؛ فأنا لا أعرف «بني النعمان» ولا قبيلته، وليس لديّ أي أصدقاء من العالم الآخر، وكل ما في الرواية من أحداثٍ لا يمتّ للواقع بصلة، وبذلك أكون قد أخليت مسؤوليتي..

«أتمنى تكون مبسوط معايا»

# الفصل الأول

يجلس داخل قاربه وقد هطلت الأمطار الشديدة يصحبها رياح قوية جعلت الأمواج كالجبال من حوله، ليتحرك القارب يمينًا ويسارًا بقوة كبيرة جعلته يشعر بالرعب مما يحدث فجأة ودون مقدمات!

ازدادت الأمواج اهتياجًا مع صوت الرعد والبرق في السماء لتزأر السحب من فوقه، ثم جاءت موجة عاتية اصطدمت في القارب ليتمسك بحوافه وهو يصرخ باستجداء ليأتيه صوتها الذي يعرفه جيدًا وهي تناديه:

- لا تخف يا كِنان لا تخف يا ولدي.

فتح عينيه بفزع لتتعالى دقات قلبه الهادرة، وصوتها ما زال يتردد في أذنيه، زفر بضيق وهو يردد بخفوت:

- من هذه؟! التي تصاحبني جميع أحلامي حتى كوابيسي.

نفض رأسه بعنف واغمض عينيه مرة اخرى وهو يطمئن نفسه أنه مجرد حُلم سيئ مثل غيره كما أخبره الشيخ الذي ذهب إليه يستجديه لينقذه من أحلامه.

وقف يفرد ذراعيه على آخرهما وهو يتثاءب والنُعاس يأبى أن يترك عينيه، تقدم نحو شرفته يزيح سَتائِرها وينظر للخارج نحو البحر الكبير المميز بثلاثة ألوان، دائمًا ما يسحره هذا البحر بجماله، تنفس بعمق وهو يستنشق الهواء المحمل برذاذ البحر المالح ليتذوق ملوحته بين شفتيه باستمتاع خاص،

دومًا كان يعتقد أن مثله مثل جميع الصيادين، فجميعهم يعشق البحر حد الجنون، لكن الوضع معه مختلف للغاية، هو يتنفس المياه!

لا يمر يوم دون أن يذهب للصيد لو لم يصاحبه أحد ومهما كانت سوء الأحوال الجوية، يلقبونه بـ»شمس المحيط»، نسبة لأكبر سمكة تم اصطيادها بواسطته في قريتهم منذ قرون.

شعر بالسعادة تغمره حين وجد يومه مشمسًا ونسائمه عليلة كما كان يتمنى، ابتسم بحبور فعليه أن يذهب سريعًا للصيد.

- يبدو أن اليوم هو يوم سعدي.

همس بها وهو يترك النافذة سريعًا، فمنذ أكثر من شهرين ورزقه قليل بسبب الجو البارد وهروب الاسماك لأقاصي البحار، تملكه النشاط ليُغير ثيابه ويتناول قهوته على عجل وهو متحمس للغاية، يرسُم بعقله مئات السيناريوهات المبهجة وهو يرتشف قهوته بلذة، أولها أنه سيتعمق لنقطة بعيدة جدًا في عرض البحر حتى يصطاد منها أكبر سمكة سيحصل عليها يومًا، ليعوض أشهر الكساد الذي عاشها بسبب سوء الأحوال الجوية، وآخر أحلامه وأهمها كانت حبيبته «لياء» التي حين يعود سيتزوجها أخيرًا بعد أن يحصل على المال الكافي لشراء أثاث الزوجية، وحينها سيكون قد أكمل عامه الخامس والثلاثين.

انتهى من استرساله وهو على باب غرفته التي تطل على البحر الذي لا تبتعد عنه سوى مسافة انتهاء الرمال، وضع فنجان قهوته وألقى نظرة أخيرة على الغرفة التي عن قريب سوف تتزين بوجه

حبيبته التي تتفوق بجمالها عن القمر كما يغازلها دومًا.

ابتسم وهو يتخيلها بوجنتيها الحمراويتين من الخجل وهو يقبلها بنهم، أغلق الباب خلفه وتوكل على الله، حمل شباكه العاتية بصعوبة بالغه لكنه تحامل على نفسه ورفعها بمفرده وهو يشعر بالسعادة.

انفرجت أساريره وهو يرى البحر فارغًا من الصيادين الذين يعيشون معه على نفس الساحل، يبدو أنهم يئسوا من تحسن الأحوال الجوية فقرروا أن يؤجلوا خروجهم قرب الظهيرة.

اقترب من قاربه وأزاح المرساة لينطلق في رحلة صيده؛ لكنه لم ينسَ أن يودع حبيبته ويعدُها أنه حين يعود ستكون له، عاد للشاطئ مرة أخرى وخطى نحو بيتها بخطوات هادئة ثم قام بعدة طرقات على نافذتها تحفظها هي عن ظهر قلب،

استيقظت بحنق لتزيح غطائها وهي تتأفف لتجري نحو نافذتها تلتفت خلفها خائفة من أن يسمع ابيها الطرقات،

فتحت الزجاج وهي تبتسم ليُقابلها هو بنظرات حب خالص قائلًا:

- الجو رائع اليوم سأذهب للصيد وحين أعود سنتزوج على الفور.

هزت رأسها بإيجاب وهي ما زالت ترسم ابتسامةً حالمةً على وجهها، ودعها وعاد بظهره عدة خطوات ونظره ما زال معلقًا بها، أشارت له وداعًا وأشار لها هو بقُبلة هوائية أخرجها من صميم قلبه وهو يتنهد ويحلُم باليوم الذي سيمتلكها به.

اعتلى قاربه بعدما دفعه نحو المياه بقوة وبأقصى سرعة ليبدأ

الإبحار وهو يوجه القارب نحو عرض البحر، وبتركيز شديد وضع كفه على جبهته يحاول تجنب ضوء الشمس الساطع ثم ضيق عينيه وهو يتطلع نحو الشاطئ ليلتفت جهة البحر مرة أخرى وهو يبتسم، ليدير موتوره على أقصى سرعه وهو يتمتم:

-لم أبتعد بشكل كافٍ!

مر النهار بأكمله وانتصفت الشمس في كبد السماء فأوقف موتور القارب في أبعد نقطة عن الشاطئ وصل إليها يومًا، ثم نظر بابتسامة عذبة للبحر الذي يحاوطه من الجهات الأربع، تنهد براحة وهو ينظر لأمواجه وهي تتهادى على صفحة المياه، كم يعشق الماء أكثر من أي شيء آخر، تمتم بسعادة:

-نعم؛ هكذا ما عدت أرى الشاطئ.. ستكون الأسماك هنا كبيرة جدًا.

رمى شباكه بإتقان وجلس في قاربه متربعًا ينتظر أن تُعلن الشباك احتواءها على رزقه اليوم، أخرج جهاز التسجيل الخاص به فهو ملاصق له أينما ذهب، لقد وعد حبيبته أنه سيُغني لها في كل رحلة صيد، وحين يكتمل الشريط التسجيلي سيُهديه لها يوم زفافهما، تنهد بعشق، وبدأ يغني بصوته العذب الملائكي آخر أغنية في الشريط.

«علمني حبكِ أشياء ما كانت أبدًا في الحسبان

فقرأت أقاصيص الأطفال دخلت قصور ملوك الجان

وحلمت بأن تتزوجني بنت السلطان

تلك لعيناها أصفى من ماء الخلجان

تلك أشفتاها أشهى من زهر الرمان

وحلمت بأني أخطفها مثل الفرسان

وحلمت بأني أهديها أطواق اللؤلؤ والمرجان

علمني حبك يا سيدتي ما لهذيان

علمني كيف يمر العمر ولا تأتي بنت السلطان».

توقف عن الغناء والدهشة تعلو ملامح وجهه، أغلق جهازه ووقف مرتعبًا وهو يرى البحر الذي كان هادئًا منذ ثوانٍ انقلب رأسًا على عقب وأمواجه صارت تعلو عن الطبيعي!

نظر للسماء التي كانت صافية منذ لحظات والشمس ساطعة تدفئه وهو يتغنى لحبيبته، ليجدها امتلأت بالسحب والغمام وصار البرق يخطف الأبصار!

تذكر كابوسه الليلة الماضية لتجحظ عيناه بفزع وفي حال دهشته مما حدث انتبه إلى تحرك القارب يمينًا ويسارًا بقوة وأمواج البحر تكاد تبتلعه!

تمسك بحواف القارب، وظل يردد بصراخ وفزع:

- يا إلهي أجرني يا إلهي! ما الذي يحدث؟!

حاول على عجل أن يلم شباكه ويحاول الهروب من هذه الأمواج؛ لكنها دائمًا تأتي بما لم تشتهيه السفن!

مجرد أن لمس الشبك وجد أحدهم يُمسك بكفه ويجره نحو قاع البحر بغتة!

وفي ثواني عاد كل شيء كما كان ليعتدل القارب وتسطع الشمس من جديد وتعود صفحة المياه تتراقص ببطء!

*****

في قصر الملك طوطيائيل:

وقفت تَحني رأسها وترجوه:

- أرجوك يا أبي اعفو عنه.

ثم رفعت رأسها واقتربت من عرشه تجلس على ركبتيها قائلة:

- هو لا يعرف أن هذه منطقتنا ولا يجوز تواجده فيها، أقسم لك أنه لا يعرف!

وقف الملك غاضبًا بشده قائلًا بصوت يهز الأرجاء:

- قلت لك لن تتزوجيه يا منسا.

وقفت تُمسك بكفه ودموعها تنهمر على وجنتيها:

-حسنًا يا أبي لن أتزوجه؛ لكن أرجوك لا تقتله اتركه يعيش.

رق قلبه لابنته الصغيرة التي بالكاد خرجت من سن الطفولة وهو يعلم جيدًا مدى حبها وتعلقها بهذا الأنسي بالذات.

لكنه سيُعاني حتمًا إن أخل بقانون هو وضعه بيده للحفاظ على

مملكتهم من الزواج بأي جني من نوع آخر، فكيف سيكون الوضع لو تزوجت ابنته من إنسي!

حاول أن يتكلم فأوقفته وهي تُقبل يديه، وقد تجمع حزن العالم بعينيها، فبرغم كل شيء لم يستطع أن يفطر قلب هذه الفتاة المتبقية له بعد أن هربت أختها الكبرى، فلم يعد له غيرها ويجب عليه أن يُساندها، أشار برأسه موافقًا، فتعلقت في رقبته بمرح طفولي وهي تحرك ذيلها في الماء بسعادة قائلة:

- لن أنسى معروفك أبدًا يا أبي.

هي تعرف جيدًا أن والدها لا يعود في قراره أبدًا خاصة لو هذا القرار مُتعلق بقانونٍ وضعه!

قبلته في وجنته وتركته مبتسمًا لتذهب، فأوقفها قائلًا:

- ما زلت عند رأيي لن تتزوجيه يا منسا ولن يعود لوطنه سيُسجن هنا حتى حين!

جلس على عرشه مرة أخرى وأشار لها بسبابته:

- أمامك ساعة ليفهم فيها أين هو، ولماذا سيُسجن بعد تخفيف العقوبة من القتل!

أحنت رأسها بألم؛ لكنها لم تفقد الأمل بعد، طالما سيظل حيًا فكل مشكلة ولها حل!

*****

حاول أن يشُد يده بكل قوة يملُكها وهو يتحرك بعنف داخل

المياه مقاومًا دخول المياه المالحة في أنفه وفمه، حاول فتح عينيه ليرى من يجره لكن للأسف قاع البحر ظلام دامس لا يُرى فيه شيء!

أراد سحب يده الأخرى أو حتى رفعها ليضعها على فمه وأنفه؛ لكنه لم يستطع وكأن أحدهم وضع قيدًا أو سوارًا من حديد بمعصمه فلم يقدر حتى على تحريكها!

بدأ الهواء ينفد من رئتيه وهو ما زال يقاوم حتى استسلم في النهاية، وقبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة سمع صوتها تهدر بهم:

- بأمر الأميرة منسا خذوه لغرفتي حالًا.

بعد مرور عدة دقائق ذهبوا بها للعالم الآخر، جاءه صوتها ثانية وهي تطمئنه:

-لا تخف يا ولدي سأعثر عليك.

حاول أن يفتح عينيه لكنه لم يستطع كأنه تائه في مكان سحيق.

لحظات مرت وهو يقاوم ملوحة المياه في أنفه الذي يشتعل من أثر السائل الذي بداخله، شعر ببضع قطرات من المياه تضرب وجهه، فاختض جسده على إثرها، وفتح عينيه بعدما استعاد وعيه فلم يجد أحدًا أمامه، ظن لوهلة أنه مات وهو الآن ينتظر الحساب!!

اعتدل بفزع في جلسته قائلًا والرعب يدب في أوصاله:

-أين أنا؟!

نظرات خاطفة للغرفة جعلته يدرك أنه في مكان لا يمت للكرة الأرضية بصلة!

غرفة مصنوعة من الزجاج الخالص، والبحر يحيطها من كل جانب، خالية من الأثاث سوى السرير الذي ينام عليه.

ضم حاجبيه عندما وجد منضدة للزينة تعلوها مرايا من زجاج يشبه البلور، فرك عينيه بقوة يكاد يجزم أنه ما زال يحلُم، صوت بجواره أفزعه وهو يقول:

-أنت تعديت علي أرضنا، ويجب أن نحكم عليك بالموت!!

ارتعدت فرائصه وهو يحاول الوقوف ليبحث عن مصدر الصوت، فأصابته الصدمة وهو يرى الأسماك تعوم تحت قدميه لا يفصل بينهما سوى زجاج من خامة الأركان نفسها!

صرخ بهم قائلًا:

-أين أنا؟ أجبوني!

فلم يسمع ردًا! خطى نحو ركن من الغرفة وظل يتحسس الزجاج بحذر واندهاش يكاد يُخرج عينيه من محجريهما، بدأ في الدوران حول نفسه وهو يتحسس جسده ليتأكد أنه حي، ثم نظر لانعكاسه في المرآة ليرى وجهه الشاحب وملابسه التي ما زالت تُقطر بالماء!

انقبض قلبه وفكرة واحدة تسيطر عليه، لن يحظى بحبيبته، ولن يتزوجها، ومؤكد سيموت في هذا المكان الغريب!

*****

ابتعدت عن مملكة أبيها القاطنة تحت سطح الماء، وذهبت نحو منزلها الذي يبعُد بمسافة كافية عن المملكة بأكملها، اقتربت من فتحة في البيت من أسفل لتدلف داخل المنزل بهدوء وبطء، ثم أغلقت الفتحة خلفها بحذر كي لا يسمعها أحد.

فقدت ذيلها بمجرد خروجها من الماء لتكتسب ساقين غاية في الجمال، التقطت فستانًا من خزانتها ترتديه وقلبها يقرع داخل صدرها، فهذه فرصتها ستقترب منه وتحاول أن تجعله يحبها.

غيرتها الشديدة عليه عندما رأت هذه الفتاة صباحًا تُلوح له وعيناه تتعلقان بشفتيها ليرسل لها قُبلة يحملها الهواء وهو يشير لقلبه، جعلتها توسوس له أن يقترب أكثر من مملكتهم، وهي تعرف جيدًا أن جنود الملك سيحتجزونه على الفور؛ لكن ما الضرر من سجنه ما دام سيبقى أمام عينيها وبقربها!

أغمضت عينيها وتنفست عدة أنفاس تقاوم بها توترها، ثم اقتربت من باب الغرفة تفتحه ببطء، ومدت رأسها تطل عليه لتجده جالسًا على أرضية الغرفة مطأطأ رأسه واضعًا كفيه على جبهته بحسرة!

نبضات قلبها تسارعت وحزنت من رؤيته هكذا، خطت بثبات نحوه ووضعت كفها على يده ليفزع هو مِن رؤيتها وينتفض قائمًا، يعود للخلف حتى التصق بجدارها الزجاجي قائلًا بحنق شديد وحيرة تُغلف ملامحه:

-ما الذي جاء بك إلى هنا؟!

تنهدت بألم وهي تُحدث نفسها:

«إلى متى سيظل يرفضني؟! وإلى متى ستظلين على عشقه يا منسا؟!».

فتحت عينيها ببطء لتجده ما زال واقفًا على حالته ملتصقًا بالجدار جاحظ العينين غاضبًا من رؤيتها!

انعقد لسانها فلم تستطع الرد عليه، ليبدأ هو في نوبة غضب يصرخ بها:

-أنا أعرف الآن من جاء بي إلى هنا!

استمر في الدوران حول نفسه يضرب كفيه من الغيظ متمتمًا:

-كنتُ واثقًا أنك لن تستسلمي بسهولة، فتاة ملعونة مثلك لن تتركني في حالي لأتزوج مَن أحبُها.

بدأت بالصراخ عند لفظ «أحبُها» لتقول وهي تصك أسنانها:

-لا تقل أحبها.

اقترب منها يضيق عينيه بتحدٍ:

-أحبُها لا بل أعشقها وإن لم أتزوجها لن ألمس أحدًاغيرها حتى لو أمرتي بقتلي!

شعرت بنيران قلبها تتصاعد وصارت أطرافها تحترق من الغضب؛ لكنها تنفست عدة مرات ببطء حتى تهدأ قليلًا وبعد عدة ثوانٍ هدأ جسدها المشتعل وهو ينظر إلى عينيها التي ما زالتا تُشعان

بالنيران بثبات وهو غير مُبالٍ.

حاولت أن تبدو طبيعية، لكنها تشعر بوهن من مشاعر تُكنها له، وهو لا يشعر بجزء بسيط منها، فتحاملت على نفسها قائلة له:

-لن أكرر كلمات عشق قلتها لك مرارًا وتكرارًا، لكنني سأخبرك أمرًا واحدًا من تعشقها هذا العشق تخونك مع أحد الصيادين.

صفعة على وجهها كانت ردة فعله على ادعاءاتها، التي إن رآها بأم عينيه لن يصدقها!

دموعها ظلت تتساقط بصمت وهي تسمعه يسبها بأبشع الصفات ويلعنها بأشد اللعنات، تركته يصرخ بها برغم أنها تستطيع أن تكسر يده التي صفعها بها بمجرد لمسه ودون مجهود يُذكر، لكنها لم تفعل بل استدارت عائدة لغرفتها بهدوء، بعد أن تمزق قلبها من رفضه الدائم لها.

تركته مازال يزبُد ويلعن ويُفرغ شحنات غضبه في الجدران الزجاجية ولا يستطيع وأد بذرة الشك التي ذرعتها به تلك المجنونة، افترش الأرض بعدما خارت قواه ليُعيد ما حدث في ذاكرته تلك الليلة الغابرة، ثلاثة شهور مرت وكأنها سنوات طوال!

اللعنة على الثوب فهو سبب كل المصائب!

«كان يجلس في غرفته بعد منتصف الليل يدندن بصوته العذب، حتى التمعت فكرة في عقله خرج مسرعًا لينفذها، وعند خروجه من المنزل رأى خيالًا لثلاثة أشخاص يقفون على الشاطئ، نظر في ساعة يده وجدها قد تجاوزت منتصف الليل!

اقترب منهم على مهل ليجد صديقَ عمره يقف مع فتاتين، إحداهما زوجته والأخرى لم يرها من قبل، دهشته تحولت لصدمة عندما رأى الفتاة تقف على ذيلها داخل الماء! توقف قليلًا لتزيد دهشته أضعافًا وهو يرى أنها بساقين مثل البشر وكل ساق تحوي ذيلًا بدلًا من القدم!

حاول أن يعود سريعًا فأشارت الفتاة لصديقه فلتفت نحوه ليجده عائدًا، ركض خلفه ووقف أمامه يترجاه بالقول:

-أرجوك «كنان» لا تُخبر أحدًا عما رأيته.

اكتفى بإيماءة من رأسه وهو يرمق هذه الحورية بطرف عينيه، وشعور بالخوف والقلق انتاباه حين أخبره صديقه:

-تعالى معي أُعرفك عليهما.

هز رأسه رفضًا فأصر الآخر:

-لقد كنا نتحدث عنك منذ قليل.

ضم حاجبيه وقلقه يتزايد ليرفض عرضه مرة أخرى بإصرار، ويخبره أنه يجب عليه أن يعود للمنزل.

لقد سمع قصصًا كثيرة عن عروس البحر أو جنيات الماء من جميع الصيادين؛ لكنه لم يرَ أحدًا منهن من قبل ولا يريد المجازفة بالوقوف مع إحدهن، حاول المغادرة فوجدها وزوجة صديقه يقفان أمامه!

زاغت عيناه ناحية الذيل الذي كان يراه منذ قليل فلم يجده!

رفع وجهه بدهشة ينظر إليهم فوجد صديقه يبتسم، وقد فطن تعجبه ثم أخبره وما زالت ابتسامته تُزين ثغره:

-يختفي الذيل بمجرد أن تخرج من الماء.

لم يُعقب على حديثه واكتفى بالصمت، حتى يعرف ما حكاية صديقه وزوجته مع هذه الجنية، والعجيب في الأمر أن الفتاتين لا يشبهان بعضهما، هناك شيء مختلف بالأخت الكبرى!

تنهدت «منسا» وهي تنظر لعينيه وقلبها يكاد يقفز من صدرها وهي تراه قريبًا منها هكذا.

صوته الملائكي سحرها فجعلها تهيم به وتنتظر كل مساء حتى يخلو الشاطئ من المارة، لتخرج هي من الماء وتنطلق نحو منزله، تتلصص من تحت نافذته حتى تسمعه وهو يُغني ويدندن كعادته كل ليلة وحين يتوقف لينام تعود إلى البحر وهي منتشية وسعيدة وأمنيتها الوحيدة أن تقف أمامه يومًا وتتحدث معه مثل اليوم!

شعرت «چيا» بقلب أختها الذي يهدر بصوت مرتفع لا يسمعه سواها، مما جعلها تنظر نحو «كِنان» قائلة:

-لقد أخبرنا صديقك عن مدى أخلاقك الحسنة، وأنك أقرب صديق له، ولذلك سأثق بك كما فعل هو وأُعرفك بنا.

أشارت بيدها لأختها الصغرى قائلة:

-هذه أختي «منسا» يا «كِنان» وما لم تعرفه من قبل أننا ابنتا الملك طوطيائيل ملك من ملوك الجن المائي!

جحظت عيناه بذهول جعله ينظر لصديقه الذي بدا مرتبكًا من اعتراف زوجته؛ لكنه أعاد نظره لـ«چيا» التي أكملت بهدوء:

-لقد هربت من أبي لأتزوج صديقك «راجح» وأختي تزورني دائمًا دون معرفة أبي أو أي أحد من المملكة، لأنهم لو عرفوا الأمر سيقتلون «راجح» ويُعدونني للمملكة، أرجوك لا تُخبر أحدًا بحقيقتي.

تذكر حينها رحلات الصيد الجماعية مع صديقه وباقي الصيادين، وكل صياد زوجته تودعه على الشاطئ إلا راجح، فقد كانت تقف في شرفة بيتها بعيدًا عن الشاطئ ولا تقرب المياه أبدًا أمام الناس.

شعر أنه يجب عليه طمأنتُهما، فأجابها بصدق:

-لا تقلقي «چيا» لن أُفشي سركما.

ثم التفت ليعود إلى بيته فغمزت «چيا» لأختها تدفعها لتركض خلفه، وتحدثه بمشاعرها.

عاد «كِنان» من رحلته إلى الماضي القريب على صوت باب الغرفة ينفتح على مصرعيه، ارتعد جسده حين رأى رجلًا طوله يُقارب الثلاث أمتار، وخلفه جنود يماثلونه في الطول، وقف «كِنان» بذعر ليتكلم القائد بصوت جهوري آمرًا:

-هيا يا رجل لقد حان وقت حبسك.

*****

# الفصل الثاني

انتفض «كنان» فزعًا:

-لماذا تريدون سجني؟ أنا لم أفعل شيئًا؟!

أجابه القائد بنفاد صبر:

-لقد أخبرتك سابقًا أنك تجاوزت حدودك المسموح بها، وجئت متعديًا على منطقتنا.

رجع للخلف مذعورًا ليصطدم بالحائط خلفه، فأشار القائد لاثنين من جنوده ليُمسكوا به، هدر بهم «كنان» عندما أمسك به الاثنان كلٌّ من ذراع ليتبعوا القائد الذي تقدمهم متجاهلين صراخه بهم أن يتركوه، حتى قال لهم بثقة:

-خذني للملك فأنا أعرف مكان ابنته الهاربة.

التفت له القائد وهو يُضيِّق عينيه ثم انحنى يتفحصه بتدقيق، فاربتك «كنان» قليلًا لكنه تدارك أمره وهو يتجنب النظر لعيني القائد الغريبتين ليطلب منه أن ينظر نحوه وهو يحذره قائلًا:

-هل تعرف أن الملك لو اكتشف كذبك سيكون الموت أهون عليك مما ستُعانيه؟

هز رأسه موافقًا وقد تجمعت قطرات العرق على جبينه؛ لكنه أجاب بثبات:

-وأنا سأتحمل العواقب، فقط خذني إليه.

أشار القائد للحرس أن يذهبوا ويتركوهم، ثم بدل مساره لاتجاه آخر وهو يُشير لـ»كنان» أن يتبعه لقصر الملك.

ضم حاجبيه بدهشة وهو يسير خلف القائد في كهف ضيق، بالكاد يرى أمامه في هذه العتمة، رفع يداه يتحسس جدران الكهف ليحمي نفسه من أن يتعثر في حجر أو ما شابه.

ثم سأله بصوت ضعيف وهو يُضيّق عينيه يحاول الرؤية أمامه:

-ما هذا المكان العجيب؟ وأين نحن؟

أجابه القائد وهو ما زال يخطو خطوات واسعة، و»كنان» يكاد يركض خلفه كي لا يُضيعه:

-نحن تحت سطح البحر بمئات الأمتار.

لم يحاول أن يسأله مرة أخرى عما يدور بعقله من أسئلة لا إجابة لها، مثل كيف هم تحت سطح الماء ولا يوجد ماء في هذا الكهف المظلم؟! ولماذا أشار للحرس أن ينصرفوا بعيدًا ولم يأتوا معهما؟ هل قصر الملك سر من أسرارهم؟!

اكتفى بما قاله له القائد وآثر ألا يعرف شيئًا آخر قد يجعل حياته الثمن، فالتزم الصمت وهو ينظر لموضع قدميه وقد بدأ الخوف يتملك منه، عندما طال سيرهم في هذا الكهف الذي لا ينتهي!

مرت عدة دقائق أخرى جعلته يتوتر، وقبل أن يسأله كم بقي لنا من الوقت وجد نفسه خارج الكهف، نظر حوله فلم يرَ شيئًا سوى ضباب يغطي كل شيء، انقبض قلبه داخل صدره، وبدأ في ثني قبضته وفردها بتوتر بالغ، حتى وقف القائد أمام باب عريق

وقديم قدره «كنان» بملايين السنين لزخرفته الغامضة وحجمه الذي يقدر بأضعاف أضعاف حجم كل الأبواب التي رأها في حياته!

ضيق عينيه بتركيز في محاولة يائسة لقراءة الكلمات المكتوبة على الباب بحروف مبعثرة غير متشابكة، شعر بشيء مألوف في هذه الحروف، وكأنه رأها من قبل؛ لكنه تجاهل الأمر حين فتح القائد باب القصر ثم دعاه للدخول.

بدأ في الدوران حول نفسه يحاول استيعاب ما يراه بأم عينه! سقف كي يراه بتمعن يجب عليه أن يصعد على درج بطول خمسة أمتار.

أحنى رأسه لينظر إلى موضع قدميه، فوجد أرضية من المرمر الأبيض النقي ليس بها شائبة يرى فيها نفسه كمرآة لم تمسها يد وكأن لا أحد يطأ بقدميه عليها!

نظر حوله فوجد أعمدة من اللؤلؤ المضيء على جانبي المدخل الكبير تصل إلى السقف تُداعبه بنقائها، ضم حاجبيه بتعجبٍ هو لا يرى أساسًا، يقف عليه هذا القصر وكأنه طائر في الهواء!

انتفض حين أتاه صوت القائد قائلًا:

-كفاك حملقة في القصر، وانتظر هنا حتى استأذن الملك بدخولك.

لم يُعيره أي اهتمام وهو ما زال على وقفته المشدوهة فاغرًا فاه، يتأمل هذا الجمال الخالص، وكأنه سقط في حكاية من حكايات ألف ليلة وليله.

خرج القائد بعد لحظات وبصوته الجهوري أمره بالدخول، تنحنح «كنان» بخجل وهو يدخل غرفة الملك ليكتشف أن ما كان يراه بدهشة وإعجاب في الخارج لم يكن إلا مدخلًا للقصر!!!

لم يستطع التأمل كثيرًا في الغرفة التي أقل ما يُقال عنها إنها قطعة من الجنة، بسبب صوت الملك الذي هز أركان الغرفة وهو يقول:

-أخبرني القائد أنك تعرف مكان ابنتي الكبرى.

أومأ برأسه وأنفاسه تتسارع بخوف من هيبة الملك أمامه، فهذه المرة الأولى التي يرى فيها الملك الذي حكى له صديقه عنه وعن كرهه لجنس بني آدم.

علا صوت الملك بغضب:

-هيا تكلم أيها الإنسي أين مكان ابنتي؟ وإلا أمرت بقتلك في الحال.

حاول التماسك أمامه وهو ما زال يرتعد بداخله لكنه أجاب بثبات:

-لي شروط حتى أخبرك بمكانها.

اكفهر وجه الملك غضبًا وقبل أن يتكلم مرة أخرى دخلت «منسا» مسرعة تقف خلف أبيها وهي تبكي بصمت وتهز رأسها يمينًا ويسارًا تترجاه أن لا يخبره بمكانهما فهي تعرف أن أباها سيقتل زوج أختها.

حوَّل وجهه عنها كي لا يراها، ونظر للملك الذي قال له بغضب:

-لا أحد يشترط على ملك البحار أيها الإنسي، أستطيع أن أقتلك الآن إذا لم تتحدث.

رسم «كنان» ابتسامة على وجهه برغم رعبه الذي يسيطر عليه، ودقات قلبه التي تسارعت ليقول له بثقة لا يمتلكها حقًّا:

-حسنًا اقتلني الآن ولن تعرف مكان ابنتك أبدًا.

تراجع صوت الملك ليُصبح أقل حدة رغم حنقه الشديد من هذا الإنسي:

-أخبرني ماذا تريد؟!

اعتدل في وقفته متجاهلًا «منسا» التي تشير إليه من خلف والدها:

-أولًا أريد أن أعود لدياري، ثانيًا يجب أن تعدُني أنك لن تؤذيها هي وزوجها.

انتفض الملك واقفًا بغضب حتى كاد أن يُحطم القصر بصياحه:

-لقد تزوجت ابنتي من إنسي وخالفت أوامري، وأنت تريد مني أن لا أؤذيه؟!

وضع «كنان» يده على أذنه التي كاد أن يفقدها من صوت الملك، لتجحظ عيناه برعب عندما وجد الحرس يلتفون حول الملك!

حاولت «منسا» أن تتدخل وتُهدأ أباها لكن لا فائدة، شعر «كنان»

أنه أخطأ لكن بعد فوات الأوان!

وقف الملك بطوله وحضوره المَهيب أمام كنان قائلًا:

-أرشدني لمكانها ولن أسجنك.

ثم انحنى ليقترب من أذنه وهو يُكمل:

-وسأصرف لك مكافأة ستجعلك أغنى أغنياء بلدتك.

رفع «كنان» رأسه عاليًا كي يستطيع رؤيته، وبشجاعة يُحسد عليها قال له:

-لن أتنازل عن شرطي، يجب عليك أن تعدُني أنك لن تمسهما بأذى.

حاول الملك أن يسيطر على غضبه من هذا الإنسي الوقح الذي يجازف بحياته كي يشترط عليه، لكنه فكر قليلًا ووجد أنه لا يستطيع إلا أن يُسايره حتى يعرف مكان ابنته، وحينها سيجعلها تعود للمملكة، وسيُعاقب زوجها أشد العقاب لتجرؤه على الزواج بابنة ملك البحار دون رضاه!

ظلا يناطحان بعضهما البعض بالنظرات، ولم يشعر أحد منهم باختفاء «منسا» حتى قال الملك:

-أعدك يا فتى.

أصر «كنان» على أن يؤكد وعده:

-قل باقي الكلمات مولاي الملك.

فطِن الملك على الفور أن هذا المسمى «كنان» رجل مختلف عن بني جنسه، فذكاؤه لامع وملحوظ؛ لكنه من المؤكد لن يصل لما يفكر به.

لكنه أجابه بقلة حيلة أشعرت «كنان» أنه انتصر عليه:

-أعدك أنني لن أمسهما بسوء.

تنهد «كنان» براحة ثم قال له:

-حسنًا اتبعني.

خطى خارج القصر ثم توقف يلتفت نحو الملك قائلًا:

-أخرجني من هنا وأعدني حيث كنت.

هز الملك رأسه بالموافقة، ثم استدار يبحث بعينيه عن من كانت تقف خلفه لكنه تعجب حين لم يجدها!

بينما تجاهل «كنان» الأمر ولم يهتم حتى بالسؤال عنها، ووقف خلف الملك وهو يفكر كيف سيصعد مئات الأمتار من تحت سطح البحر، دون أن يموت غرقًا! لكنه انتبه أنه نزل بنفس الطريقة ولم يمت، مؤكد هناك طريقه ما!

وقبل أن يُكمل استرساله بالتفكير أمسك الملك بكفه وهو يخرج من باب القصر، وفي لحظات كان في قاربه قبل أن يشعر حتى بالماء يتخلل ملابسه!

وقعت عيناه على جهاز المُسجل الموجود أسفل القارب فالتقطه بيده وجلس داخل القارب والملك يقف في وسط الماء، نصفه في

الداخل ونصف في الخارج ويقول له:

-بأي اتجاه؟!

أشار له ناحية اليمين، فقبض الملك بيده على حافة القارب، وفي ثوانٍ معدودة كان على شاطئ قريته، سرعة القارب جعلت «كنان» يُدرك مؤخرًا أنه وصل القرية.

زاغت عيناه وهو لم يصدق بعد أن رحلته التي دامت نهارًا كاملًا عاد منها في ثوانٍ!

خرج الملك من الشاطئ فتحول ذيله إلى قدمين ما إن لمست أطرافه الرمال، نظر نحو «كنان» الذي يقف مذهولًا مما يحدث، ليسأله بصوته عالٍ:

-أين منزلها؟!

ابتلع ريقه بصعوبة وهو يشعر بالسوء من فَعلته، ليُجيبه بإشارة من سبابته نحو منزل صديقه، وقبل أن يختفي الملك حذره بالقول:

-لو اكتشفت أنك خدعتني لن تنجو مني مهما حييت.

تنهد «كنان» براحة أخيرًا قد عاد لدياره بعدما ظن أنه كان على حافة الموت؛ لكن فكرته بالبوح عن مكان زوجة صديقه أنقذته من مصير محتوم، تسارعت خطواته بتوتر وهو يحاول أن يُقنع نفسه أن الملك وعده بعدم إيذاء صديقه وزوجته، مؤكد سيعتب عليهما وينتهي الأمر، فهو أبدًا لن يؤذي ابنته وهي بدورها لن تسمح له بأذية زوجها.

خطى نحو منزله ليرتاح من هذا اليوم الكبيس؛ لكنه على آخر لحظة قرر أن يُغير وجهته ذاهبًا لحبيبته التي اشتاق لها كثيرًا.

بضع خطوات تفصله عنها، التهمها في لحظات وقبل أن يطرق على النافذة. سمع همهمات بصوتها الرقيق تأتي من خلف منزلها، ضـم حاجبيـه وتتبع الصـوت حتـي وجـدها تقـف مع أحـدهم! جحظت عيناه وهو ينظر للواقف أمامها هو يعرفه جيدًا، صياد غريب أتى المنطقة من قريب!.

حاول الاقتراب ليسمع ماذا يقولان، للحظة تذكر كلام «منسا» وهي تقول له إنها خائنة!!

تـرددت الجملـة بعقلـه أكثر من مرة كلما اقتـرب منهما ليسمعها تقول له:

-لقد وعدتني أن تأخذني من هنا، قبل أن يأتي «كنان» ويزوجني أبي منه!

شـعر بقلبـه يتهاوى وقدماه لم تعد تحملانه وهـو يتـذكر خوفه ورعبه منذ قليل، وكل ما كان يتلاعب بعقله هو أنه لن يراها مرة أخـرى! لقد بـاع صـديق عمـره ليعود إليها، عند هذه الجملة لم يستطع إلا أن يهجم عليهما صارخًا بكل قوته وغضبه:

-خائنة حقيرة.

وقبل أن يصفعها على وجنتها أمسك «نيار» يده، لتختبئ «لياء» خلف ظهره مذعورة وهي تقول:

-اتركني «كنان» أنا أُحب «نيار» وأريد الذهاب معه.

انقض على «نيار» بكلتا يديه يضربه، فباغته الآخر بحركة من قدمه اليسرى جعلت «كِنان» يقع أرضًا، عيناه أطلقت شررًا وقد توغر صدره بغضب شديد، وأصبح يزأر كأسد جريح ليلفت نظره حجرٌ كبيرٌ أملسٌ مُلقى على الرمال انعكس عليه ضوء القمر فأضاء في وجهه.

حمله «كنان» في راحة يديه وهو ينظر لعينيها بكُرهٍ شديدٍ يريد أن يقذفها به ويفرغ شحنات غضبه وغيرته العمياء، فوقف «نيار» أمامه يحاول أن يلتقط الحجر؛ لكنه أخطأ فأصاب «نيار» في وسط رأسه.

فوقع «نيار» أرضًا فاقدًا توازنه، فارتطم رأسه في حجر مدبب كبير خلفه، ليفقد حياته في الحال بعدما تلونت الرمال بدمائه، و»كِنان» ينظر نحوه مذعورًا!

جلست «لياء» جواره بهلعٍ تلطم خدها وتدعو على «كنان» بكل شرٍ جرى به لسانها.

ارتبك «كنان» بشدة والتف خلفه برعب حين سمع صوتًا قادمًا نحوه فوجدها «منسا» تنظر نحو «نيار» المُلقى على الرمال سابحًا في دمائه لا تُصدق أن «كنان» هو من فعل ذلك به!

نظرت نحو «كنان» الواقف وجسده يهتز بتوتر؛ لكنه ورغم ذلك بادلها النظرات بعينين حمراويتين وأودجه منتفخة وغضبه ما زال يحرقه فهدر بها:

-ما الذي جاء بك إلى هنا ابتعدي عني؟!

ثم التفت ليخطو هاربًا وهو يقول:

-ابتعدوا جميعًا عني كلكم خونة وحقراء.

ركضت خلفه تمسك بيده سريعًا ليقذفها هو بعنفٍ قائلًا:

-لا تلمسيني يا ملعونة!

كادت أن تذهب وتتركه يموت؛ لكن قلبها لم يستطع فاقتربت منه وهي تقول من بين أسنانها:

أبي يبحث عنك حتى يقتلك، لأنه ذهب إلى بيت أختي وصديقك اللذين وشيت بهما فلم يجدهما وحكم بقطع رأسك!

ثم مدت ذراعيها تُشير له تجاه «نيار» لتكمل:

مع جريمة قتل أحد الصيادين التي قمت بها للتو فلن تنجو أيضًا من البشر سيحكمون عليك بالموت!

تسارعت نبضات قلبه للحظة ظن أنها تكذب عليه؛ لكن عيناها وجسدها الثابت يخبراه أنها صادقة، احتل الرعب جسده وتوقف للحظات لم يستوعب بعد كلماتها لينتفض وهي تصرخ بوجهه ليفيق من حالته المرتاعة هذه:

-لقد حذرت أختي ونقلتها هي وزجها إلى مكان آخر قبل أن يأتي أبي.

ثم خطت عدة خطوات أمامه وهي تتجنب لمسه مرة أخرى:

-تحرك أيها الغبي حتى أنقذك، هيا اتبعني.

لم يستطع إلا أن يسأل بصوت بان عليه الوهن والضعف، وقد احتلت عقله قلة الحيلة:

-لماذا تريدين قتلي؟؟

وقفت مذهولة لثوانٍ لم تستوعب ما قاله، قبل أن تصفعه على وجهه بغيظ:

-أنا أحبك أيها الأبله وأحاول الآن إنقاذ حياتك ألم تفهم بعد... هيااا!.

أمسكت بيده عنوة وهي تجره خلفها على الرمال، حتى وصلت للمياه وتحولت قدماها لذيلين متماثلين فانطلقت سابحة بخفة في المياه وهو خلفها، ثم اختفيا خلف الامواج العاتية تاركين خلفهم «نيار» الملقى على الرمال و»لياء» تجلس بجانبه تنوح وتبكي وتصرخ بالجميع ليغيثوها وهي تردد:

-لقد قتله «كِنان» أبلغوا الشرطة وأنقذوه أرجوكم!

*****

عادت لمنزلها في ثوانٍ معدودة بعدما أخذت بيده لتنزل لقاع البحر، كما فعل أبوها منذ قليل، دلفت تركض هنا وهناك تاركة «كنان» ينظر لها بتعجب لا يعرف ماذا تفعل؟!

ترك النظر إليها فهي لا تعنيه ولا يهمه الآن ماذا تفعل، ضيق عينيه ليفكر بالكارثة التي حلت عليه، ملك من ملوك الجن المائي

-تحرك أيها الغبي حتى أنقذك، هيا اتبعني.

لم يستطع إلا أن يسأل بصوت بان عليه الوهن والضعف، وقد احتلت عقله قلة الحيلة:

-لماذا تريدين قتلي؟؟

وقفت مذهولة لثوانٍ لم تستوعب ما قاله، قبل أن تصفعه على وجهه بغيظ:

-أنا أحبك أيها الأبله وأحاول الآن إنقاذ حياتك ألم تفهم بعد... هيااا.

أمسكت بيده عنوة وهي تجره خلفها على الرمال، حتى وصلت للمياه وتحولت قدماها لذيلين متماثلين فانطلقت سابحة بخفة في المياه وهو خلفها، ثم اختفيا خلف الامواج العاتية تاركين خلفهم «نيار» الملقى على الرمال و»لياء» تجلس بجانبه تنوح وتبكي وتصرخ بالجميع ليغيثوها وهي تردد:

-لقد قتله «كِنان» أبلغوا الشرطة وأنقذوه أرجوكم!

*****

عادت لمنزلها في ثوانٍ معدودة بعدما أخذت بيده لتنزل لقاع البحر، كما فعل أبوها منذ قليل، دلفت تركض هنا وهناك تاركة «كنان» ينظر لها بتعجب لا يعرف ماذا تفعل؟!

ترك النظر إليها فهي لا تعنيه ولا يهمه الآن ماذا تفعل، ضيق عينيه ليفكر بالكارثة التي حلت عليه، ملك من ملوك الجن المائي

يطارده ليقتله!

وإن عاد للبر فسيُحكم عليه بالإعدام لقتله أحد الصيادين!

ظل يدور حول نفسه للحظات ثم توقف فجأة، وهو يمسك بذراعيها والغضب يعتريه قائلًا:

-أنتِ السبب في كل ما يحدث لي.

توقفت «منسا» عما كانت تبحث عنه ونظرت نحوه وهي تضيق عينيها بتأمل ليكمل هو صياحه بها:

-أنتِ من حذرتي أختك، وجعلتني كاذبًا أمام أبيكِ الملك، لذلك هو يبحث عني الآن.

نزعت يده من على ذراعيها بعنف بعدما فاض كيلها منه، فانتفض «كِنان» من قوتها لتصرخ هي بوجهه:

-نعم لقد حذرت أختي أيها الأبله الساذج كي أنقذها وزوجها، هل ظننت للحظة أن أبي لن يؤذي صاحبك أيها الغبي المعتوه؟!

تمتم كنان وقد دارت الغرفة به لا يصدق ما ترمي إليه:

-لقد وعدني!

أكملت منسا والغضب يسيطر عليها وهي تقترب منه وتدفعه بيدها في صدره:

-لا يوجد عهد أو وعد بين الجن والإنس يا أحمق، أبي كان سيقتل صديقك ويعيد أختي للمملكة وأنا أعرف چيا جيدًا كانت ستقتل

نفسها وولدها.

ضم حاجبيه وجحظت عيناه ليردد:

-أي ولد؟!

أجابته بنفس الصراخ:

چيا حامل أيها الحقير! وهذا صديقك الذي اِئتمنك على سره، برغم ذلك أفشيته من أجل أن تنقذ نفسك.

ابتلع ريقه بصعوبة، وبدأت حبات العرق تتجمع على جبهته:

-أ أ أنا لم أقصد إيذائهما أنا كنت أريد العودة فقط!

صكت أسنانها بغيظ وهي تدفعه مرة أخرى:

-العودة للخائنة أليس كذلك؟!

لم تتلقَ منه إجابة، ولم تحتج لأن يجيبها فهي تعرف جيدًا أنه من أجلها قد خان صديقة.

التفتت لتُكمل تعبئة بعض الأشياء التي تلزمها وتركته يسألها بحرج من فِعلته:

-إلى أين سنذهب الآن؟!

أجابته بألم ودموعها بدأت تتساقط:

إلى أخطر مكان قد أذهب إليه يومًا؛ لكن للأسف ليس أمامي حل آخر حتى أنقذ حياتك.

اقترب منها يُوقفها عما تفعل، وهو يسأل والخوف يدب أوصاله:

-ستتركين والدك وتنقذين حياتي بعدما فعلته؟!

نظرت إليه بعينيها الذهبيتين المليئتين بالدموع فاختض جسده للخلف ليهدر قلبه في صدره عند رؤية جمال عينيها، التي لم يرَ مثلها من قبل:

- سيتم الحُكم عليَّ بالموت حين أخرج من هنا وأذهب لمملكة الملك دريائيل.

- أنا لا أفهم شيئًا!

قالها وهو ما زال مشدوهًا بعينيها البراقتين، أجابته «منسا» وهي تتنهد وتلتفت بجسدها نحوه:

أنا أحبك كنان ولا أريد العيش دونك، لهذا أضحي بمملكتي وأبي وأذهب بك حيث الملك دريائيل عدو أبي الثاني بعد الإنس، وإن ذهبت إليه فمحكوم عليَّ بالموت لكن لا خيار أمامي غيره لأنجو بك.

طرقات قوية على زجاجها الأمامي جعلتها تنتفض، لتمسك بيده وتركض نحو الباب السفلي للمنزل وهي تشير إليه بسبابتها أن لا يفتح فمه أبدًا، شعر بالمياه تتخلل جسده؛ لكنه استسلم ليدها التي تقوده، وأغمض عينيه بمشاعر مختلطة ما بين الغضب والحيرة والخيانة الموجعة، وفوق كل هذا حب من جنية بلا مقابل!

فتح «كِنان» عينيه بصعوبة حين أمرته هي، وهو يتمنى أن يكون

كل ما عايشه كان كابوسًا مفزعًا يستيقظ منه وينتهي الأمر!

لكن رؤيتها أمامه بعينيها الذهبيتين جعلته يدرك أن ما حدث لم يكن إلا حقيقية.

بعد قليل

جلس على الشاطئ يضع رأسه بين كفيه بألم فهو منهك للغاية، الرحلة لم تكن صعبةً حتى إنه لا يكاد يذكر دخوله الماء! لكن ما يرهقه حقًا التفكير المميت في كل ما مر به.

اكتشافه لخيانة حبيبته التي لم يكن يتوقعها يومًا، وقتله لأحد الصيادين، وخيانته لصديقه الذي لولا هذه الفتاة لكان ميتًا الآن بسببه، وفي النهاية ارتبط مصيره الآن مع أحد جنيات الماء، التي لن تتركه يعود حيًا كما أخبره صديقه.

«إن أحبت الجنيات أحدًا من الإنس لا يتركوه إلا حين يموت أو يعشقهن».

عاد من تذكره كلمات صديقه وهو يزفر بضيق، لا يجد أمامه حلًا آخر سوى مرافقتها فهو في كلا الحالتين سيموت!

جلست «منسا» بجواره بعد أن تحولت زعانفها لقدمين، تنظر إليه بشفقة على كل ما حدث له، هي لم تكن تقصد تعرضه للأذى لهذه الدرجة، كل ما حلمت به أن يعيش في مملكة أبيها، حتى تستطيع إقناع أبيها بالزواج منه، لكن ما حدث اليوم لم تكن تحسب له حسابًا!

التزمت الصمت لتفكر هي الأخرى، ماذا ستفعل في مملكة عمها

درياثيل؟ هل سيتقبلها بينهم أم سيطلب منها أن تعود لأبيها؟

هي تثق أن عمها يحبها وسيتركها تعيش في كنفه؛ لكن السؤال هنا هل سيتقبل الإنسي ويحميه من أبيها؟

أخرجها «كِنان» من صمتها وهو يتساءل:

-أين هي المملكة؟

أشارت للجانب الشمالي:

-هناك.

نظر لعينيها الذهبيتين وأكمل:

-من هو درياثيل؟ ولماذا سيقتلك والدك إن ذهبت إليه؟

أجابته مبتسمة بتهكم على حالها:

-درياثيل وهو عمي حاكم النصف الشمالي للبحار، حدث بينه وبين أبي خلاف منذ زمن بعيد، جعلهما يفترقان، وقد حُرم على سكان مملكتنا أن تطأ أقدامهم المملكة الشمالية والعكس.

تعلقت نظرتها به لعدة ثوانٍ لتتحول نظراتها الشاردة لعشق خالص، وهي تهمس له:

-أنا أحبك جدًا يا كِنان.

وكأنها سحرته بتلك الكلمات، وضوء عينيها الذهبيتين جعله هائمًا بها.

بدأت تقترب منه حتى التصقت به، هي تريد هذه العلاقة حد الشغف، فهو إن قام بها سيكون لها للأبد ولن يستطيع أحد التفريق بينهما غير الموت، استسلم لها مشدوهًا بسحرها الخلاب، لتبدأ خصلات شعرها الحريرية تلتف حول جسده بتملك.

للحظات مرت وهما يتقربان بشكل سافر لتتوقف «منسا» عما تفعله وهي ترى انعكاس صورة حبيبته الخائنة في عينيه، دفعته بعيدًا عنها بغضب فاندفع كِنان بسرعة شديدة نحو الأمواج من تأثير ضربتها عليه، شعر بأنفاسه تضيق وتنتهي، فوجدها أمامه رغم غضبها الشديد، فإنها لم تستطع إخفاء خوفها الشديد من أن يصيبه مكروه بسبب تهورها.

وفي ثوانٍ معدودة أخرجته من وسط المياه الثائرة، ليستلقي هو على الشاطئ، يسعل بشدة من دخول الماء أنفه وفمه حتى وصلت لرئتيه، ومن بين شهقاته صرخ بها:

-أجننتِ يا منسا لقد كدت تقتلينني؟!

مسحت دمعة فرت من عينيها لتصك أسنانها بغيظ:

-ما زلتَ تحبها أيها الغبي الحاقد الناكر للجميل؟!

لتبدأ في صراخ مدوٍ جعل الأمواج تثور بشدة وغضب:

-أنا هنا أضحي بحياتي من أجلك وأنت ما زلت تحلُم بها.

ثم وقفت بغضب لتُكمل:

-لقد خنت صديقك وكدت تقتله بغبائك لتعود من أجلها وليس

هذا وحسب لقد خانتك، وجعلتك تقتل أحد أبناء جنسك أي إنك لم تكتفِ بجريمة واحدة، لقد دفعتك لترتكب جريمتين إحداهما بحق الجن، والأخرى بحق إخواتك أيها الأحمق.

صدره بدأ يهدأ قليلًا وهو ينظر إليها، إنها محقة فهذه الملعونة الخائنة ستجعله يُقتل من أحد الجانبين بسببها؛ لكن قلبه ما زال معلقًا بها ليس بيده حيلة!!

توقفت «منسا» عن صراخها وهي تلعن نفسها، لقد ضيعت فرصة امتلاكه بسبب غيرتها العمياء.

«تبًا لي فأنا أصبحت أغبي منه، دقائق قليلة جعلته لا يقاوم سحري سأكررها في وقت لاحق».

هكذا حدثت نفسها، لتتوقف عند هذا الحد وخطت نحو الأمواج الثائرة لتهدئها وتهدأ هي قليلًا، تركها «كنان» تُفرغ غضبها في المياه علها تعود لرشدها مرة أخرى.

-يا إلهي ماذا يحدث لي؟!

جملة رددها «كنان» وهو يشعر برأسه يدور كطاحونة هوائية، دفعها له في المياه بهذا الشكل القوي جعل رأسه مشوشًا للغاية.

أمسك جانب رأسه وهو يلعنها بشدة، ثم عاد بها للخلف كي يستكين على الرمال ويغمض عينيه من الألم الذي يغزو رأسه بلا رحمة.

عدة ثوانٍ أراح بها رأسه جعلته يسمع صوت المياه والأمواج تتلاطم ببطء شديد ورائحة ملوحة البحر تداعب أنفه بشدة، ألم

رأسه بدأ يهدأ قليلًا، شعر بالنعاس يداعب عينيه فأغلقهما وهو يتنهد، ليحس ببعض السلام كي يغفو قليلًا.

لكن ما رآه في أحلامه كان بعيدًا كل البُعد عن السلام الذي ينشده، لقد كانت حربًا شعواء يتخللها الشياطين الذين يتلاعبون بعقله، مما جعله يدور بجسده على الرمال كي يتخلص من مهاجمتهم إياه.

عادت «منسا» سريعًا حين سمعت صوته يصرخ بشدة، فوجدته ينتفض ويتلوى على الرمال، ارتعد جسدها بشدة، وللحظة توهمت أن يكون دفعها له بقوة هو ما سبَّب له مضاعفات، فظلت تلعن نفسها على غضبها الذي يعميها ويجعلها تتصرف بحماقة، حاولت أن تجعله يستيقظ وهي تهزه برفق خوفًا من أن تؤذيه ثانيةً:

-يا كِنان أجبني! يا كِنان استيقظ أرجوك!

ظل ينتفض ويتلوى وكأنه في عالم آخر، خوفها تحول لرعب شديد وهي ترى عظام صدره العاري ترتفع وتهبط بشكل غريب، حملته برعب بين يديها وانطلقت به سريعًا داخل الماء، فاستكان جسده بين يديها وبعد لحظات كانت أمام مملكة الملك دريائيل في عمق المحيط الأطلنطي في القطب الشمالي، أوقفها الحرس على بوابة المملكة ليقول لها كبيرهم:

-لا يجوز دخولك مملكتنا أيتها الأميرة.

صرخت به منسا:

-أريد رؤية عمي أيها الحقير، دعني أمّر وإلا قتلتك في الحال.

ارتعب الحرس من صوتها الذي إن ارتفع قليلًا سيقتلهم جميعًا!

تلكأ قليلًا وبتردد وهو ينظر لكِنان بين يديها:

-أنتِ تحملين أحد الإنس سيدتي وهذا لا يجوز، اتركيه وادخلي أنتِ فقط.

اقتربت منه ببطء وبنظرات كادت أن تحرقه حيًا قالت بكل هدوء:

-افتح هذه البوابة حالًا.

لم يُجازف بفقد حياته، وبنفس هدوئها فتح بوابة المملكة، لتدلف «منسا» للداخل تصيح بكل من في المملكة ليأخذوها للملك دريائيل.

أخذها أحد الخدم وهو يرتجف من صوتها المرتفع، فقوة «منسا» تكمُن في صوتها الساحر الذي ما إن تطلقه بهدوء تستطيع أن تسحر به الجن والإنس، وإن غضبت تستطيع بصياحها قتلهم وهم عاجزون عن فعل شيء.

ترجل دريائيل من على عرشه، ووقف لها حين دخلت مسرعة وبلهفة شديدة قالت:

-أنقذه عمي أرجوك، لا أعلم ما يحدث له؟!

وبحكمته المعتادة قرر أن لا يسألها حاليًا عما يحدث معها؟! ومَنْ هذا الإنسي؟! ولِمَا تركت والدها ولجئت إليه، وهي تعلم أنها الآن

في عِداد الأموات بسبب عدائه مع والدها؟!

ترك تساؤلاته وانحنى نحو «كنان» الذي هدأت نوبته قليلًا منذ دخلت به «منسا» للماء:

وضع يده الشافيتين على صدره فأضاء صدر «كِنان» بنور أبيض اللون، نزع الملك يده وانتفض واقفًا بفزع وهو يردد بدهشة كادت تقتله:

-مستحيل هذا لا يحدث!

عادت «منسا» للخلف بذهول وهي ترى الضوء يخرج من صدر «كِنان» و عمها يقف عاجزًا أمامه ولأول مرة في حياتها ترى وجهه فزعًا هكذا!

دخلت «ليديا» زوجة عمها مسرعةً تقف بجوار «دريائيل» الذي ما زال يقف مذهولًا لتتساءل بقلق واضح:

-ماذا يحدث يا دريائيل؟! ومن هذا الإنسي؟!

تذكرت أن «منسا» تقف بجوار عمها ولم تلقِ عليها التحية، فاقتربت منها معتذرة ثم رحبت بها:

- أهلًا بيك يا منسا، لماذا كنتي تُصيحين منذ قليل؟!

لم يجيبها أحد منهما فصاحت بهما:

-ماذا يحدث لكما أجيباني؟!

أول مَن فاقت من شرودها هي «منسا» التي اقتربت من عمها

متجاهلـةً زوجتـه، لتسـأله بـرعب يكـاد يلتـهمها ودمـوع عينيـها تتســاقط وهــي تنظـر نحـو جسـد «كِنـان» الـذي ينتفـض ثانيـةً والضوء ما زال يخرج من صدره:

-ماذا حدث عمي؟! هل مات كِنان؟!

بعينين زائغتين ونبرة تتسم بالرعب، ردد بخوف شديد:

-لقد هلكنا جميعًا يا ابنتي.

*****

# الفصل الثالث

«قبل خمسة وثلاثين عامًا»

نادتها بصوت خافت تعرفه جيدًا، زفرت بضيق وهي تحاوط أذنيها بكفيها وتُغمض عينيها وتعتصرها بقوة، ثم ذمت شفتيها بغضب وهي تتمتم:

- كفى كفى.

علت همسات الأخرى وهي تردد:

-إيتا تعالي إليّ وسأعطيك ما تريدين.

ركضت بسرعة خارج غرفتها وهي ما زالت تضع كفيها على أذنيها وتُهمهم بصوت مكتوم ترتيلًا مقدسًا تحفظه جيدًا حتى تشوش على وساوسها.

أسرعت أكثر خارج القصر الكبير وعبرت البوابة الضخمة دون تردد، ثم فردت ذراعيها على آخرهما وبتنهيدة كبيرة ارتمت للأسفل نحو الغيمة الكثيفة وهي تبتسم براحة، أخيرًا تخلصت من وساوس تلك الشيطانة على الأقل في الوقت الحالي!!

اعتدلت في مجلسها تتأفف بضيق وهي ترى الغيمة التي تعتليها بدأت تُسرع من حركتها، وتتخطى نجوم السماء وتتجه بسرعة نحو القمر.

رفعت سبابتها وبحركة دائرية جعلت الغيمة تُهدأ من سرعتها قليلًا، ثم وقفت تحت القمر المكتمل مباشرةً، تتأمل حركت

الأرض المنيرة بفعل ضوء القمر.

ابتسمت بسعادة وهي تجلس تتربع على الغيمة وتُراقب من على الأرض وبداخلها. تنهدت براحة وهي تشاهد البحار من تحتها صغيرة الحجم وهادئة، تتراقص أمواجها بدلال، نظرها الثاقب وعيناها الطوليتان جعلوها تراه يسبح داخل المياه، وقد بدأت الأمواج تفتعل ثورة غاضبة من خلفه.

أشارت بكفها للأسفل فهبطت الغيمة على مسافة أقصر مما كانت عليه إلى أن وصلت فوق البحر مباشرة، تأملته بتركيز تام، جسده ضخم وقوي ويمتلأ بالعضلات الكثيفة، عيناه الذهبيتان تضيئا البحر من أمامه، بالإضافة إلى خفته الشديدة في الماء جعلتها تتنفس براحة وهي تتمتم:

-يا إلهي ما أجمله!

نظرت حولها وفوقها بتوتر خوفًا من أن يراها أحدهم وهي على هذا الارتفاع القريب من سطح الأرض.

عادت تتأمله فوجدته خرج من المياه، ثم جلس على الرمال، فتحول ذيله لقدمين ما إن وطأ الشاطئ.

عرفت على الفور أنه ملك من ملوك الجان العظام.. «أجمل ملك من ملوك الجان».

هكذا رددت وهي تنظر نحوه بإعجاب شديد، أشار بيده للأمواج فهدأت العاصفة القوية من خلفه، شعرت «إيتا» بغضبه الذي على إثره هاجت الأمواج فقررت مراقبته قليلًا لتعرف ما به ولِما هو

غاضب هكذا؟

دققت نظرها نحو البحر الكبير فلاحظت ظهور فقاعات كثيفة، وهذا يعني أن هناك في الأعماق شيئًا عظيمًا يحدث!

غلبها الفضول فأرهفت بسمعها فوصل إليها صوت سيدة حزينة تتحدث مع أحدهم قائلة:

أرجوك سيدي الملك أعطه ما يريد.

انتفضت السلطانة من صراخ الملك بوجهها، مما نتج عن صراخه دوامة كبيرة كانت سبب الفقاعات الهوائية ليزعق بها الملك:

-صلهكفيائيل هو ولدي الكبير زيلدا وهو ملك على إخواته وسيعتلي العرش قريبًا، يجب عليه أن يدرك هذا.

لم تفهم «إيتا» شيئًا من حديثهما فعادت لمراقبة الجالس على الرمال، يعتليه حزن كبير فوجدته يضع كفيه على رأسه بألم.

شعرت بالأسى لأجله وتنهدت بوجع، فمن الواضح أنه يحاكي قصتها.

شاب في مقتبل العمر يعد ملكًا من ملوك الجان؛ لكنه حزين يريد أن يتحرر لا يريد قيدًا أو نفوذًا!!

قررت أن تنزل بواسطة الغيمة قليلًا للأسفل، وللحظة خطر على بالها أن تتبادل معه الحديث، علها تُريحه من غمه قليلًا، لكن سبقها صوت ملكتها التي وصل لمسامعها واضحًا جليًا وهي تسأل أحد الحرس عنها.

وعلى عجل وفي بضع ثوانٍ عادت لقصرها الكبير في السماء، تسللت داخل غرفتها وهي تنظر حولها خائفةً من أن يكون أحدهم لاحظ عدم وجودها بالقصر، أو يكون أحد من الحراس لمحها بالخارج، عادت الوساوس من جديد تقتحم أذينها من الشيطانة إلى عقلها مباشرة.

زفرت بضيق ثم انطلقت خارج غرفتها متجهةً نحو غرفة الملكة بخطوات واسعة وسريعة، حين وصلت لغرفة الملكة طرقت عدة طرقات، ثم دلفت للداخل وهي تقول والغضب يعتري ملامحها:

-أريد قتلها بأي طريقة.

جعدت الملكة جبينها بتعجب وهي تتساءل:

-تتحدثين عن من؟

أجابتها «إيتا» وما زال الغضب يحتل نبرة صوتها:

-عائنة.

-ثم أردفت بغيظ:

-وهل هناك أحد غيرها يزعجني؟!

قامت الملكة من مكانها ثم خطت نحوها بهدوء، وهي تشعر أن هناك خطبًا ما بحارستها القوية لا تعلم عنه شيئًا، فقررت أن تفهم ما يجري دون أن تراوغ إيتا كعادتها، اقتربت منها حتى وقفت قُبالتها قائلة:

-أنتِ تعلمين جيدًا أنها من بنات إبليس، وهذا يعني أنها خالدة إلى

أن يرث الله الأرض ومن عليها، فلا سبيل لقتلها أو التخلص منها.

ثم تساءلت علها تعرف ما يدور بعقلها:

-ما الذي يجعلك تطلبين طلبًا كهذا يا إيتا؟!

ارتبكت الأخيرة ولعنت نفسها على تهورها وغضبها، الذي جعلها تتفوه بما يدور بعقلها في حضور الملكة، مؤكدٌ لن تُمرر مقولتها إلى أن تعرف ما الذي تفعله عائنة بها، وكيف لها أن تبوح بسرها، لن تستطيع أن تقول للملكة إن عائنة تعرف دواخلها ومرادها ونقطة ضعفها الوحيدة، ولذلك تكاد تسيطر عليها بما عرفته!

تفكرت للحظات أن تخبرها بالحقيقة، وهي أن هذه الشيطانة توسوس لها بشيء تريده بشدة، ولهذا تريد التخلص منها!

لكنها قبل أن تنطق حرفًا توقفت، فهي تعرف جيدًا أن عائنة تدفعها دفعًا كي يعرف الجميع بأمرها، وحينها ستُطرد من القصر، وهذا ما تتمناه هي وجميع الشيطان، وقتها ستختار عائنة أضعف الحراس في القصر حين تشتم رائحة خوفه منها، وبعدما تسيطر عليه ستجعله يُخرجها من السجن، ولذلك فالأسلم للجميع هو عدم إخبار أمها بسر يجب عليها أن تكتُمه للأبد.

تفحصتها الملكة وهي تنتظر جوابًا منها، فما كان من «إيتا» إلا أنها استأذنت بالذهاب لغرفتها في صمت، وهذه أفضل وسيلة وجدتها، الهرب!

بعدما تركتها إيتا وذهبت، جلست الملكة مرة أخرى تُفكر مليًا في ما حدث منذ قليل، فابنتها لم تكن بهذا الغموض والحذر من قبل!

انتبهت الملكة لدخول أحد الحرس بعدما طرق باب الغرفة:

-عفوًا مولاتي.

أشارت له أن يتحدث فامتثل للأمر:

-الساحرة الملعونة «بورجا» قد طوعت شيطانًا آخر من أولاد إبليس.

سألته الملكة وقد تملكها الغضب من هذه الساحرة:

-ما اسمه أيها الحارث؟

أجابها بتوتر:

-دنهش.

زفرت الملكة بضيق فهي تعرف هذا الشيطان جيدًا، فهو أقوى أولاد إبليس وهو الحاكم عليهم.

تسأل الحارس بقلق:

-هل أطلب من «إيتا» القبض عليه؟

أجابته الملكة بالنفي:

-لاااا، لا تطلب منها الذهاب، أطلب من بلقين وأخبره بمكان الساحرة واجعله يراقبها حتى تستدعي الشيطان، ووقتها يستطيع الإمساك به.

ثم أكملت بتركيز:

-واجعل «خباء» يذهب معه فلن يستطيع «بلقين» القبض على دنهش بمفرده.

تلقى الحارث الأوامر بطاعة ثم ذهب ليفعل ما أمرته به ملكته.

*****

عاد «صلهكفيائيل» لقصره والحزن ما زال يعتلي ملامحه، ليجد أباه يقف وسط المملكة وبصوت رج البحار رجًا أعلن:

-اليوم سأترك المُلك لأولادي الثلاثة، فلقد نلث ما يكفي من الحكم ووجب عليَّ الراحة.

ثم أشار لولده الأوسط:

-«طوطيائيل» سيكون ملكًا على البحار الجنوبية.

ثم التفت نحو ولده الأصغر ليُكمل مراسم التنصيب:

-أما عن «دريائيل» فسيكون حاكمًا للبحار الشمالية.

ثم أشار نحو «كفيائيل» وسط الجموع قائلًا بفخر أبوي:

-وولدي الأكبر «صلهكفيائيل» هو ملك على البحار جميعها، وملكٌ على أخواته أيضًا.

هلل الجميع وبدأوا بتحية الملوك بإجلال خاصة كفيائيل، فالجميع يحبه لطيبة قلبه ورقته الشديدة مع الرعاة.

على عكس «طوطيائيل» الابن الغاضب دومًا، و»دريائيل» يمتلك من العند ما يكفي لتدمير المملكة، لهذا كان من حكمة الملك أن

يجعل لـ«كفيائيل» المُلك على إخوانه حتى لا يستخدم أحدهم صفاته السيئة مع رعاة المملكة ويكونون دومًا تحت سيطرته، تخطاهم «كفيائيل» بود ومحبة إلى أن وصل لوالده الذي تجاهل غضبه الواضح، وألبسه تاج المُلك فوق رأسه بعد أن ألبس إخوانه تيجانهم المرصعة بالزمرد والأحجار الكريمة وكل تاج منهم مكتوب عليه بالذهب الخالص اسم مملكته، إلا تاج «كفيائيل» الذي دُون عليه «الملك الأعظم».

انحنى «كفيائيل» يُقبل يد والده برغم اعتراضه على ما فعل؛ لكنه سيظل يحترم أباه ويقدره مما بَدر منه من ظلم في حقه، وضع الملك كفه على رأس ولده بلطف ثم بصوته الجهوري الآمر أكمل مراسم التنصيب:

-السمع والطاعة للملك الأكبر أيها الرعاة الصالحين .

ثم التفت لوالديه ليأمرهم:

-قدموا فروض السمع والطاعة لملككم يا ملوك المملكتين.

اقترب الأثنان منه وكل منهما يدور في خلده شيء ما لكنهم لن يظهروا بواطن ما يضمرون في الوقت الحالي فلكل حادث حديث!

قبلوا يد أبيهم ومن ثم أخيهم الأكبر الملك عليهم في طاعة واستسلام، انتهت مراسم التنصيب وبدأ الكل في الذهاب من حيث أتوا، حتى فرغت القاعة الكبيرة إلا من الملك الأكبر وأولاده الثلاثة وزوجته العزيزة السلطانة زيلدا، أول من تكلم كان كفيائيل والحزن يسيطر على صوته ليتساءل وهو يشعر باستياء

شديد مما حدث منذ قليل:

-لما فعلت هذا يا أبي وأنت تعلم جيدًا أنني لا أريد هذا المُلك؟

أطرق الملك بعنف على يد كرسيه الكبير وهو يُنهيه:

-صه أيها الملك أنا لم أعهدك خائنًا أو جبانًا لتتخلى عن مملكتك الكبيرة، لقد أصبحت الملك وقُضي الأمر لا تتحدث بهذا الشأن مرة أخرى، ولا أريد أن أرى ضعفًا في صوتك كما الآن.

وقف أخواه من حوله كل منهما في جهة وهما يظهرا مدى استيائهما مما يقوله كفيائيل.

زفر طوطيائيل بغضب وهو ينهر أخاه:

-ما بك كفيائيل هذا قُدرنا وقُدر أبنائنا لماذا تريد الهرب من قدرك؟ أم أنك لن تستطيع تحمل المسئولية؟!

زعق به والده:

-تكلم مع ملكك باحترام يا طوطيائيل وإلا أُقصيتك عن الحكم الآن.

اعتذر طوطيائيل سريعًا لوالده وهو يرتعد خوفًا، بينما وقف دريائيل يراقب الأمر وينتظر الوقت المناسب للاستيلاء على المملكة بأكملها.

*****

سمعت «إيتا» بعض الضجيج خارج القصر فركضت مسرعةً نحو

الصوت، فوجدت بعض الحرس يجتمعون حول شيء ما لم تتبينه من مسافة بعيدة، اقتربت منهم ومن ثم أمرتهم أن يفسحوا المجال لترى ما يحدث؟!

تحرك الجمع من أمامها لتجحظ عيناها برعب وهي ترى «بلقين» متأثرًا بجراح عديدة وحوله بعض الأطباء يلتفون حوله، وقبل أن تتساءل عن مَن فعل به هذا حمله الأطباء ليعالجوه داخل غرفته بعيدًا عن ضجيج الحرس الذين يلتفون حوله.

لكنها أوقفت أحد الحرس قبل أن يذهب:

-هل تعرف ما الذي حدث لبلقين؟!

أجابها بأسى وهو يحرك عينيه مع الأطباء:

-كان يحاول القبض على أحد الشياطين وحدث بينهما قتال وعاد بلقين مصابًا بشدة.

تركته وذهبت نحو غرفة الملكة بخطوات واسعة وغضب شديد؛ لكنها حاولت أن تتماسك قليلًا بغاية احترام ملكتها.

طرقت باب غرفة الملكة حتى أذنت لها الأخيرة بالدخول، ودون أي مقدمات وبضيق شديد:

-منذ متى وبلقين هو من يُلقي القبض على الشياطين؟!

شعرت الملكة بندم شديد؛ لأنها تسببت في إصابة أحد أبنائها الأعزاء، لكن رغم حزنها غاضبة منه، لأنه لم ينفذ الأوامر وذهب بمفرده رغم تحذيره بأن يأخذ خباء معه.

رفعت الملكة رأسها بثقة وهي تُخبرها:

-لقد حذرته أن يأخذ خباء معه؛ لكنه لم يستمع وعصى أوامري.

صكت إيتا أسنانها بغيط وهي تقترب منها:

-أنتِ تعرفين تمامًا أنه يغار مني ويريد أن يتفوق عليّ، كان يجب..

أوقفتها الملكة بطرقة شديدة على حافة مقعدها الأثير:

-لا تتعدي حدودك يا إيتا.

حاولت «إيتا» أن تتكلم مرة أخرى فأشارت لها أن تصمت لتُكمل هي:

-الشيطان ما زال طليقًا اذهبي وأحضريه الآن.

التفتت «إيتا» بحدة لتخرج من غرفة الملكة ومنها إلى خارج القصر وهي تتوعد بالانتقام لأخيها بلقين.

هبطت من السماء بغضبٍ شديد، وجُل ما تريده هو أن تتخلى عن هذه المسئولية وتعيش حياة طبيعية، تتزوج وتنجب أطفالًا وتعيش مثل البشر كما تمنت دائمًا أن تكون مثلهم؛ لكن هيهات فهي تتمنى هذه الأمنية منذ قرون عديدة ولا شيء يحدث، بل الأمور تسوء وتُصبح أكثر شراسة.

هبطت الأرض على ركبتيها وصورته وهو يجلس على الرمال لا تفارق عينيها، سقطت دمعة من عينيها فتحسستها باستغراب وهي تردد:

-ما هذا؟!

لم تكترث لدمعتها الأولى كثيرًا، واعتدلت في وقفتها ثم خطت بخطوات ثابتة نحو كوخ الساحرة بورجا، توقفت أمام الكوخ حين سمعت همهمات بالداخل، ارتفعت فوقه لترى مَنْ بداخله مع بورجا، وجدتها تجلس مع «دنهش» وتتحدث معه على ما حدث مع أخيها بصوت ضعيف.

أختض جسدها حين رأت دنهش ينظر نحوها بعينيه المخيفة فصعدت في السماء بسرعة البرق لتجده يتبعها؛ لكنه لا يستطيع اللحاق بها.

توقفت حين تأكدت أنه فَقد أثرها لكنها شعرت بحركة غريبة فنظرت حولها سريعًا فوجدته يقترب منها، وقبل أن تهرب منه كان «دنهش» يلف حول جسدها سلسالًا من نار حامية حتى لا تستطيع التحرك، سكن جسدها حول السلسال وقررت ألا تقاوم، نظرت له بعينيها المضيئة كالنجوم، وابتسمت له ابتسامتها السحرية التي لا يستطيع مقاومتها أعتى الشياطين على الأرض، ثم بصوتها العذب الذي يؤسر سكان الكوكب والسماء معًا قالت له:

-كنت أحلم بمقابلتك من قرون كثيرة دنهش.

لم يصدق أذناه وشعر بنيران صدره تتأجج من مهاجمتها الصامتة له لكنه تدارك الأمر سريعًا وبصوته البغيض أجابها:

-لن تنطلي حيلك على دنهش أيتها الحارسة.

تفحصته بولهٍ من بداية عمامته السوداء حتى وجهه الدميم وجسده الكبير الضخم، ثم توقفت بعينيها عند الصليب المنقوش في يده قائلة:

-صدقني «دنهش» كنت أحلم بمقابلتك، وكما قالت لي عائنة إنك أنت منقذي مما أنا فيه لهذا أتيت إليك.

تفحصها قليلًا بعينيه السوداء القاتمة وهو يفكر هل تخدعه كما قالوا عنها من قبل وكما حذره الحارس؟! أم أن عائنة نجحت في مهمتها بالفعل؟!

قطعت أفكاره التي تعلمها جيدًا وبصوت آسر رنان أجابت على ما يدور في عقله:

-أنا لا أخدعك يا دنهش صدقني.

ثم تنهدت بدلال جعلته يقف فاقدًا للنطق وعندها أكملت بسحر خلاب:

-فك قيدي ودعنا ننطلق نحو الغيوم نتحدث قليلًا.

ثم أردفت:

-أرجوك يا دنهش.

اقترب منها وهو مسحور بدلالها ليفك قيدها الناري بحذر شديد، وما زال داخله يحثه على مقاومتها؛ لكنه لا يستمع لتحذيرات حدسه.

وبرغم آلمها من النيران تماسكت وهي تبتسم له بشكر وامتنان

على تصديقها، حذرها بصوت مخيف وهو ينظر لعينيها مشدوهًا من جمالها الأخاذ:

-إن اكتشفت يومًا أنكِ خدعتني لن أتركك إلا وأنتِ تراب يا إيتا.

حركت جسدها بصعوبة إثر احتراقه من السلسال، ثم أغمضت عينيها للحظات فشُفي جسدها، فتحت عينيها عندما شعرت بتحسنٍ كبيرٍ وأشارت له برأسها أن يتبعها للسماء الأولى.

صعد خلفها حتى وصلا لإحدى السحب الكثيفة والكبيرة، فجلست إيتا عليها وهي تشير له أن يجلس بجوارها ثم بنظرات حزينة وصوت مهموم قالت له:

-لقد تعبت من حياتي يا دنهش.

أجابها بصوت حاول أن يُخرجه رقيقًا متفهمًا:

-اطلبي ما تريدين يا «إيتا» وأنا سأنفذه على الفور.

رفعت رأسها إليه وبصوت شجي ويأس سألته:

-أريد أن أُصبح إنسية، فهل تستطيع تحويلي؟

تعجب دنهش من طلبها ولم يستطع إلا أن يسألها عن السبب:

-طلبك غريب وأريد أن أعرف سببه.

أجابت وهي تفرك كفيها بحرج:

-أريد أن أحتفظ به.

هز رأسه متفهمًا ثم أكد عليها بسؤال آخر:

-هل أنتِ واثقة مما تطلبين؟

أجابته بلا تردد:

-نعم أنا واثقة تمامًا.

تيقن دنهش في لحظتها أن عائنة استطاعت أخيرًا أن تُوقع أقوى حارسة للسماء في شباكها.

تنحنح وبابتسامة خفيفة قال لها:

-حسنًا يا إيتا كما تريدين، ثم رفع سبابته ليكمل:

-لكن يجب عليكِ أن تعرفي شيئًا أخيرًا إن بدأت المراسم فلا مجال للتراجع.

هزت رأسها بثقة وعيناها تنضجان بالفرح.

وقف دنهش على قدميه بثبات يرفع صولجانه للسماء، ويده الأخرى وضعها على رأس إيتا ثم بدأ يردد بعض التعاويذ التي ستجعلها أنسية ووقتها ستتخلى عنها الملكة، وتنتهي أسطورة الحارسة المعجزة إيتا.

لم يستطع إخفاء سعادته الشديدة من الأمر؛ لكن فضوله كان أقوى منه وإجابتها لم تكن كافية من قبل، فسأل ثانية بإصرار على معرفة الإجابة:

-قبل أن أبدأ أُريد أن أعرف حقًا لما تريدين التخلي عن لقبك

كأسطورة لأقوى حارسة على وجه السماء، لتصبحين بعدها إنسية تعيش بلا هدف أو فائدة.

ضحكت إيتا ضحكة هزت السُحب من تحتهما، فتعجب دنهش بشدة وللحظة ظنها جُنت.

عدة ثوانٍ استغرقتها في الاستهزاء على مقولته، ثم توقفت عن الضحك بهذا الشكل الجنوني لتُردد مقولته بتعجب تام:

-إنسية بلا هدف ولا فائدة!

لمعت عيناها الطوليتين باللون الفضي لتضيء مثل النجوم ليُسحر هو بالنظر إليها فتجاهلته وهي تُخبره:

-منذ ولدت وأنا أراقب الإنس جميعًا ولم أرَ شيئًا قيمًا في حياتهم سوى أنهم يعيشون في رغد وراحة.

أردفت وهي تتنهد بأسى:

كم تمنيت أن أولد إنسية كي أعيش حياة سعيدة، كي أضحك من قلبي دون هموم، كي أحب وأتزوج وأنجب أطفالًا، ثم أغمضت عينيها وبتنهيدة قوية خرجت من داخلها:

-كي أموت في سلاااااام.

ضحك دنهش بقوة وهو يقول مستهزئًا:

-وأنا كنت أخشاك!

ثم أكمل ضحكاته المشمئزة للأبدان غافلًا عن إيتا التي انتفضت

وفي ثوانٍ معدودة أخذت منه صولجانه السحري الذي صنعته له بورجا كي يساعدها على إتمام خططها الشريرة، ثم قذفته نحو إحدى النجوم البعيدة المخصصة للاحتفاظ بأدوات الشياطين الثمينة، وفي اللحظة الأخيرة قبل أن يقاومها دنهش وجد نفسه مقيدًا بسلاسل من حديد لا يستطيع الفكاك منها، جرته «إيتا» خلفها وهي تصعد بسرعة كبيرة نحو القصر وهو يصرخ بها:

-سأقتلك يا إيتا لكن قبلها يجب أن أجعلك تتعذبين حتى تتمنين الموت.

لم تعيره اهتمامًا فقد سمعت منهم جميعًا مثل هذا الكلام، وقذفته بإهمال نحو زنزانته الخاصة متجاهلة زمجرة قوية بوجهها وهو يردد مقولته السابقة، التفت حوله لتتأكد من تكبيله جيدًا بالحديد الموضوع في أركان الزنزانة وأرضيتها، ثم وقفت منتصبة أمامه وحولها باقي الحرس لتبدأ محاكمته بجدية تامة:

-لقد حُكم عليك بالسجن الأبدي أيها الشيطان، لأنك خالفت الأوامر وقمت بمساعدة أحد السحرة الملعونين.

ثم أشارت للبقية كي يذهبوا وهي خلفهم؛ لكنها توقفت لتستدير نحوه ثم بخطوات ثابتة اقتربت من وجهه الأسود وجسده الذي يشع نارًا حمراء وهو ما زال يصرخ بها، لتقترب هي من أذنه هامسة وهي تبتسم:

-كان يجب عليك أن تخشاني.

ثم تركته خلفها يسبها ويلعنها وخرجت من القصر مرة أخرى وصورة كفيائيل تداعب ذاكرتها بانتعاش، وتحثها على مراقبته

الليلة بطولها.

*****

# الفصل الرابع

جلست «إيتا» على غيمتها المفضلة تنتظر خروجه من الماء بفارغ صبرها، لقد قررت قرارًا نهائيًا أن تتحدث معه الليلة، تعرف أنها أخطأت حين أخبرت دنهش عن أمنيتها التي لا يعرفها أحد على الإطلاق، لكنها كانت يائسة للغاية فهي لا تستطيع أن تتحدث بهذا الشأن مع أحد الحرس وإلا أصبحت في نظره خائنة، وإن لم يوشي بها للملكة سيصبح هو الآخر خائنًا، هذا هو قانون الحرس الذي فُرض عليها منذ الأزل.

تأففت بضيق وكأن السماء لم تعد تتسع لها، وشعورها أنها مسجونة مع الشياطين مكبلة لا تستطيع الفرار يزداد بقوة يومًا بعد يوم، رأته يخرج من باب قصره وعلامات الضجر ترتسم على وجهه، تناست آلمها وأمنيتها في لحظة وزفرت بضيق من أجله، وكل ما تشعر بها الآن هو أنها تريد بشدة أن تُخفف عنه قليلًا، لكن السؤال المنطقي هو كيف ستفعل ذلك؟! والسؤال الأقوى هو لماذا تريد فعل ذلك؟!

اعتدلت في مجلسها تتفحصه وهي تطرد أفكارها السوداء خارج رأسها ومعهم أسئلتها التي لا توجد لها إجابة شافية في الوقت الحالي، وجدت أحد الخدم يوقفه قائلًا:

-والدك الملك يريدك في أمر مهم يا سيدي.

كادت تصرخ بغضب، لأنه سيعود للمملكة ويا عالم متى سيخرج مرة أخرى وهي الآن في أشد الحاجة للتحدث مع شخص ولا يوجد الآن أحد غيره.

وقبل أن تعود خائبة الرجا، حزينة، سمعته يجيب الخادم بهدوء ظاهري وقد وصلها صوته المكتوم بالحنق:

-قل لأبي إنني سأخرج قليلًا الآن في أمر مهم، وحين أعود سأذهب إليه على الفور.

شعرت للحظة بالغرابة الشديدة! حقًا هو يشعر بها بل ويسمع ما يدور في خلدها أيضًا!

ترك كفيائيل الخادم وقفز على الجزيرة ينفض الرمال عن قدميه بعنف، فتركت غيمتها ونزلت على الأرض بهدوء وهي تخطو نحوه بسعادة لا تعرف مصدرها، لكنها وقبل أن تقف بجواره تفحصت السماء بنظرة سريعة لعل أحدهم يراقبها، وحين كانت تتفحص السماء بعينيها شعر كفيائيل بوجود أحد جواره فالتفت ليجدها تنظر للسماء، فوقف ينظر لها بغرابة وتعجب متسائلًا:

-من أنتِ؟!

عدلت من رأسها لتنظر إليه نظرتها الساحرة، وعيناها تضيئان بفرحة لتجيبه:

-اسمي إيتا، ووظيفتي حارسة.

جسدها ممشوق بقوام لم يره من قبل في جن أو أنس، بالإضافة إلى وجه يشع نور، وعينين سحرتاه بضيائها، «هي حقًا شديدة الجمال» رددها بداخله وهو ما زال يلتهمها بعينيه، وجدت علامات الدهشة ما زالت تعتلي ملامحه وهو يتفحص كل جزء فيها، فأكملت بهمس جانب أذنه:

-حارسة من السماء، ومهمتي هي القبض على الشياطين الذين ينقضون العهد.

ابتسم كفيائيل لسحر صوتها العذب وهو يردد:

-أنا أعرف جيدًا من هم حراس السماء.

ثم اقترب منها ليهمس لها كما فعلت هي منذ قليل:

-لكن ما أعرفه أيضًا أنكم لا تنزلون على الأرض أبدًا إلا لو اضطررتم للقبض على الشياطين متلبسين بجرمهم.

ليُكمل وهو يرفع كفه يمازحها بالقول:

-وأنا من الجن المائي ولست شيطانًا، بالإضافة أني لم أخن العهد.

ابتسمت له «إيتا» بوجه يشع جمالًا، ثم جلست بخفة تتربع على أرض الجزيرة وهي تشير برأسها بلا مبالاة:

-يجب علينا من آن لآخر أن نخترق القوانين حتى نستطيع تَقبل قدرنا.

جلس كفيائيل بجوارها وقد خلبت لبهُ بجمالها وخفتها؛ لكنه لم يستطع إلا أن يتعجب من قولها ليتساءل بدهشة:

-حتى أنتِ لا تتقبلين قدرك؟!

نظرت نحوه لتلمع عيناها مثل النجوم، وقد لمس قلبها بتفهمه فهاله ما رأى ليردد دون وعي:

-يا إلهي عيناك حقًا ساحرة!

ابتسمت له وهي تخبره ليحذر:

-لا تنخدع بهما.

تنحنح خجلًا ليتساءل بجدية عل إجابة تريحه هو الآخر:

-لماذا لا تتقبلين قدرك؟!

آجابتـه وهـي تبتسم وتقارن بين سؤاله العميق وسؤال دنهش السطحي:

-لا أريد أن آكون قوية أو ذات شأن.

ثم قربت وجهها منه لتضيء عيناها أكثر كنجم مشع، فابتسم كالمسحور فهمست له:

-سأخبرك سرًا!

هز رأسه بحماس فأكملت:

-كنت أريد أن أُصبح إنسية وأعيش في راحة بال.

واجـهته تنظـر لعينيـه تتمنى أن يكون رد فعله مختلفًا عن هذا الشيطان الذي ضحك باستهزاء على أمنيتها.

لكن كفيائيل كان رد فعله مختلفًا، ضم حاجبيه بتعجب وكأنه لا يصدق قولها:

-إنسية؟!

رجعت للخلف تتأمله، وقد بدأ الغضب يتسرب لقلبها وهي تتساءل:

-ولِمَ التعجب؟! أنا أراك أيضًا ناقم على قدرك!

تنهد بعمق وهو يجيبها:

-حقًا أنا مثلك تمامًا لا أريد أن أصبح ملكاً على أخوي.

ثم أكمل والألم يعتري داخله:

-لا أريد أن أكون ملكًا أصلًا أو حتى مسئول، أنا أريد حريتي، أريد أن أعيش كما يحلو لي دون التقييد بوضع لا أحتمله حقًا.

لم تتعجب وقد احتلت الراحة في قلبها مكان الغضب، فهي تشعر مثله تمامًا ولهذا تفهمه وهو الآخر يستجيب لها، لكنها أقرت واقعًا أمام عينيه:

- لكني أراك ملكًا عادلًا!

أجابها مبتسمًا ليتفاجأ من رده:

-رغبتي ليست لها علاقة بما يجب عليَّ فعله يا إيتا.

ثم أكمل لتتفاجأ أكثر بقوله:

-أنتِ أيضًا تريدين التحرر كما فهمت، فهل هذا يعني أنك الآن توقفت عن القبض على الشياطين؟!

هزت رأسها نفيًا، فأكمل:

-هذا هو ما نحن عليه، نريد شيئًا لكن واقع الأمر شيء آخر.

سمعت الملكة تتسأل عنها فاعتذرت منه سريعًا وهي تتألم لمفارقته، لم تجد أحدًا تتحدث معه ويشعر بما تشعر هي به غيره، ولهذا وقفت بأسى تودعه وقبل أن ترحل أوقفها وعيناه تتعلق بها:

-أنا سعيد جدًا بالحديث معك يا إيتا.

ابتسمت له قائلة:

-أنا أكثر سعادة منك يا كفيائيل.

ثم بأمل وراحة لم تشعر بها من قبل قالت له:

-سآتي غدًا في نفس الموعد لا تتأخر.

ثم تركته ينظر لها مشدوهًا بإعجاب وذهبت.

شعر بسعادة تغمر قلبه وراحة تنتشر بداخله، فوقف ليقفز في الماء عازمًا أمره والحماس يدغدغ جميع خلاياه، وشعور رائع يتملكه مما جعله يُقرر أن يجوب بحار ومحيطات العالم الليلة، ولن يعود للقصر إلا في الصباح.

لم يشعر كفيائيل بالذي ظهر من خلفه بعدما سقط في قاع البحر، إنه كان يراقبه هو وإيتا منذ لقائهما وقد سمع كل ما دار بينها.

*****

دخل طوطيائيل غرفة أبيه بغضب وهو ينفث النيران على ما

فعله أخوه، ألقى عليه التحية ودون مقدمات أخبره:

-كفيائيل سجن وزيري الخاص هلال دون مشورتي.

طرق الملك ثلاث طرقات على حافة كرسيه الوثير مما دل على أن ولده أغضبه بشدة.

وبرغم غضبه إلا أنه أجابه بهدوء:

-أولًا اسمه الملك وليس كفيائيل، ثانيًا هو ملك البحار وله أن يفعل ما يشاء دون مشورة أحد منكم.

-ثم اعتدل في مجلسه ليكمل بنبرة قوية وحازمة:

أما عن الثالثة والأهم، لقد حذرتك مرة من قبل أن تتطاول على أخيك الأكبر والملك عليك وهذه الثانية، وأنت تعرفني جيدًا بُني لا أحذر للمرة الثالثة.

ابتلع طوطيائيل غضبه في جوفه، واعتذر سريعًا لوالده قبل أن يلتفت ليخرج من غرفة أبيه وقد بلغ حقده من أخيه ذورته!

قرر أن يذهب لكهفه السري، ملاذه الوحيد، ليُفكر فيه جيدًا عما يجب عليه فعله مع أخيه الأكبر، لكنه توقف حين سمع شهقتها المرتفعة تصم أذنيه، استدار ليراها تقف في بهو القصر الخارجي تضع كفيها على وجهها وتبكي بحرقة، سألها بنفاد صبر:

من أنتِ؟ ولما تبكين هكذا؟!

رفعت يديها من على وجهها لتجيبه وما زالت تشهق بحزن بالغ:

-اسمي «ليديا» ووالدي هو وزيرك هلال يا سيدي.

جحظت عينا طوطيائيل بإعجاب حين رأى وجهها، وردد في عقله دون وعي «ما هذه الملاك؟»

تسارعت دقات قلبه بشدة لرؤيته فتاة بهذا الجمال الفائق، لا يتذكر أنه رأى أحدًا بجمالها هذا من قبل، أو بالأحرى لم تلفت نظره أحدهم كما فعلت هي!

شعرت «ليديا» بالحرج من نظراته التي أصبحت جريئة، وأدارت وجهها إلى جهة أخرى، تنحنح طوطيائيل وبصوت رقيق طمأنها:

-لا تقلقي يا ليديا سيخرج أبوك عن قريب.

تهللت أساريرها ليكمل وهو يتأمل عينيها الذهبيتين:

-والدك رجل مخلص ولا غنى لي عنه، سأتكلم مع الملك بأمره وسيعود على الفور.

شكرته «ليديا» بمرح طفولي مما جعل قلبه يقفز بقفزتها، ثم تركته بانحناءة خجلة وذهبت تتراقص في الماء.

انطلق باتجاه آخر وابتسامة حالمة ترتسم على شفتيه مع لمعة من عينيه، تدل على أنه وقع في غرام هذه الحورية الصغيرة توجه نحو الكهف السري الذي لا يعلم بأمره إلا هو وأخوه الأصغر، وجلس هناك وقد تلاشى غضبه العارم بمجرد رؤية «ليديا» ومرحها؛ لكنه لم ينسَ حقده من أخيه الأكبر.

بعد عدة دقائق من التفكير قام باستدعاء أخيه الأصغر ليشاركه

في الأمر.

جاء دريائيل على عجل يسأله بتعجب:

-ماذا حدث يا طوطيائيل؟ لِمَا استدعيتني؟!

أجابه وقد استعاد بعضًا من غضبه:

-يجب علينا أن نوقف كفيائيل، لقد بدأ بممارسة سلطاته وبعد وقت قريب يستطيع أن يسجننا إن أراد، ويستولي على حكم البحار جميعها وحده.

برغم أن دريائيل رغبته تشبه رغبة أخيه، وهو يتطلع منذ زمن لأن ينفرد بالحكم دون الرجوع في كل قرار لأخيه الأكبر، لكنه يعرف أن طوطيائيل يبالغ في ردة فعله، وأنه من المستحيل أن يؤذيهم كفيائيل بأي شكل، صاح به طوطيائيل:

-ما بك دريائيل؟! أنا أتحدث معك.

وبهدوء تام أجابه دريائيل:

اهدأ قليلًا يا أخي، كفيائيل لن يؤذينا أبدًا وأنت تعرف هذا جيدًا.

اقترب منه طوطيائيل وغضبه يتصاعد، فأكمل دريائيل مقاطعًا إياه وهو يرفع كفه:

-لكني معك يا أخي العزيز، يجب علينا أن نزيح أخانا الأكبر من الحكم.

ثم نظر إليه بابتسامة ماكرة وأكمل:

-لكن دون تسرع، سوف نفعل ما يرضينا، كل ما عليك فعله هو أن تهدأ فقط حتى لا يشعر والدنا بشيء.

*****

عادت «إيتا» لغرفتها بسعادة غير مسبوقة، أخيرًا استطاعت أن تتحدث مع أحد بكل ما يجول بداخلها دون حذر أو حتى قلق، تنهدت براحة لكن راحتها لم تدم وهذه العائنة على قيد الحياة.

بدأت وساوسها المعتادة تخترق أذنها؛ لكن هذه المرة بشكل مختلف وكأنها عرفت بأمرها:

-أخرجيني من هنا يا «إيتا» وستصبحين سعيدة مدى الحياة أعدك بذلك.

تأففت بضجر لتتوقف حين سمعت طرقًا على باب غرفتها، أذنت للطارق بالدخول فوجدته «بلقين» وما زالت جروحه لم تطيب بعد، اعتذرت له سريعًا عن تقصيرها في السؤال عليه، فقاطعها بلقين بتفهم:

-لا عليك يا «إيتا» أنا جئت لأشكرك أنك انتقمت لي، واستطعتِ القبض على هذا الشيطان البائس.

أجابته بابتسامة لتتساءل بعدها:

-أخبرني ما الذي حدث معك؟

جلس على مقعد خلفه ليقص لها ما حدث:

-أبلغني خادم الملكة أن أذهب للقبض على «دنهش» لتعاونه مع

الساحرة الملعونة «بورجا» وأن آخذ خباء معي.

رفع رأسه نحوها وجدها تجلس بجواره تسمعه بتركيز فأكمل:

بحثتُ عن «خباء» في القصر كله فلم أجده، حاولت استدعاءه فلم يُلبي النداء، فقررت أن أذهب بمفردي حتى لا أُضيع فرصة تواجده مع الساحرة، وحين ذهبت راقبته يتحدث معها بكلام غير مفهوم، أعتقد أنها لغة خاصة بهم، اقتربت لأحاول أن أفهم شيئًا؛ لكني لم أنتبه أنه شعر بوجودي، وقبل أن أفر هاربًا كان يكبلني هذا الأحمق بسلسلة نارية لم أستطع الفكاك منها.

-بدأ غضبه يتصاعد وهو يسرد هذه الجزئية، فأوقفته «إيتا» وهي تضع كفها على كتفه تُهدئه:

-اهدأ يا «بلقين» لقد فعل معي بالمثل، لهذا أشعر بغضبك.

ضم حاجبيه بتعجب متسائلًا:

-وكيف استطاعتي القبض عليه إذن؟!

ضحكت باستهزاء قائلة:

-حيلة قديمة، لا تكترث للأمر وأخبرني كيف استطعت أنت الهرب منه؟

تلكا قليلًا ثم قال بتردد:

-للحظة وهو يُكيل لي اللكمات استطعت فك قيدي وهربت على الفور، ثم تشبثت بسحابة كبيرة وأمرتها تأتي بي للقصر، وحين وصلت فقدت الشعور بجسدي.

وقفت «إيتا» وهي تربت على يده:

-على كلٍا حمد لله على سلامتك يا بلقين خذ حذرك في المرة القادمة.

نظر «بلقين» لكفه بين يديها، فتشبث بكفها وهو يقف أمامها وبثقة تامة ودون مواربة أو مقدمات:

-أنا أحبك يا إيتا.

*****

جلست «بورجا» على المقعد والغضب يأخذ منها مأخذه، لقد خدعتها «إيتا» مرة أخرى وقبضت على ثاني شياطينها!

صرخت بغيظ شديد وقد توقف عقلها عن التفكير، تحضير هؤلاء الملاعين يرهقها كثيرًا وهذا الغبي الأخير قد ترك هذه الماكرة تخدعه بكل بساطة، شعرت بحضور أحدٍ ما، فوقفت تضم حاجبيها بتعجب وهي تنظر حولها بغرابة، ثم رسمت ابتسامة على وجهها حين وجدته يقف أمامها بهيبته وحضوره القوي.

رحبت به ولم تخفِ دهشتها من وجوده أمامها:

-أهلًا بك أيها الملك العزيز، وجودك أذهلني كثيرًا.

تجاهل ترحيبها وتعجبها وبصوت جهوري رخيم قال لها:

-أخبروني أنك ساحرة قوية.

تنحنحت بفخر ثم قالت له:

-ومؤكد أخبروك أنني لا أعمل مع المسلمين.

حاول أن يُسيطر على حنقه من هذه الإنسية التي تقف أمامه بلا خوف أو حتى ارتباك، يبدو أنها ستكون الساحرة المطلوبة، ودون تردد أخبرها:

-جئت لطلب المساعدة منك يا بورجا.

كتمت ابتسامة حمقاء بداخلها وهي تردد:

«وأخيرًا جاء الفرج».

انتظر إجابتها بنفاد صبر بان من عينيه اللتين تلونتا بالأحمر القاتم، فقالت له بتواضع مزيف:

-ومن أنا لأستطيع مساعدة ملك البحار؟!

لقد بدأت تروق له هذه السيدة الماكرة، فهي تعرف حدودها وحجمها جيدًا، أومأ لها برأسه:

-تستطيعين يا بورجا.

لم تُرَد إطالة الحديث فإن غَضِبَ منها سينتهي أمرها على الفور، فقررت الاستسلام لتعرف ما يريده منها ملك من ملوك الجن المائي:

-أمرك سيدي.

أخبرها بعملية:

-تعلمين أنني لا أستطيع التواصل مع الشياطين، هزت رأسها إيجابًا، فأكمل:

-أريد منكِ أنتِ التواصل مع أحدهم .

صكت أسنانها بيأس لقد ضاع كل ما كانت تحلُم به، فهذا الأمر عصيب الأن، خاصة مع حالتها هذه فهي لم تفق بعد مما حدث لدنهش، لكنها لن تستطيع عصيان أمره، يجب عليها أن تحاول لأجل أن تكسبه.

فأجابته بثقة وثبات:

-أمرك يا سيدي لكن بأي شأن؟! ومن هو الذي تريد التواصل معه؟!

هو لا يثق حتى هذه اللحظة بها؛ لكن عليه المجازفة فليس هناك حلا آخر ولهذا أجاب:

-لا أريد أحد الشياطين على الأرض بورجا، أريد أحدًا من المسجونين في السماء.

جحظت عينيها بذهول وهي تردد:

-لا أعرف كيف أتواصل معهم يا سيدي.

ابتسم لها قائلًا:

-حتمًا ستجدين طريقة يا بورجا فأنا أثق بك.

*****

اقترب من زنزانته بغضب يكاد يحرقه حيًا، ثم دنا منه قائلًا من بين أسنانه:

-كيف استطاعت خداعك أيها الغبي؟!

نظر له دنهش بعينين حمراوين يحذره:

-لا تتجرأ عليّ أيها الحارس وإلا عذبتك حتى تتمنى الموت.

ضرب حديد زنزانته بغيظ شديد ليعود إلى همسه:

- سأحاول إخراجك أنت وعائنة من هذا السجن قريبًا، لقد وصلني الآن خبر من بورجا تريد التواصل معك بأي شكل.

تعجب دنهش قائلًا:

-هل هناك جديد؟!

أجابه باقتضاب:

-سنعرف قريبًا.

وقبل أن يلتفت ليعود للقصر قال له:

-أخبر عائنة أن تُزيد من وساوسها قليلًا فأنا أراها تتأثر بالأمر .

ثم تركه الحارس يبتسم بخبث شديد ويخطط لانتقامه من «إيتا» التي خدعته بسحرها وهو مثل الأبله صدقها.

# الفصل الخامس

عاد كفيائيل لقصره وهو يشعر بسعادة كبيرة تداهمه لأول مرة منذ زمن بعيد، جلس على مقعده الأثير وأغمض عينيه وعاد بذاكرته لسنوات مضت، ليفتحهما مرة أخرى وهو يتنهد بألم، فهذه الحارسة قد أيقظت بداخله مشاعر ظن أنها قد اختفت منذ سنوات، مع اختفائها حوريته حبه الأول والأخير التي لم تستطع جنية بحرية أو أرضية أن تملأ مكانها؛ لكن «إيتا» قد فعلت من أول لقاء بينهما.

أخرجه وزيره من حالته الحالمة التي تجتاحه طالبًا الإذن بالدخول، فأذن له كفيائيل بعدما اعتدل في مجلسه، ورسم على وجهه الجدية والحزم بدلًا من ابتسامة العاشق التي كانت تُزين ثغره، ليخبره وزيره أن والده يريده لأمر هام.

صرفه كفيائيل وخرج خلفه لمقابلة والده، وقد بدأ يشعر بالضيق من مسئوليات الحكم التي أصبحت تُثقل كاهله؛ لكن ما جعله قلقه يتضاعف هو احتمال أن يكون أحد من جنود والده شاهده مع إيتا وهذا سبب استدعائه.

وصل لعرش والده لينحني أمامه بعدما ألقى التحية عليه وجلس بجواره، حيث أشار له والده ليسأله الملك مباشرة:

-كنت أتساءل عن سبب سجنك للوزير هلال، فأنت تعرف أنه وزير أخيك المخلص والمقرب إليه؟!

أجابه كفيائيل بضجر أخفاه، وحاول أن يجعل صوته متفهمًا حتى

لا يغضب والده:

-لم أسجنه لمجرد وشاية من أحد الحرس يا أبي كما يظن طوطيائيل، بل تحققت من الأمر ووجدت أنه يعاون ساحرًا غربيًا يسمى «بابوس» يستخدم السحر الأسود في إيذاء البشر، ولهذا أمرت بسجنه إلى أن أتحقق من أمره هل ما يفعله برغبته أم مُجبر.

هز الملك رأسه بتفهم، ثم قام من مقعده ليقترب من كفيائيل الذي قام بدوره أمام والده، فوضع الملك يده على كتف ولده يربت عليه برفق قائلًا:

-لا تظن لوهلة أنني لا أثق بحكمك الصائب؛ لكني أحب أن تشاركني بعض الأمور لكي أشعر أنني موجود بينكم.

ارتجف قلب كفيائيل بألم من كلمات والده لينحني مقبلًا كفيه وهو يقول بإجلال:

-أنت ما زلت الملك يا أبي وستظل الملك حتى وإن أعلنت للرعية غير ذلك، أعتذر منك لأنني لم أستأذنك اولًا في أي قرار أخذته، أرجوك اغفر لي.

ابتسم الملك وهو يعود لمقعده:

-لا عليك يا ولدي فأنت لست مُجبرًا على إخباري بأي شيء يخص المملكة.

وقبل أن يُكمل كفيائيل حديثه مع والده قاطعه وزيره ليستأذن بالحديث، فأذن له الملك ليخبرهم الوزير أن هناك حربًا ضارية

بين الملوك السبعة الأرضيين وبين الشياطين.

صرفه الملك وهو يفكر بالأمر قائلًا لولده:

-تُرى هل يجب علينا التدخل هذه المرة؟

هز كفيائيل رأسه برفض:

-لا يا أبي أرجوك لا تتدخل ما لم يطلب أحد منهم المساعدة، فأنا أعرف قائد جيوش المسلمين جيدًا وابنه، هما يستطيعان إنهاء أمر هذه الحرب بسهولة، لا تفكر بالأمر أرجوك فنحن لا نضاهيهم قوة.

ذم الملك شفتيه بعدم اقتناع؛ لكنه قرر الصمت حتى تأتي إشارة ما، هو ينتظرها.

استأذن كفيائيل للعودة لقصره، فأذن له أبوه ليخرج من قصر أبيه وهو يفكر بها، وكيف سيقنع والده بالزواج منها؛ لكن عليه أن يقلق أولًا من رفضها، فمؤكد حارسة بقوتها وشهرتها لن تتزوج إلا حارس مثلها وإلا ستطرد من القصر.

أخرجه طوطيائيل من شروده مناديًا ليقف كفيائيل أمام أخيه يسأله عما يريد:

-كنت أتساءل عن سبب سجنك لوزيري هلال؟

تأفف كفيائيل بضيق وهو يجيبه:

-هل هذا هو سؤال العائلة اليوم؟! أم أن هلال له مكانة عند الجميع لا أعرفها؟!

تعجب طوطيـائيل مـن ردة فعل أخيـه ليقول لـه بغضب حـاول إخفاءه كي لا يُغضب والده:

-أنت تعرف أنه وزيري المقرب ومن حقي أن أعرف لماذا سجنته دون الرجوع إليّ.

رفع كفيائيل صوته بحنق:

-ليس لديّ علم أن الملك يجب أن يأخذ الإذن منك حين يريد سجن أحد الخونة المساعدين للسحرة.

ضم طوطيائيل حاجبيه بتعجب وهو يردد:

-مؤكد هناك خطب ما، أنا أعرف هلال جيدًا ليس من هذا النوع!

أجابه كفيائيل وهو يغادر القصر:

-إذن تحقق من أمره وأخبرني وسوف أنظر للحكم مرة أخرى.

عاد طوطيائيل لمملكته ثم استدعى ليديا وقلبه يتلهف لرؤيتها، جاءته على استحياء، تضم كفيها ببعضهما البعض بقلق واضح، فقام طوطيائيل من مقعده ليقترب منها قائلًا:

-هل ما سمعته صحيحًا؟!

رفعت وجهها الجميل إليه تتساءل:

-ما الذي سمعته يا مولاي؟!

بتردد وحرج لم يعتد عليه أجاب:

-هل والدك يعاون أحد السحرة الغربيين؟

هزت رأسها نفيًا وقد احتل الحزن ملامحها:

-مجبرًا يا مولاي، أبي يقع تحت سحر هذا الساحر ولا يستطيع الإفلات منه فهو يعذبه عذابًا شديدًا.

رأت التردد في عينيه فأكملت:

-وإن لم تصدقني فيستطيع أحد الجنود فحص جسده والتأكد.

-حسنًا تعالِ معي.

اتبعته دون سؤال فوجدته يذهب نحو المملكة الكبرى التي تخص أخيه كفيائيل، شعرت أن الفرج قريب وأن الملك الأكبر سيُخرج أباها بواسطة أخوه، لكنها تشعر أن هناك خطبًا آخر فمن المعروف عن ملكهم طوطيائيل أنه ليس بهذا الود والتواضع، لما يفعل معه ذلك؟!

وصلا لمملكة كفيائيل الكبرى وهي تنظر للقصر بانبهار، فهو لا يُماثل قصر طوطيائيل التي كانت تظنه أجمل قصر في الممالك كلها؛ لكن هذا يضاهيه جمالًا وحجمًا!

دلف طوطيائيل للقاعة الكبيرة التي بها عرش أخيه، تتبعه ليديا ففوجئ بوجود أخيه دريائيل يجلس بجوار أخيه يتحدث معه في أمر مهم كما هو واضح عليهما.

قدم طوطيائيل ليديا لهما بعدما ألقى التحية على أخيه الأكبر غافلًا عن دريائيل الذي وقف ينظر لليديا نظرات إعجاب واضحة.

أذن لها كفيائيل بالحديث بعدما أخبره أخوه أنها تريد دفع التهمة عن أبيها ولديها دليل، تنحنحت ليديا بحرج وهي تنحني أمام كفيائيل باحترام، ثم اعتدلت في وقفتها وهي تحني رأسها للأسفل وتقول:

-أبي مجبر على مساعدة الساحر أيها الملك، وتستطيع التأكد من ذلك بفحص جسده ورؤية الرموز التي تملؤه.

نظر كفيائيل لأخية طوطيائيل بتعجب من اهتمامه بهذا الأمر، فهو لم يكن يومًا بهذا الاهتمام تجاه أحد حتى لو وزيره المقرب.

التفت طوطيائيل لليديا يطمأنها:

-لا تقلقي يا ليديا سيفعل الملك ما يجب فعله للتحقق من الأمر.

ضم كفيائيل حاجبيه حين رأى نظرة طوطيائيل لليديا، وهز رأسه متفهمًا وهو يرسم على وجهه ابتسامة متسلية.

دخل أحد الحرس معتذرًا عن اقتحامه قاعة الملك، ثم وجه حديثه لطوطيائيل:

-والدك الملك يريد رؤيتك لأمر مهم سيدي.

صك أسنانه بغضب، لأنه سيضطر لترك ليديا لكنه لا يستطيع التأخر على أمر والده، استغل دريائيل الفرصة وقام من مقعده ليقترب من ليديا قائلًا:

-لا تقلق يا أخي سأتحرى أنا الأمر، دعه لي.

اعتذر طوطيائيل لليديا، بينما أمسك دريائيل يد ليديا قائلًا:

-اسمح لي أيها الملك أن أتحقق من الأمر، وأتخذ أنا الحكم اللازم وسوف أخبرك بشكل مفصل عما حدث.

هز كفيائيل رأسه بالموافقة، فانصرف وهي معه تحت أنظار كفيائيل المتعجبة من أخويه!

وفي طريقهم للسجن سألها دريائيل:

-منذ متى ووالدك يخدم الساحر؟

أجابته وهي تنظر لعينيه بتحدٍ:

-هو أسيره منذ سنوات وليس خادمه.

رفع زاوية فمه بابتسامة ليُكمل:

-ولماذا لم تبلغي أحد الحكماء؟

تنهدت بألم:

-كنت أخشى عليه من السجن.

-وهل هو الآن في قصره معززًا؟!

قالها باستهزاء لتقف أمامه بغضب قائلة:

-لِما تساعدني إذن يا مولاي طالما تراودك الشكوك حول أبي؟!

اقترب من وجهها ليهمس في أذنها:

-ربما لأجلك!

ضمت حاجبيها ونظرت نحوه بعينيها الذهبيتين اللامعتين لتقول له بإغواء:

-حسنًا سنرى ماذا ستفعل لأجلي أيضًا.

وصل دريائيل للسجن فانحنى له الجنود، بينما أمر أحدهم أن يأخذه لزنزانة الوزير هلال، امتثل الجندي للأمر وأخذه هو وليديا للوزير، ثم فتح الزنزانة بأمر الملك ليصرفه دريائيل ويترك ليديا تركض نحو والدها، حين رأى هلال ابنته انطلق هو الآخر نحوها يحتضنها بشوق وقد ملأ الحزن وجهه.

أخبرته ابنته عما حدث فخلع سترته الذهبية وكشف عن جسده أمام دريائيل وهو يقول له:

-أنا مجبر يا مولاي الملك.

فوجد دريائيل صدره مليئًا بالطلاسم والرموز، ليلتفت هلال يواليهم ظهره، فرأى دريائيل ظهره ممزقًا بعلامات تعذيب واضحة مما جعل ليديا تشهق بألم وتغمض عينيها ليقول والدها لدريائيل:

-وهذه الآثار لأنني محبوس هنا ولم أذهب لاستدعائي.

نادى دريائيل على الجنود وأمرهم أن يحلوا وثاق الوزير وبأمر مباشر أخبرهم:

-لقد تم الإفراج عن الوزير هلال بأمر الملك دريائيل، وبإذنٍ من الملك كفيائيل.

فعل الحرس ما أُمروا به وخرج الوزير من السجن ممتنًا لدريائيل شاكرًا له وهو ينحني أمامه بصعوبة من الألم الذي يعتلي جسده.

أمر دريائيل أحد الجنود باصطحابه للحكيم لكي يعالجه ويفك السحر عنه.

أمسكت ليديا بيد أبيها ثم انحنت هي الأخرى لدريائيل لتبتسم له بمحبة وامتنان لما فعله، ليبادلها دريائيل ابتسامتها بابتسامة ودودة لم يعتد عليها لتنصرف هي من أمامه مع أبيها، وقلبها يخفق بشدة لنظرة عينيه الآسرة.

*****

اعتلت إيتا غيمتها المفضلة لتهبط بها على الجزيرة التي بدأت تعشقها وتشتاق لترابها وشجرها ورائحة الماء المالح الذي يتخلل حواسها فينعشها ويذكرها به، تنهدت بألم وهي تقف على أرض الجزيرة ثم ارتمت بجسدها لتتمدد وهي تتذكر ما قاله لها بلقين:

-أنا أحبك يا إيتا وأريد الزواج منك.

ترددت الكلمات بعقلها وعلى مسامعها وهي تتأفف بضيق، فآخر ما تحلُم به هو الزواج من حارس مثلها، فهي لن تظل في القصر ولا تنوي العيش في السماء.

-أنا أريد التحرر من هذه القيود، وبدلًا من إيجاد حل جاء بلقين ليسلسلني بطلبه.

ارتفع صوتها وهي تتحدث مع نفسها، وقد اختلطت مشاعرها ما بين الغضب والحزن والشعور بالاختناق، من حياة تريد بكل قوتها

الفكاك منها.

شعرت بأقدامه على الرمال فاعتدلت جالسة لتجده يقف أمامها بابتسامته المعتادة، نظرت نحو عينيه الذهبيتين بولهٍ، بينما هو جلس أمامها يتأمل ملامحها الفريدة والرائعة وهو يتساءل:

-هل جميع الحرس بهذا الجمال؟!

شعرت بالخجل من كلماته لتبتسم رغمًا عنها، وتجيبه بغرور مصطنع:

-لا أنا فقط.

-بالطبع كما ظننت.

قالها وهو يغمز لها بعينه، نظرت للبحر بشرود فضم كفيائيل حاجبيه بتعجب متسائلًا:

-ما بك يا إيتا؟!

تنهدت بقوة وهي ما زالت تنظر نحو الأمواج التي تتلاطم أمامها بتمرد قائلة:

-هل شعرت يومًا أنك مقيد، قلبك مسجون بين أضلاعك وجسدك يرغب بالتحرر، بينما روحك تتمزق بين ما يجب عليك فعله وما تريد أن تفعله؟!

نظر نحوها بتعجب وقلبه يستجيب لكل حرف تنطقه، بينما مشاعره تهتاج مع صوتها ووصفها وكأنها تتحدث بلسانه، سمعت صوت أنفاسه الحادة فنظرت إليه تزم شفتيها بحنق:

-هل تعتقد أنني مجنونة؟!

رفع زاوية فمه بابتسامة، بينما هي ازدادت حنقًا وبدأت تزفر بضيق إلى أن وقفت بغضب، فقام كفيائيل من مكانه ليمسك بيدها وهو ينظر لعينيها التي تلونت بالأسود القاتم من الغضب قائلًا:

-هل شعرتِ أنتِ يومًا أن أحدًا يعرفك أكثر من نفسك، ويصف ما بداخلك بسلاسة حتى إنك لم تعرفي يومًا أن تصفي حالك كما فعل هو!

رفعت حاجبيها بدهشة ليهز هو رأسه إيجابًا، تعالت دقات قلبها بينما هو أخذ يتأملها بعينيه حتى أضاءت مقلتيها مثل النجوم، ليقترب هو منها ويمرر إبهامه على صفحة وجهها برقة، فازداد نشيجها تأثرًا حتى اقترب هو أكثر، يتلمس شفتيها فارتعش جسدها بين يديه، وفي لحظة ابتعدت عنه برعب حين سمعت صوت دوي يأتي من السماء، فرفعت رأسها لترى ماذا يحدث فرأت الأضواء تتراقص بين السُحب، فانطلقت نحوها دون أن تنظر لكفيائيل مرة أخرى، مما جعله يعض على شفتيه بغضب، وقد اعتلت ملامحه القلق وهو يردد بخوف لم يعتد الشعور به:

-أتمنى أن تعودي سالمةً ولن أتركك تذهبي ثانية.

*****

وصلت للقصر وهي تترقب ما يحدث بريبة وحذر، إلى أن وجدت أحد الشياطين يختبأ خلف باب من أبواب القصر، تسللت من

خلفه تختبأ وراء إحدى السُحب الكثيفة حتى وصلت إليه فأخرجت سلسالاها الناري لتحيط بها جسده بإحكام، بينما هو استمر في الصراخ حتى أخذته وذهبت نحو السجن لتودعه في زنزانة فارغة وتعود للبقية.

خرجت الملكة من القصر تتسلل من غرفتها بعدما أشارت للحرس أن يأمنوا السجن لكيلا يصل إليه أحد الشياطين، ثم أشارت للبقية أن يأمنوا مداخل القصر، ارتمت على إحدى السحب لتختفي داخل الغيمة وتوجهها نحو الجنود الواقفين أمام البوابة الكبيرة.

أخرجت سلسلتها الكبيرة ولفتها حول ثلاثتهم لتحكمها جيدًا حولهم، اختل توازنها نظرًا لعددهم وقوتهم، وقبل أن تسقط ليتحرروا من قبضتها ظهرت إيتا لتُمسك بطرف السلسلة الآخر من الجهة الأخرى، وهي تهز إلى الملكة رأسها أن الأمر تحت السيطرة.

اختفت الاثنتان ومعهما الثلاثة شياطين ليظهروا أمام الزنزانة الكبيرة كي يضعوا فيها الشياطين ويصفدوهم بالداخل.

انتهوا من الأمر وصعدوا للقصر والملكة تزفر غضبًا وحنقًا، جاءها جميع الحرس بعدما كل جزء منهم أنهى مهمته واصبح القصر بأمان وقفت في منتصف القاعة الكبيرة تصرخ بهم ويكاد غضبها يحرق الجميع:

-هل تعرفون ما الذي حدث للتو؟! هجوم من الشياطين على القصر لأول مرة منذ بدء الخليقة، وهذا لا يعني سوى شيء واحد

أن الشياطين استهانت بقدرتنا .

صمتت لبرهة وهي تلتف حول الجميع وبنظرات ثاقبة وجهتها لعيونهم:

-أريد أن أعرف حالًا من هو الخائن بيننا؟!

نظر الجميع بعضهم لبعض بتعجب، وبدأ الهمس يزداد حتى أوقفتهم بزعقة منها جعلتهم يرتجفون خوفًا:

-أمامكم يوم واحد لأعرف من الخائن بيننا، إن لم يأتِ بمفرده قبل انتهاء اليوم لن يكون هناك تسامح قط، وسأبتكر له عقابًا خاصًا.

ثم تركتهم ما زالوا على وقفتهم، وقد بدأ كل منهم يحذر الآخر ليمر بلقين من بينهم، يتوجه لغرفة الملكة وعلى وجهه تتزين ابتسامته الخبيثة.

جلست الملكة على مقعدها وجسدها يهتز من الغضب، فلم يحدث هجوم مثل هذا من قبل! مَن مِن أبنائها قد يفعل بها ذلك؟! تكاد تجن من التفكير وعقلها يرفض التصديق أن هناك خائنًا بينهم، كيف حدث ذلك ولماذا؟!

قطع أفكارها «بلقين» وهو يطرق بابها يستأذن الدخول، فأذنت له وقلبها ينفطر ألمًا لظنها أنه الخائن وجاء ليعترف! صرخ داخلها:

«لا بلقين لا تكن الخائن أرجوك».

أذنت له بالدخول، فوقف بخجل جعلها تحبس أنفاسها حتى قال:

-لقد فعلت ما أمرتني به مولاتي.

للحظة لم تستوعب كلماته حتى أكمل:

-أخبرت «إيتا» بحبي لها وطلبت منها الزواج وهي رفضت.

التقطت أنفاسها براحة، ولم تجيبه سوى بكلمة واحدة:

-حسنًا.

ثم أشارت له بالخروج، فذهب وهو يرفع زاوية فمه بابتسامة ليردد بحقد واضح:

-لم يتبق سوى القليل يا «إيتا» وستكون نهايتك بيدي.

وقفت الملكة أمام نافذتها تنظر للسماء، وقد انتابها القلق الشديد نحو إيتا لتراجع ما حدث في ذاكرتها وقت الهجوم وهي تهز رأسها نفيًا قائلة:

-لاااا إيتا مستحيل، ما يحدث معها هو شيء آخر وسأعرفه قريبًا!

سمعت أنفاسه خلفها فأغمضت عينيها قائلة:

-ما الذي جاء بك ثانية؟! ألم تقسم أنك لن تعود!

اقترب من أذنها هامسًا:

-بالإضافة أنني اشتقت إليكِ إلا أني لم أستطع عدم المجيء للاطمئنان عليكم بعدما سمعت أمر الهجوم.

التفتت نحوه تنظر له بعشق، تتأمل ملامحه التي اشتاقت إليها

لتضع كفها على قلبها المتألم من غيابه عنها برغم أنها كانت رغبتها أن يبتعد نهائيًا بعدما رفضت التخلي عن كونها حارسة والزوج منها، لقد استمرت علاقتهم سرًا لقرون كثيرة؛ لكنها أبدًا لن تفعل كما فعل زوجها الحارس الكبير «سيريوس» وتترك القصر لتلبي رغبة قلبها العاشق له.

عادت بذاكرتها لآخر شجار بينهما جعله يُقسم أنه لن يعود إليها وهو يردد كلماته المعتادة:

-الملك الأبيض لا يُذل لامرأة يا «فيجا».

أخرجها من شرودها وهو يضع كفه على كتفها يتساءل بقلق:

-ما الذي حدث؟!

أخرجت تنهيدة تعبر عما بداخلها من ضوضاء لتجيبه بإرهاق:

-سأقص لك كل ما حدث.

*****

وصل بلقين لزنزانة دنهش وهو يلتفت حوله بحذر، حتى اقترب من القضبان وبهمس شديد قال له:

-لقد علمت ما تريده بورجا.

قرب دنهش أذنه منه قائلًا:

-حسنًا أخبرني.

نظر حوله مرة أخرى ليتأكد من أن المكان خالٍ من الحرس، ثم

اقترب أكثر هامسًا:

-قل لعائنة أن تُخبر إيتا أن قانون الحرس يوجبها أن تتزوج متى تمت الثلاثمائة وخمسين عامًا من أقرب حارس لها في السن، وقبل أن تتم الخمسمائة يجب عليها أن تُنجب الكثير من الأبناء، وبما أنها أكبر الحرس فقد آن وقت زواجها.

ابتسم دنهش بخبث، بينما ابتعد بلقين ليخرج من الزنزانة فأوقفه دنهش متسائلًا:

-هل أتى الهجوم بثماره؟!

أجابه بلقين وهو يخرج من البوابة الكبيرة للسجن:

-نعم، قد أتى.

احمرت عين دنهش وقرونه ازدادت اشتعالًا وهو يردد:

-قد اقترب أجلك يا إيتا، وأعترف أنني سأشتاق لعينيك الجميلتين حين أقتلك!

*****

# الفصل السادس

دخلت غرفتها وهي تفكر في الخائن، ومَن منهم يستطيع فعل ذلك! هل يمكن أن تكون والدتها مخطئة، وأن يكون هجوم الشياطين بسبب من هم في السجون؟!

عقلها بدأ يتشتت وهي لا تستوعب أن يكون هناك أحد من أخواتها خائن، ويريد لهم الأذى بهذا الشكل المُهين، سمعت همسها من بعيد يقترب رويدًا وكأنه يتسلل مثل الافاعي، حتى وصل لمسامعها وهي تقول:

-هل تعرفين عزيزتي أنك وصلتي لعامك الذي يجب عليك أن تتزوجي به، وقبل أن تصلِ لخمسمائة يجب عليك إنجاب الكثير من الأبناء؟

وضعت إيتا يدها على أذنها الطولية التي تسمح له بوصول وساوسهم لمسامعها، وخرجت تركض من غرفتها لغرفة الملكة حتى وصلت إليها، ودون استئذان فتحت بابها سريعًا، مما جعل الملكة ترتبك وهي تنظر خلفها نحو إيتا التي وقفت لا تستوعب ما رأت.

استدارت لها الملكة بغضب وهي تنهرها على دخولها لغرفتها دون استئذان، ودون مواربة سألتها إيتا:

-هل كان هناك جني أرضي بغرفتك؟!

حاولت إخراج صوتها ثابتًا وهي تجيبها:

-أنتِ تتوهمين يا إيتا، ما عمل الجن الأرضي هنا في غرفتي؟! ما الذي أتى بك إلي هنا ودون استئذان؟!

برغم أنها واثقة بما رأت فإنها قررت أن تسألها عما يخصها وما جاءت من أجله:

-هل تعرفين عرض بلقين لأن أتزوج به؟!

جلست على مقعدها وهي تقول لها:

-وأعرف أيضًا برفضك له.

تجاهلت ما ترمي إليه والدتها وأكملت:

-هل وصلت بالفعل لسن الزواج ويجب عليَّ أن أختار أقرب حارس لي في السن الآن؟!

نظرت لوجهها المحتقن تتفحصه، بينما دققت النظر لعينيها الغائمتين بقلق واضح ثم أجابتها:

-نعم، هذا ما يجب عليكِ فعله.

غضبها سيطر على صوتها:

-ولماذا لم تخبريني هذا سابقًا؟!

حذرتها:

-إيتاااا.

خرجت إيتا والحزن يسيطر عليها، يجب عليها أن تختار بين

أهلها ومهمتها في الحياة وبين من تعلق به قلبها وتتمنى أن يخرجها مما هي فيه، خرجت من القصر تعتلي الغيمة الأقرب لها، لتوجهها نحو الجزيرة وهي تدعو الله أن يريح قلبها وعقلها من هذا التشتت، الذي يقد مضجعها ولا تجد له حلًا.

استدعت الملكة خباء فجاءها سريعًا لتخبره:

-اذهب خلف إيتا دون أن تشعر بك وأْتِني بخبرها.

تعجب خباء مما تطلبه منه والدته؛ لكنه أطاع الأوامر وخرج من القصر يتبع إيتا تاركًا الملكة من خلفه تستند على ظهر مقعدها، وهي تتذكر ما حدث منذ قرون.

*****

وصلت إيتا للجزيرة وهي تبحث عن شيء تستدعيه به؛ لكنها توقفت وهي تشعر بالحرج الشديد مما ستُقدم عليه، كيف لها أن تُصرح له بحبها، جلست على الرمال تتأمل البحر الكبير حتى أغمضت عينيها وهي تتخيل نفسها معه على هذه الجزيرة يعيشان حياة سعيدة وينعمان براحة البال التي طالما تمنتها منذ أن أصبحت حارسة، مهمتها الأولى والأخيرة هي القبض على الشياطين.

فتحت عينيها سريعًا حين شعرت بوجوده، ابتسمت له وهو ينظر لها والماء يتساقط من وجهه على الرمال، ثم اختفت ابتسامتها وهي تتأمل ملامحه الهادئة والمميزة، فأخرجها من شرودها متسائلًا:

-وجهك لا ينبأ بالخير! ماذا حدث بالأعلى؟!

وقبل أن تجيبه تذكرت شيئًا يجب أن تسأله عليه:

-كيف عرفت أنني هنا؟!

أجابها وهو ينظر لجسدها بقلق:

-هل أصابك مكروه؟

اللهفة بعينيه جعلتها تشعر بسعادة لم تتذوق مثلها من قبل، فنظر لها بتعجب وهو يتساءل:

-ما بكِ يا إيتا لقد تملكني القلق أكثر بصمتك هذا؟

تنهدت قائلة:

-لا تقلق لقد مر، كان هجوم من الشياطين على القصر لم يحدث من قبل؛ لكننا استطعنا إدراك الأمر ويبدو أن هناك خائنًا هكذا قالت الملكة.

جلس أمامها ينظر لوجهها قائلًا:

-لماذا أشعر أن هناك المزيد من الأخبار السيئة؟!

نظرت لعينيه برجاء شعر به من كلمتها:

-قانون الحرس يوجبني باختيار زوج من أخواتي الاقرب لي سنًا.

سألها وعيناه لا تفارق عيناها:

-وأنتِ ماذا تريدين؟!

*****

تذكرت الملكة حياتها التي كانت مثالية للغاية، زوج يُعد أقوى حارس في السماء وأولاد أقوياء مثله، وقصر كبير سيكبرون فيه وسط أولادهم ليصبحوا أسطورة تتحاكى عنها كل المخلوقات.

حتى جاء اليوم الذي انقلبت به كل الموازين، حين دخل عليها زوجها غرفتها الخاصة ليقول لها:

-لقد طفح كيلي يا «ڤيجا» وقد كرهت هذه المهمة وأريد أن أعتزل.

انتبهت له وتركت ما في يدها لتقترب من متسائلة بقلق واضح:

-لم أفهم مقصدك يا سيريوس ماذا تقول؟!

أمسك كفيها وبرجاء قال لها:

-أريد أن نترك القصر لأبنائنا ليقوموا هم بواجبتهم كما فعلنا نحن من قبل، ونعيش على الأرض بسلام يا ڤيجا، لقد أضناني التعب وفقدت شغفي فكل ما أفعله في حياتي هو القبض على الشياطين، بينما يعيش الأنس يتمتعون بكل ما في الأرض من ملذات وأهمها هو السلام النفسي.

نزعت كفيها من بين يديه بغضب:

-أنت تهذي يا سيريوس، هذه هي مهمتنا في الحياة، سبب وجودنا هنا في السماء، والغرض الأول والأخير لخلقنا بهذه الهيئة والشكل.

زفر بضيق:

-أرجوكِ يا ڤيجا أن تفهمي ما أشعر به، لقد أتممت مهمتي على أكمل وجه، عشت قرونًا أقبض فيها على الشياطين الناقضين للعهود، وتزوجت وأنجبت عددًا كبيرًا من الحرس الذين سيحذون حذوي، آن الأوان أن أترك لهم كل شيء وأستريح.

شعرت بالغضب الشديد يعتريها من حديثه الغريب بالنسبة إليها، وفي محاولة أخيرة لإقناعه أمسكت بيده تقوده ناحية المقعد لتطلب منه الجلوس، بينما جلست هي أمامه تُمسك بكلتا يديه لتقول له بهدوء ظاهري يخالف ما بداخلها من عاصفة هوجاء تكاد تفتك بهم:

-اسمعني جيدًا يا سيريوس، أنا أتفهم جدًا شعورك وأقدر احتياجك الدائم للراحة، لقد عانيت الكثير مثلي وأنا أيضًا فكرت يومًا في أن من حقي الراحة قليلًا والبُعد عن هذه الحروب الضارية التي لا تهدأ ابدًا.

لكني تراجعت ولم يتخطَ شعوري هذا حد النطق به، نحن حراس السماء خُلقنا لنحميها من تلصص الشياطين، مهمتنا القبض عليهم حين يتعاونون مع السحرة من البشر، سبب وجودنا هو أن نُعلم أبناءنا أن يكونوا أقوياء، أن نردع هؤلاء الملاعين حتى تقوم الساعة، لا يجوز لنا التخلي عن مهمتنا، لا يجب علينا أن نهرب مما خُلقنا من أجله حتى ننعم براحة البال كما تزعُم، نحن لسنا بشر يا سيريوس.

سحب يده من كفيها برفق وهو يقوم من مقعده يتوجه نحو باب

الغرفة وهو يقول:

-لقد سئمت، سأهبط وأعيش على الأرض إن أردتِ العيش معي فأنتِ تعرفين مكاني، وإن لم تستطيعي التحرر من أفكارك فهنيئًا لكِ العيش في السماء.

ثم تركها وفتح باب الغرفة ليخرج منها فوصله صوتها الغاضب وهي تقول:

-هذه ليست أفكار يا سيروس هذه هويتي التي لن أتخلى عنها من أجل أنانيتي التي ستتركني يومًا لأجد نفسي وحيدة لا أعرف من أكون.

أخرجها خباء من شرودها وهو يطرق باب الغرفة ليستأذن بالدخول، مسحت دمعة فرت من عينيها المظلمة بظلام ما تحمله بداخلها، ثم سمحت لخباء بدخول غرفتها ليفاجئها بما كانت تنكره بداخلها:

-لقد تتبعت إيتا يا مولاتي كما أمرتني.

انتظرت ليُكمل فأحنى رأسه صامتًا، فتركته حتى يستجمع نفسه في محاولة منها لأن تكذب حدسها لكنه أكمل:

-لقد ذهبت لجزيرة في وسط المحيط، وهناك خرج منها ملك من ملوك الجن المائي ليجلس معها وتركتهما يتحدثان سويًا.

حبست فيجا أنفاسها وهي تنتظره حتى ينهي حديثه، لكنه توقف وكأن ما يريد قوله لا يخرج من فمه، فنظرت نحوه تطالع عينيه المليئتين بالحديث قائلة:

-أكمل يا خباء، ماذا سمعت من حديثهما؟!

أخذ نفسًا عميقًا قبل أن يقول لها:

-عرض عليها الزواج منه.

وقفت وتركت مقعدها وكل حواسها تتأهب للقادم، وهي تسأله وتتمنى أن يخيب ظنها في ابنتها الكبيرة:

-وما كان رد إيتا؟

*****

قطع دريائيل غرفته ذهابًا وإيابًا وهو يُفكر بليديا التي خطفت قلبه بعينيها الذهبيتين الخلابتين، وابتسامتها الشقية وطفولتها البريئة التي ترتسم على جسدها بوضوح فجعلتها فاتنة الجمال، لم يحدث له ذلك من قبل، كان دومًا قليل التفكير في النساء كل ما يتطلع إليه هو الحكم، وماذا سيفعل ليكون هو حاكم البحار جميعها، تذكر نظرات أخيه طوطيائيل لليديا واهتمامه الخاص بها، لكنه نفض رأسه وهو يتمتم:

-أخي ينظر لجميع النساء هكذا، فهو يحب جميعهن ولا يفضل واحدة على الأخرى، لكن كيف لي أن آخذها؟!

ظل يجوب الغرفة وهو يفكر مليًا حتى وصل للحل:

-كفيائيل، سأذهب إليه.

انطلق دريائيل من غرفته نحو مملكة أخيه، ليخبره الحرس

الواقفون على قصره بعدم تواجده بالداخل، فكر قليلًا ثم ذهب للجزيرة التي شاهده فيها مع إيتا من قبل، يجب عليه أن يخبره ما حدث مع الوزير وينوه له عن إعجابه بليديا قبل أن يسبقه أخوه، فهو يعلمه جيداً لن يصرح لأحد عن إعجابه بها إلا حين يقرر الزواج منها.

وصل للجزيرة فوجده يجلس أمام حارسة السماء، اختبأ خلف الصخرة واسترق السمع فوجده يقول لها:

-تزوجيني يا إيتا وستكون حياتنا معًا كما تمنيناها.

أجابته بلهفة وشعورها بالسعادة يتضح جليًا من صوتها:

-موافقة، وسأتحدى العالم من أجلك يا كفيائيل.

اكتفى دريائيل بما سمعه وانطلق للكهف السري ليستدعي أخيه طوطيائيل فجاءه الأخير على عجل، وجه دريائيل امتلأ بالسعادة وهو يخبره بما حدث:

-لقد نجحت خطتنا سيتزوج كفيائيل من الحارسة.

تهللت أسارير طوطيائيل وهو يراجع أخيه:

-صحيح يا أخي؟!

أكد حديثه وفرحته تزداد:

-نعم صحيح، سنُكمل خطتنا ونخبر والدنا بما حدث، وأنت تعرف الملك لا يتهاون في المخالفات، سيتبرأ من كفيائيل وسنبقى نحن ملوك البحار جميعها ولن يكون هناك وصيًا علينا.

تنهد طوطيائيل براحة ثم تذكر ليديا ليسأل أخيه بلهفة:

-ماذا حدث مع ليديا؟!

نظر له دريائيل بتعجب فتلكأ قليلًا ليعيد سؤاله:

-أقصد وزيري هلال ما ذا فعلت معه؟

أجابه وهو يفكر في خطة محكمة:

-عفوت عنه وأخرجته من السجن، اتضح أن ابنته على حق، هو مسحور من قِبل الساحر بابوس ويعاونه رغمًا عنه.

تردد طوطيائيل أن يخبر أخاه عما يُكنه من مشاعر لليديا، لكنه عزم أمره وقال له:

-أريد أن أخبرك بشيء، لقد كنت ذاهبًا لأبي لأخبره بالأمر؛ لكنك حين استدعيتني جئتك أولًا.

شعر دريائيل أنه مخطئ ولأول مرة في حياته يخطئ في فهم أخويه حتى يوجههم كما يريد، حثه أن يُكمل حديثه:

-أنا أحب ليديا بنت الوزير، وكنت سأذهب لأبي لأطلب مباركته وإذنه وأتزوجها.

صمت ليفكر سريعًا فيما سيفعل لكن كلمة «لا» خرجت منه سهوًا، تعجب طوطيائيل لرد فعل أخيه ليوضح دريائيل الأمر له قائلًا:

-تمهل قليلًا يا أخي العزيز، لا تكن متهورًا كعادتك، نحن الآن بصدد الاستيلاء على الحكم بمفردنا، يجب علينا أن نترك ما

يخصنا في الوقت الحالي، من منا سيبلغ الملك بأمر كفيائيل؟!

وبطبعه المتهور العنيد نظر له بعينين تلمعان بالمكر المزيف:

-أنا سأذهب إليه لأخبره بالأمر على طريقتي.

ابتسم دريائيل بخبث فهذا هو ما يريده بالضبط، انطلق كل منهما لوجهته، فوجهة طوطيائيل لأبيه، أما دريائيل فعاد لأخيه ليحذره ويكسب ثقته.

*****

انطلقت لأقرب غيمة منها بعدما ودعته بقبلة بثت فيها كل ما تشعر به من عشق تجاهه، تمددت على الغيمة وجهها المبتسم يضيء السماء بأكملها، ظلت تدور بالغيمة بفرح وضحكات تمنت لو شاركها إياها؛ لكن عليها أن تأخذ الخطوة الأخيرة مهما كلفها الأمر.

توقفت غيمتها عندما صوت الملكة تنادى باسمها، صعدت للقصر وهي في غاية السعادة تترنح بنشوة وسرور، ذهبت لغرفة الملكة تستأذن بالدخول فأذنت لها الأخيرة، والغضب يعترها مما سمعته، ازداد حنقها حين رأت ابتسامتها تزين وجهها وعيناها تشعا ضياء تعرفه جيدًا بل تحفظه عن ظهر قلب.

زفرت بضيق وبصوت عالٍ وحازم سألتها:

-هل تقابلين ملكًا من ملوك الجن المائي؟!

تنهدت وما زالت سعادتها تضفي على وجهها:

-نعم يا مولاتي وسأتزوجه.

*****

وجده ما زال يفترش الرمال؛ لكنها ليست بجواره، انطلق نحوه وبريق عينيه الخبيثتين يزداد لمعانًا وهو يقول له:

-جئتك منذ قليل لأخبرك ما حدث مع الوزير فوجدتك مع أحدٍ من حـراس السـماء، ويبـدو أن الوضـع بينكمـا غـير عـادي، هممتُ بالرحيل فسمعتك تعرض عليها الزواج، قررت ألا أتدخل حتى تذهب هي.

اعتدل كفيائيل في مجلسه وهو ينظر للسماء بعشق وكأنه يراها أمامه:

-نعم لقد حدث ذلك وسأتزوجها.

اعترض دريائيل بلطف:

-لكنك تعرف القواعد يا أخي، لن يوافق والدنا

- أن الملك الكبير يريد ضرب القوانين الأزلية بعرض الحائط، لن يسمح بذلك وستكون العواقب وخيمة.

لم يعط اهتمامًا لحديثه وما يعنيه، بل ظل يتأمل السماء بنجومها الساطعة وهو يتنفس ويستنشق الهواء وكأنه وُلد من جديد، نبهه دريائيل بتعجب:

-أنا أحدثك يا أخي!

أجابه كفيائيل وهو على حالته:

-تبًا للقوانين، لقد عشقتها وهذا يكفي.

ابتسم دريائيل ابتسامته المعتادة فخطته ستنجح كما يريد بالضبط، وقف يمد يده لأخيه بلطف قائلًا:

-حسنًا هيا بنا نُخبر الملك وأنا سأدعمك.

*****

جلس طوطيائيل بعدما أذن له والده ليقول بحماس واضح ليتبين ردة فعل والده:

-لقد أخبرني أحد وزرائي الآن أنه سمع كفيائيل يعرض على حارسة من السماء الزواج.

طرق الملك على طرف كرسيه بيده طرقة هاجت لها الأمواج من غضبه، ليقول بعدها:

-ائتني بهذا الوزير لأقتله في الحال، الملك لا يعتدي على القوانين ولا يخالفها، ومن يقول عنه ذلك يُقتل في الحال.

ارتبك طوطيائيل وشعر بالخوف للحظات، حتى دخل أخواه من باب غرفة الملك ليقول كفيائيل بحماس وقوة:

-أبي لقد قررت أن أتزوج حارسة من السماء.

وقف الملك بعنف شديد وهو ينظر نحوه بغضب عارم مرددًا:

-مستحيييييل!!

*****

# الفصل السابع

انتفضت ڤيجا وجسدها بأكمله يشتعل بالغضب من إيتا وما قالته بكل تلقائية وكأنها لا تعبأ بها ولا بالقوانين، اقتربت منها ومع كل خطوة يزداد غضبها أضعافًا وهي ترى في عينيها ما رأته في عين أبيها من قبل.

وقفت إيتا بشجاعة مستعدة للعاصفة الكبيرة من أمها، التي يظهر الحنق على جسدها بأكمله، مما جعلها تشبه كوكبًا مشعًا تحيطه النيران الزرقاء من كل مكان، نظرت لعمق عينيها وبصوت حازم وهي تضغط على كل حرف:

-هل تتحديني؟

أجابتها بهدوء ظاهري وثقة كبيرة:

-لا أستطيع أن أتحداكِ يا مولاتي، أنا فقط أخبرك.

قاطعتها بإشارة حازمة من يدها:

-إنسي ما قلته تمامًا، ولن تقابلي هذا الجني مرة أخرى، وستعاقبين على نزولك للأرض عقابًا شديدًا.

التفتت تعود لمقعدها وهي تتمنى من قلبها أن لا تكون إيتا ورثت صفة العند من أبيها، وما كانت تخشاه تحقق.

أوقفتها إيتا قائلة بثبات:

-لا تغضبي مني يا مولاتي، لقد قررت أن أتزوج من كفيائيل ولن

أرجع بقراري.

التفتت نحوها وقد ارتعشت قدماها من الخوف عليها، ستتركها ابنتها الكبيرة وخليفتها في الحكم كما تركها أبوها من قبل، تطلعت نحوها بنظرة امتزج فيها الخوف بالرجاء، مما جعل إيتا تشعر بقليل من الندم والحزن من أجل أمها، اقتربت إيتا منها تحاول إقناعها:

-أمي أرجوكِ حاولي أن تتفهمي مشاعري.

هزت رأسها نفيًا لا تريد سماع ما سمعته من قبل من أبيها، لكن إيتا أبت أن تتوقف، فاقتربت منها تُمسك كفها بين يديها قائلة بتوسل:

-أنا أرغب في أن أصبح حرة يا أمي، كم تمنيت أن أعيش على الأرض براحة بال، تطلعت دومًا أن أتزوج وأنجب أطفالًا بعيدًا عن صراعتنا الدائمة مع الشياطين، لا أريد أن يصبحوا أبنائي مثلي مسجونة في هذا القصر بلا هدف!

نزعت ڤيجا كفها من بين يدي إيتا وباندهاش شديد نظرت نحو كفها وكأن الماضي يعود من جديد وإيتا تتحدث بلسان أبيها، وكأنه الآن أمامها يحاول إقناعها بما تاق إليه لسنوات.

للحظة أصابها الارتباك بما يحدث؛ لكنها تداركت أمرها سريعًا قائلة لها بحزم شديد:

-قرارك هذا لا يعنيني بشيء وإن أصررت عليه فسوف تُطردين من القصر ومن السماء بأكملها، ولا عودة لكِ بيننا يا إيتا، فعليكِ

أن تختاري!

أحست إيتا أن والدتها لا تريد أن تدرك ما تعنيه ولا ترغب في أن تعي ما تشعره به على الإطلاق، هي تريد حبسها في هذا القصر بزعم أنها حارسة وهذا قدرها، لكنها تعلمت أن القدر يُصنع بالقرار وليس بالإجبار.

ابتعدت عنها عدة خطوات للخلف، ثم التفتت لتترك غرفتها بعدما ألقت عليها نظرة ذات مغزى فهمتها ڤيجا جيدًا مما جعلها تثور بانفعال شديد وهي تخطو خلفها قائلة:

-لقد بعتِ أمك وأخواتك وعشيرتك بأكملها من أجل أهوائك يا إيتا.

توقفت إيتا لتبادلها نظراتها الغاضبة بأخرى غير مبالية، تحت أنظار جميع الحرس الذين تجمعوا في الحال حين سمعوا صوت ملكتهم الغاضب.

وقفت الملكة بشموخها المعتاد وبصوت حازم وصارم وشديد قالت لها:

-اخرجي من القصر ولا تعودي إليه مهما حييت، لقد تبرأت منك للأبد.

ثم نظرت لباقي أخواتها الملتفين حولهما يتطلعون نحوهما بذهول:

-لم تعد إيتا من الحرس، ومن اليوم يجب على الجميع أن يوقن أنها أصبحت من الأموات.

ثـم التفتـت تعـود لغرفتها بخطوات ثابتة ووجـه شاحب وقلب ينفطر من الألم على أقوى حارسة في السماء التي لم تعد ابنتًا لها من اليوم.

أغلقت باب غرفتها خلفها وهي تشعر بالأسى والحسرة على ابنتها التـي تبعـت خطـوات أبيها، نظرت من النافذة بشجن، فوجـدت نجمة تعرفها جيدًا تقترب من نافذتها حتى وصلت إليها، وحين مدت ڤيجا يدها إليها تناثرت أضواؤها حتى اختفت في قلب السماء حالكة السواد.

لم تتحمل قدماها هذا الضغط فجلست على مقعدها، وقد سقطت من عينيها دمعتها الثانية وهي تردد:

-لقد اندثرت نجمتك يا إيتا، وبدأ العد التنازلي لأجَلك.

*****

خـرجت إيتـا من القصر وجسدها يترنح من الألم الشديد على أخواتها ونظراتهم التي اخترقتها باللوم والعتب على ما فعلته بهم جميعًا، اعتلت الغيمة الأقرب لها لتتمدد عليها وقد أضناها الحزن وهي تنظر لقصرها الذي ولدت وعاشت به سنوات عمرها الكثيرة للمرة الأخيرة.

تلبدت الغيمة التي تعتليها إيتا لتشاركها تعاستها حتى إن السماء بدأت في إطلاق رعد وبرق لتُمطر الغيمة التي تركبها إيتا مطرًا غزيرًا تشاطرها بها فجعتها الكبيرة لما حدث.

كم تمنت أن تتفهمها الأم وليست الملكة، وأن يشعر بها قلب الأم

وليست الحارسة، كانت تترقب أن تُغير من أجلها القوانين والأحكام الظالمة هذه وتتركها تعيش بين السماء والأرض كما كانت تبغي.

انتفضت جالسة حين رأت نجمة تشبهها كثيرة تقترب من القصر وهي تتوهج بضوء تعرفه جيدًا، فهي تراها كل سنة من عمرها، لقد تمت قرنها الثالث بعد الخمسين.

ابتسمت باستهزاء على هذه الصدفة العجيبة، فحين وصلت لسن الزواج تركت أهلها ومهمتها في الحياة واختارت طريقًا آخر، تتبعت النجمة بنظرها حتى وجدتها تقترب من القصر، خاصة غرفة الملكة حتى اختفت عن عينيها، وقفت على الغيمة تنظر للسماء بدهشة مرددة:

-كيف حدث هذا؟! أنا لا أرى النجوم في السماء.

شعرت بالألم يزحف لجسدها رويدًا فحاولت تجاهله، حتى هاجمها بضراوة جعلها تجلس وتضم ركبتيها حتى بدأت بهمهمات متألمة انتهت بصرخة كبيرة وجسدها يتمزق بعذاب شديد، حاولت أن تلتقط أنفاسها هباءً، ارتعدت الغيمة واهتزت بشدة مما جعلها تمد يدها لتوجهه الغيمة للجزيرة على عجل ويدها الأخرى تتمسك بالغيمة.

جسدها لم يتحمل الألم الشديد ولم تتحملها الغيمة الضعيفة فانشقت نصفين لتقع إيتا على أرض الجزيرة مغشيًا عليها.

*****

بعـدما أمـر ولـديه أن يتركـاه هـو وكفيـائيل بمفردهمـا، وخـرج الأخوان ينظران لبعضهما البعض بانتصار.

وقف الملك والغضب يتصاعد لقمة رأسه وهو يـرى ولده يقف ثابتًا لا يهتز وكأن ما قاله لهم أمرًا عاديًا ومألوفًا.

-ما هذا الذي قلته يا كفيائيل؟! هل جننت؟!

سأله بحنق وهو يقترب منه.

أجابه كفيائيل بهدوء ظاهري يُخفي ما بداخله من ثورة حاول إخمادها حتى لا يُغضب والده:

-لا يا أبي أنا لست مجنونًا أنا عاشق وأريد أن أتزوج من أعشق ولا أريد شيئًا سوى ذلك.

نظراته اشتدت غضبًا مخاطبًا إياه بقسوة لم يعتادها معه:

-تريد مخالفة القوانين وأنت الملك؟! فماذا يفعل العامة إذن؟!

رفع رأسه ينظر إليه وبإصرار شديد جعل نبرة صوته تعلو على أبيه:

-أنت يا أبي من جعلتني الملك، أنا لا أريد أن أصبح الملك جُل ما أردته أن أتزوج من أحب وأنجب أبنائي في سلام.

لم يتخيل يومًا أن يُصبح ولده الأكبر بهذا الضعف، كم تمنى أن يكون قويًا وذا شأن كبير، لقد ظن أنه حين يُغدوا الملك الأعظم سيتحمل عبء المملكة ولن يتهاون قط في قوانينها.

يبدو أنه أخطأ ولأول مرة في حياته في جعله ملك البحار.

سمع كفيائيل نداءً يعرفه جيدًا فقال لأبيه:

-قائد جيوش المسلمين يستدعيني سأذهب إليه.

ثم تركه وهو في حيرة من أمره، فهو يعرف والده الملك جيدًا لن يمرر الأمر بسهولة.

*****

وقف على الشاطئ أمام المملكة الكبيرة يستدعي صديقه كفيائيل الذي أتاه على الفور، يرحب به بحفاوة ليبادله بني النعمان ترحيبه بترحيب حار، بعدما تبادلا الحديث المعتاد والسؤال عن أحوالهما سأله كفيائيل:

-ما الذي جاء بك لمملكتنا؟!

أجابه نعمان بلطف شديد لم يعتد عليه كفيائيل:

-أريد مقابلة أبيك الملك.

تقدمه كفيائيل نحو المياه قائلًا:

-حسنًا اتبعني للقصر الكبير.

تبعه نعمان داخل المياه حتى وصلا للقصر، التقط بني النعمان أنفاسه حين دخل المملكة ليرحب به الجنود ترحيبًا شديدًا، فجميع جنود الجن يعرفونه جيدًا.

طلب كفيائيل الإذن بالدخول لعرش الملك فأذن له أبوه ليصحب

بني النعمان من خلفه، ينحني بإجلال أمام الملك الكبير ليعرف نفسه قائلًا:

-بني النعمان قائد جيوش المسلمين من مملكة الملك الأبيض.

ابتسم له الملك بود وهو ينظر لكفيائيل نظرة ذات مغزى:

-لقد سمعت عنك الكثير بني النعمان وكانت لدي أمنية بمقابلتك.

بادله نعمان الابتسامة:

-شرف لي مقابلتك مولاي الملك.

نظر الملك له ليفطن ما جاء من أجله بني النعمان ليباغته بالقول:

-جئت طلبًا للمساعدة.

أومأ نعمان برأسه:

-نعم يا مولاي أريد مساعدة جيشكم في هذه الحرب القائمة مع الشياطين الملاعين.

وقف الملك بمحاذاة مقعده الوثير قائلًا:

-حسنًا يا بني أنا وجيشي على أتم الاستعداد من الآن.

ظهرت السعادة على وجه بني النعمان فهو في حاجة ماسة للجن المائي، أحنى رأسه باعتزاز أمام الملك وبصوت يغلب عليه الفرح قال له:

-أنا مدين لك يا مولاي.

استدعى الملك والديه تحت أنظار كفيائيل الحانقة لما يفعله والده، فجائه الاثنان على عجل ليخبرهما بحزم واضح:

-سأذهب للحرب مع جيوش المملكتين الشمالية والجنوبية وسأترك جيوش الملك الأعظم بالمملكة الكبيرة.

لم يعترض الأخوان وأحنيا رأسيهما بطاعة وإجلال، استدعى الملك قائدي جيوش المملكتين وأمرهما أن يجمعا الجيشين ويخرجا تحت إمارته.

تنحنح نعمان بحرج فأذن له الملك بالحديث:

-عفوًا يا مولاي الأمر ليس عاجلًا لهذه الدرجة، جهز جيوشك على مهل فأمامنا على الأقل يومان.

صرف الملك القائدين بقوله:

-نفذا الأمر حالًا.

ثم خاطب بني النعمان بلهجة حازمة:

-أنا سمعت عن الحرب منذ عدة أيام، وكنت أنتظر مجيئك لطلب المساعدة، لم أرغب بالتدخل دون طلب لهذا، أنا متأهب للخروج الآن.

-حسنًا يا مولاي كما تريد.

قالها نعمان وهو يخطو للخلف خطوتين، حتى أصبح بجوار كفيائيل ليهمس له:

-ما بك يا صديقي؟!

نظر كفيائيل نحوه وقبل أن يتحدث اقترب الملك منهما فتراجع كفيائيل قائلًا:

-فيما بعد.

انسحب بني النعمان للخلف عدة خطوات ليترك للملك مجالًا ليتحدث فيه مع ولده دون حرج منه، وضع الملك يده على كتف ابنه الاكبر مخاطبًا إياه بحزم واضح:

-فكر جيدًا في عواقب قرارك يا بني حتى عودتي، وأنا متأكد أنك وقتها ستكون اخترت ملكة تليق بك وبعرشك.

ضم نعمان حاجبيه ونظر لكفيائيل من فوق كتف الملك، ليبادله الأخير نظرته بنظرة حانقة فهم منها نعمان الأمر، دخل القائد الأعلى يخبر الملك:

-الجيوش استعدت للخروج يا مولاي.

تقدم الملك للأمام وهو يقول:

-هيا بنا يا بني النعمان.

خطا نعمان خلفه حتى أصبح بجوار كفيائيل ليقترب من أذنه قائلًا:

-لنا لقاء آخر يا صديقي وتذكر جيدًا لا تتزوج إلا من تحب.

ثم غمز له بعينيه وأسرع خلف الملك، ليصطف الجنود خلفهم

بانتظام وينطلق الجميع للحرب التي في أوجها.

زفر كفيائيل بضيق شديد وترك أخويه يودعان والدهما وخرج من القصر يشعر بالاختناق مما حدث مع والده، فذهب لملاذه الوحيد.

صعد على الجزيرة يبحث عنها بعينيه حتى وجدها في منتصف الجزيرة تفترش الأرض في وسط الأشجار الكثيفة، انطلق نحوها وشعوره بالخوف يزداد كلما اقترب منها، حتى جثى على ركبتيه أمامها وهو يضع يده على وجهها برفق والخوف يتصاعد بداخله وهو يناديها:

-ما بك يا إيتا؟! استيقظي أرجوكِ.

لم تجيبه وعيناها ما زالتا مغلقتين وجسدها يهز بشكل غريب، مما جعله يشعر بالفزع من مظهرها هكذا.

حملها بين يده واختفى بها ليظهر أمام كهف سري يخصه، وضعها على الحجر العريض الذي صنعه بيده في منتصف الكهف ثم أسرع نحو المملكة ليجلب الحكيم الخاص بهم كي يفحصها.

جلس الحكيم بجوارها يفحص جسدها الساكن بتركيز تام ثم نظر لكفيائيل متسائلًا:

-هل تعرف هذه الحارسة يا مولاي؟!

اكتفى كفيائيل بإماءة من رأسه والذعر يظهر من عينيه، فوقف الحكيم يطمئنه قائلًا:

-لا تقلق هكذا يا بني.

-ما بها سيدي؟!

سأله كفيائيل بصوت مرتعش.

اقترب منه الحكيم مجيبًا:

-أنا لا أعرف تحديدًا ما بها؛ لكني أعرف أنها وصلت لسن الزواج وهناك أسطورة تخص حراس السماء تقول

«حين يصبح الحارس ناضجًا يدخل في سبات عميق لبضعة أيام تعود له فيها ذاكرة آبائه وأجداده من يوم خلقهم إلى الآن».

ثم وضع يده على كفته يربت عليها برفق:

-لا تنزعج فالأمر ليس خطيرًا.

ثم تركه واختفى عائدًا للملكة، جلس كفيائيل بجوارها يمرر كفها على شعرها الأسود الطويل المُلقى بجانبها ليقول بأسى واضح:

-أتمنى أن يكون لقاؤك بوالدتك أفضل من لقائي، وأرجو أن تعودي لي سريعًا فأنا بحاجة ماسة للحديث معكِ.

*****

وصلت لقصره فتلكأت في خطوتها بحرج أمام باب غرفة العرش، سألها حارس البوابة عما تريده فترددت في الإجابة حتى عزمت أمرها قائلة:

-أريد مقابلة الملك، أنا ليديا بنت الوزير هلال.

-حسنًا انتظري هنا حتى يأذن لكِ بالدخول.

وقفت تضم كفيها بعضها البعض بعدما دخل الحارس للغرفة وأغلق الباب خلفه، لحظات قليلة وخرج الحارس يمد لها يده الدخول:

-الملك ينتظرك سيدتي.

دخلت ليديا لتجده جالسًا على عرشه، وحين وقعت عيناه عليها نزل من على كرسيه لتتقدم هي منه عدة خطوات للأمام، ليتقابلا في منتصف الحجرة الكبيرة، وبصوت لطيف قال لها:

-كنت أنتظر مجيئك.

نظرت نحوه بدهشة ليُكمل هو:

-عرفت من أخي أن والدك صار الآن بخير.

أجابته بسعادة:

-نعم لقد أصبح بخير تمامًا، وهذا ما جئت إليك بشأنه.

أمسك بكفيها واقترب منها حد الالتصاق ليقول لها بصوت خافت:

-أنا رهن إشارتك يا ليديا، لكن علينا أولًا الذهاب لغرفتي الخاص.

ظهر الغضب على وجهها وتلونت عيناها بالأحمر الناري لتبتعد خطوة للخلف وهي تسحب كفيها من بين يديه قائلة:

-أرجوك يا مولاي الملك أنا لست جارية من جواريك.

ثم التفتت لتخرج من الحجرة ليوقفها هو معتذرًا:

-أعتذر منك يا ليديا فأنتِ بالطبع لست بجارية، لن أنكر اشتهائي لكِ ورغبتي الشديدة فيكِ وفي لمس جسدك الجميل؛ لكني أعدك أن أفعل ذلك بعد زواجنا إن وافقتِ.

تفاجأت بطلبه هذا وظهرت الدهشة جلية على وجهها، لم يشعرا الاثنان بدخول دريائيل الغرفة عليهما ليقف دريائيل خلف العمود الكبير قبل أن يلاحظه أحدهما ليستمع ما يجري بينهما.

تنحنحت ليديا بحرج وأخفضت رأسها بخجل وهي تسأله:

-هل أنت واثق من طلب زواجك بي يا مولاي؟

رفع رأسها بسبابته قائلًا بخفوت:

-هذا هو ما أتمناه ليديا واليوم قبل غد.

ابتسمت له باستحياء جعلت رغبته تحترق بداخله ليدنو منها حتى التصق بها.

فلم يستطع دريائيل رؤيتهم أكثر من ذلك ليختفي على الفور قاصدًا بورجا التي وصل لكهفها في لمح البصر لتقف هي بفزع من مداهمته لها بغتة تتساءل:

-ما الذي حدث يا مولاي؟

أخبرها بغضب حاول إحكامه بداخله:

-جئتك بهدية لا تقدر بثمن، فقط ستفعلين ما أمرك به دون زيادة

أو نقصان.

أومأت برأسها وقد انفرجت شفتاها بابتسامة واسعة وهو يُخبرها بالمطلوب.

*****

بعد مرور عدة أيام قضها معها في الكهف وهو يزينه تارة بالأحجار الكريمة والنادرة وتارة بصنع فراش كبير من المرمر الخالص الذي جاء به من أعماق البحار ليُصبح الكهف غاية في الجمال يخطف الناظرين.

وضع الحجر الزمردي الكبير في مقدمة الفراش ليصبح كل شيء كما تخيله وتمناه لا ينقصه شيء سواها، حملها بين يديه ليضعها على الفراش الوثير وجلس بجوارها يمرر سبابته على وجهها بأكمله وهو يحدثها:

-لقد مرت أربعة أيام يا ليديا هيا استيقظي يكفي هذا الذعر الذي يصيبني، كلما اهتز جسدك وارتعش كأن أحدهم يعذبك في نومك.

بدأت تُحرك رأسها ليصدر من فمها عدة تمتمات، جعلته يشعر بسعادة كبيرة ليمسك كفيها يقبلهما وهو يشجعها بالقول:

-هيا حبيبتي أنا معكِ هنا.

فتحت عينيها السوداء القاتمة تنظر حولها بذهول مما تراه، وكأنها ما زالت ترى ذكريات أجدادها، حتى وقعت عيناها على وجهه الذي تعشقه وعيناه الذهبيتين اللامعتين جعلتها تسحب

كفيها من بين يده تحسس بهما وجهه ليستجيب لها بابتسامته المميزة وهو يقول:

-حمد الله على سلامتك يا حبيبتي.

ضيقت عينيها بحزن ليسقط كفيها من على وجهه لتترقق عيناها بالدموع فنتفض جسده من أجلها ليحيط وجهها بكفيه، وقبل أن يسألها ما بها سبقته قائلة:

-أريد الذهاب لأبي يا كفيائيل!

*****

# الفصل الثامن

اقترب منها يضمها إليه بقوة وهو يتنهد:

-هذه كانت ذاكرة آبائك وأجدادك يا إيتا.

أبعدته عنها برفق وهي تهز رأسها نفيًا:

-لا يا كفيائيل أبي حي وموجود.

ظهرت الدهشة جلية على وجهه:

-حسنًا يا حبيبتي قصِ لي ما رأيته.

نظرت لعينيه الذهبيتين البراقتين ليبث لقلبها الطمأنينة، حتى شعرت بحبه ينمو بداخلها وهي تنظر حولها لما فعله هذا الجني من أجلها، أمسكت بكفه تحضنه بين يديها محدثة إياه برقة بالغة وخجل لون وجهها اللامع:

-هل حقًا أنا حبيبتك؟!

سحب يده من بين كفيها ليمسك بكفها يقبله بعشق وهو يقول لها:

-هل ما زال بداخلك شك؟!

ثم نظر للكهف حوله وهو يشير لها بيده قائلًا:

-بعد كل هذا؟!

ابتسمت له بملامح يكسوها الحزن لتسأله:

-هل ستتركني يومًا كما فعل أبي؟!

هز رأسه نفيًا وهو يردد:

-لا يا إيتا مستحيل أن أفعل.

أخفضت رأسها بألم قائل:

-أتمنى ذلك.

رفع وجهها بسبابته متسائلًا:

-ماذا فعل والدك؟

أخذت نفسًا عميقًا ليخرج صوتها مهزوزًا وهي تقول له:

-والدي من سلالة الحرس الأصليين ولذلك يُعد أقوى حارس في السماء، تزوج أمي في سن الزواج المعتاد لنا ليُنجب منها مئة وخمسين حارسًا كنت أنا أولهم، ولهذا أنا أرث صفاته النادرة والقوية.

ربت على كفها الذي بين يديه لتُكمل:

-رأيت شجارًا بينهما لم أفهمه جيدًا لصغر سني لهذا ترك أبي لي رسالة في مكان ما أعرفه من رؤياي.

خاطبها بمنطقية:

-تستطيعين سؤال ملكتك عما حدث بينهما.

ترقرقت عيناها بدموع حبيسة وغزت جفنيها وقد اعتادت مؤخرًا

هذا الشعور لتجيبه بأسى:

-لقد طردتني أمي من القصر حينما عرفت بأمر زواجنا.

ثم أشارت بعينيها للكهف وما يحوي لتُكمل:

-لم يعد لدي بيت سوى هذا الذي فعلته من لأجلي.

جرها نحو صدره ليحتضنها بقوة وهو يقول:

-وسأفعل لكِ دومًا ما ظننته مستحيلًا.

ثم ابتعد عنها قائلًا بحماس واضح:

-هيا بنا لنرى ماذا كتب لكِ والدك.

صراخ والدته باسمه جعله يتوقف لتفزع إيتا من سمعها إياه وانتفاض جسد كفيائيل بجوارها لتعاجله بالقول:

-خذني معك.

أمسك بيدها وانتقلا سويًا للشاطئ أعلى المملكة ليترك يدها قائلًا:

-انتظريني هنا يا إيتا وعديني لا تنزلي للأسفل قبل أن أسمح لكِ.

أمت برأسها وتركته يذهب لتجلس هي على الشاطئ وبعينيها الثاقبتين سترى ما يحدث معه بالأعماق.

جنود يصلوا للمئة يقفون صفًا أمام عرش الملك يتقدمهم قائدهم الذي يبدو عليه الحزن الشديد، بينما تقف الملكة أمامهم وقد بدا

وجهها يكسوه الدموع وعيناها تأبى أن تنفتح لترى ما يحدث حولها، وقف كفيائيل في المقدمة وأخواه على جانبيه ليتسلم من القائد جرة ذهبية نظر لها بأسى وكأن نهاية العالم اقتربت، جعدت ملامحها بألم حين سمعته يقدم التعازي على موت الملك الأكبر، ويشدوا لهم بعض كلمات الرثاء التي اخترقت قلبها وجعًا لأجل حبيبها.

التفت القائد وخلفه الجنود نحو الرعية لينحني لهم إجلالًا للملك ثم انسحب معتذرًا ليقف كفيائيل بثبات يناقد ما بداخله قائلًا:

-لقد مات الملك من أجل الدفاع عنا وعن قبائل المسلمين ونحن جميعًا نفخر أننا تحت ولايته، وأنا بشكل خاص دومًا كنت أفخر أنه والدي وسوف أتبع مسيرته مهما حييت.

ثم خطى نحو المياه خارج القصر، ليتبعه جميع المملكة حتى وصل لمنتصف المياه ليفتح الجرة الأولى وينثر جزءًا من رفات والده الذي يُشبه النيران المتوهجة، لتسبح داخل المياه تنير عتمة القاع حتى سقطت واستقرت في الأعماق، ثم أمسك بالجرتين الباقيتين ليسلمهما لأخويه وفي كل يوم من الثلاثة أيام سينثر أحدهم جرة بحضور الرعايا بأكملهم، لينتهي الحداد مع آخر جرة بها رماد والدهم.

خرج نعمان من المياه والحزن يكسوه على هذا الملك الطيب ليقف حين سمع صوتها تناديه:

-أيها القائد انتظر من فضلك.

التفت نحوها ينظر إليها بتعجب والدهشة هي سيد الموقف،

لينظر للسماء ومنها إليها قائلًا:

-ما الذي جعلك تهبطين للأرض؟!

نظرت نحو الجنود خلفه ليشير إليهم نعمان فابتعدوا عنهما لتسأله بحرج:

-كيف مات الملك؟!

لمعت عيناه بذكاء:

-لماذا تهتم حارسة بموت أحد ملوك الجن المائي؟

تلكأت بحرج وهي تجيبه:

-ما يهمني هو ولده الأكبر، وأرجوك أجب على سؤالي دون مواربة.

تنهد نعمان عندما فطن الأمر ليجيبها بحزن:

-كانت حربًا ضارية بين ممالك المسلمين والشياطين الملاعين، ولم ينج ملك البحار.

هاله لمعة عينيها التي أضاءت مثل النجوم وهي تسأله بجدية وترقب:

-ومن انتصر؟!

اعتدل بثقة مجيبًا:

-لا تنتصر الشياطين في حرب أنا قائدها.

نظرت له بإعجاب جعله يشيح بنظره عنها ليستأذنها في العودة لمملكتـه، شعرت بـالحرج من نظرتها التي لم تستطع السيطرة عليها لتوقفه معتذرة:

-أعتذر منك على إهدار وقتك يا...

-بني النعمان.

أجابها وهو يستعد للاختفاء فأوقفته سريعًا:

-لحظة من فضلك يا بني النعمان.

عاد إليها يطأطئ رأسه استحياءً منتظرًا سؤالها، فعاجلته بالقول:

-مؤكد قد سمعت بهجوم الشياطين على قصرنا.

أجابها بنعم وهو ما زال يتجنب النظر إليها، لتُكمل بحرج:

-رأيتـك قائـدًا عظـيمًا فـأردت أن تخبـرني بحـل رادع لـهم كـيلا يعودوا أو خطة هجوم استثنائية ندافع بها عن القصر حتى لا يستطيعون الاقتراب منا مرة أخرى.

رفع رأسه دون التحقق من وجهها كما فعل في السابق ليجيبها:

-أمـر كـهذا بسـيط جـدًا، سأضع لكِ خطة محكمة تردعهم للأبد وحين أنتهي سأسلمها لكفيائيل.

شكرته على تفهمه ورقته معها ثم تنحنحت بحرج وهي تقول:

-أعرف أنني أزعجتك وأعتذر لذلك؛ لكني أردت أن أستشيرك في شيء آخر؟

انتبه لها نعمان وهو يهز رأسه إليها لتتساءل:

-هناك شيطانة ملعونة تسمى عائنة!

ضم حاجبيه ليستمع بتركيز فأكملت:

-توسوس لي ليلًا ولا أستطيع السيطرة على صوتها في أذني فكما تعرف أنني...

اوقفها نعمان قائلًا:

-هذا الأمر يساعدك فيه يوناس فهو يعرف جميع نقاط ضعفهم وبالأخص أبناء عزازيل.

-من يوناس؟!

أجابها بفخر شديد:

-ولدي وحامل كتاب أسرار الجن.

*****

وقفت في منتصف الردهة الكبيرة وحولها خمسة من أبنائها الأكبر سنًا، تُعطي لهم بعض الأوامر لمحاصرة أحد السحرة وشياطينه المعاونين له، شعرت بوجوده في القصر فظهر عليها الارتباك مما جعلها تصرف الحرس وتعود لمكتبها لمقابلته.

دخلت غرفتها وأغلقت الباب خلفها بحركة سريعة من يدها ثم التفت نحوه بحنق ظاهر قائلة:

-لما لم تستدعيني في مكان آخر غير القصر كما كنت تفعل من قبل؟!

ابتسم لها بعشق وهو يقترب منها يُمسك كفيها يقبلهما، وهو ينظر لعينيها التي التمعت مثل النجوم للمساته وهو يقول بغرور تعرفه جيدًا:

-الملك الأبيض يدخل كل الأبواب دون استئذان.

رفعت زاوية فمها بابتسامة وهي تردد:

-كما دخلت قلبي من قبل دون استئذان.

ارتسمت علامات الحزن على وجهها فسحبت كفيها من يده وهي تنظر لعمق عينيه التي تلونت بالأسود القاتم لتقر حقيقة تعلم جيدًا أنه يعرفها؛ لكنه لم يعد يحتمل الفراق مثلها؛ لكن هي لن تفعل ما يتمناه سويًا:

-أنت تعلم جيدًا أني أحبك أليس كذلك؟!

أجابها بحزن بالغ:

-معرفتي أو عدمها لن تفيد بشيء يا ڤيجا.

كادت أن تُكمل حديثها فأوقفها بإشارة من يده ليخبرها:

-لم أتي لنتحدث في أمر نتكلم به منذ قرون دون جدوى.

أسبلت جفنيها بأسى ليُكمل هو:

-لقد مات ملك البحار.

رفعت عينيها ثانية بتعجب لتتساءل سريعًا وترجو أن تكون الإجابة كما تتمنى:

-كفيائيل؟!

-لا والده.

جلست على مقعدها بخيبة أمل، فاقترب يجلس في المقعد أمامها وبصوت صارم حدثها:

-انظري لي يا ڤيجا.

فعلت ما طلبه ليخبرها وهو يشعر بالضجر من رأسها الصلب:

-والده كان يساعدنا في حرب المسلمين مع الشياطين، وأنت تتمنين أن تعود ابنتك اقبلي بزواجهما يا ڤيجا ودعي الأمور تأخذ نصابها الصحيح.

هزت رأسها بعنف وقد علت نبرة صوتها عن المعتاد:

-لن أتخلى عن مبادئي مهما حييت، ولن أخرق القوانين من أجل أي أحد حتى لو كانت ابنتي الكبرى والملكة القادمة.

وقف الملك الأبيض بعنف لينظر نحوها نظرة حفظتها عن ظهر قلب، وقبل أن تعتذر له اختفى وتركها تعود جالسة بألم تخطى كل ما سبق، استأذن خباء للدخول فأذنت له ليدخل بهدوء يحدثها:

-كنت أريد أن أتكلم معك في أمر إيتا يا أمي؟

هي تعلم خباء جيدًا لا يناديها بأمي إلا إذا أردها أن توافق على شيء ما، أشارت له ليكمل حديثه:

-أن أعلم أن إيتا فعلت خطأ كبيرًا لكنها ستظل الكبيرة والقوية ولن نستطيع التخلي عنها بهذه البساطة.

-وما الذي تقترح عليّ أن أفعله حيال ذلك؟!

عيناه التمعت برجاء تراه لأول مرة على ولدها ليقول لها:

-أرجو أن تسامحيها يا أمي وأنا سأجعلها تعتذر لك وتعود للقصر.

وقف بلقين يسترق السمع بأذنٍ مرهفة ينتظر إجابة ملكته ليُصدم حين سمعها تقول لأخيه الأصغر:

-حسنًا يا خباء إن فعلت إيتا ما قلته سأفعل أنا ما طلبته.

ابتسم له ولدها وأستأذن بالخروج ليختبأ بلقين بجوار غرفة الملكة في إحدى الزوايا حتى لا يراه أخوه، وبعد أن مر خباء قرر بلقين أن يفعل آخر شيء سيقضى على إيتا هذه المرة ولن ينتظر خطط الشياطين ثانية!

*****

يجلس على صخرة في أحد الشواطئ النائية يرخي قدميه في الماء، وبيده صنارة صيد يسدلها داخل الماء وينتظر أن تهتز بما تحمله من سمكة كبيرة، مثل كل يوم وهو يرتل ترتيلًا خاصًا بحرس السماء يتذكر وجهها البراق وعينيها المضيئتين اللامعتين وهما يتلوان هذا الترتيل سويًا حين يكونان في أحسن حالتهما.

وجد دوامة عميقة أمامه فصك أسنانه بغيظ ليخرج منها سمكة كبيرة الحجم تكفيهم طعامًا لأيام، شعر بالسمكة وهي تتلوى على الرمال خلفه وجوارها ولده يضحك ضحكة مكتومه ليحدثه بغضب:

-كم من المرات حذرتك من استخدام قوتك في العلن؟!

ضم حاجبيه وزفر بضجر ليلتفت له والده ينظر إليه فأجابه:

-لا يوجد أحد بالشاطئ يا أبي، وأنا أردت مساعدتك كي نعود للمنزل سريعًا.

استمر بالنظر إليه فأرخى جفنيه بأسف قائلًا:

-أعتذر منك لن أفعلها ثانية.

تقدمه بعدة خطوات وهو يقول:

-أحمل صيدك وستعود المنزل مشيًا.

ثم اختفى من أمامه وهو يزبد ويلعن نفسه على أنه أغضب والده، وصل للمنزل فوجدها تقف أمامه تنظر نحوه وهي تتحدى نفسها ألا تتذكر سنوات كثيرة عاشوها سويًا في سعادة كانت تظنها دائمة.

علامات الدهشة ارتسمت على وجهه وهو ينظر إليها، بينما خرج والده الأكبر من المنزل ليراها واقفة بشموخ فظنها تريد أذية والده فرفع كفيه أمامها ليقذف نحوها كرة من نار أزاحتها من أمامها ببساطة وقبل أن يقذف عليها كرة أخرى أوقفه والده

بزعقة جعلته يعود للداخل وهو لا يفهم شيئًا.

أشار لها سيريوس لتتبعه حتى وصل لأطراف الجزيرة في مكان لا يأتي إليه البشر، وقف يتأمل ملامحها التي عشقها من قبل، بينما هي استعادت لحظات عاشتها بألم على ما فعله بها ليتساءل هو بعجب لم يُخفه:

-ما الذي أتي بكِ إلى هنا يا ڤيجا بعد كل هذه القرون التي عشتها دون سؤال منك عن أحوالي؟

أجابته بقوة لم تختفِ أو تقل عبر السنين:

-أنا لم أتِ هنا لأجلك أنا أتيت من أجل ابنتي الكبرى والملكة القادمة.

تسلل الخوف لقلبه ليستمع ما تقوله جيدًا وهو يتمنى أن تكون ابنته بخير لم تنتظر منه سؤالًا عما جرى لها، لتخبره هي ما حدث بنفس القوة وثبات وكأنها تحمله ذنب ما فعلته إيتا:

-لقد أحبت ابنتك ملكًا من ملوك الجان وتركت القصر وذهبت إليه ولا تريد العودة.

شعر بالراحة تخلل صدره وهو يتنهد بهدوء وصل للسعادة ليقول لها:

-أتركيها يا ڤيجا تعيش كما يحلو لها.

تصاعد الغضب على وجهها ليُشع جسدها بالضوء الساطع وهو تصرخ به:

-لقد ظننت للحظة أنك تغيرت.

حاول الاقتراب منها بضع خطوات لتوقفه بإشارة من كفها وهي تحذره:

-لا تقترب.

وقف مكانه ليسألها بهدوء:

-ما الذي تريدين مني أن أفعله من أجلها يا ڤيجا؟!

أخبرته وقد هدأت ثورتها قليلًا عندما شعرت أنه يريد مساعدتها:

-لقد أتمت إيتا عامها الثلاثمائة والخمسين، ومؤكد رأت كل ما حدث بيننا وستبحث عنك أنا أعرف ابنتي جيدًا، أريد منك أن تطلب منها العودة للقصر، وألا تتخلى عن مهمتها في الحياة كما فعلت أنت، وأنك نادم على ما فعلته.

ضم حاجبيه بتعجب وهو يسمع حديثها ليجيبها وهو يهز رأسه ويردد:

-لا فائدة منك، لم تتغيرين عبر كل هذا الزمن.

شعرت بالإهانة ليُكمل هو دون أن يترك لها مجالًا للرد:

-أنا لن أكذب على ابنتي يا ڤيجا، أنا لم أندم يومًا على ما فعلته ولو عاد بي الزمن سأترك القصر وأعيش حياتي الهادئة كما تمنيت، لكني رجوت دومًا مرافقتك وما زلت أرجو ذلك.

شعرت بالغضب الشديد نحوه وكتمت غيظها قدر استطاعتها

وهي تردد:

-رغبت دومًا في نيل كل شيء ولا أحد في هذه الدنيا ينل كل ما يرغب يا سيريوس.

ثم تركته يحرك رأسه بضجر لقد تمنى للحظة أن يكون مجيئها لأجله؛ لكنها ڤيجا على أي حال لن تتغير أبدًا.

*****

صراخه تزايد وهو يهدر بهم جميعًا:

-لن تشارك أي مملكة من ممالكنا في حرب ثانية مهما حييت.

أوقفته والدته بنظرة صارمة فلم يعيرها اهتمامًا ليُكمل صراخه:

-أبي مات من أجل الجن الضوئيين ولقد أخطأ حين قرر مساعدتهم ونحن لن نخطئ مثله.

أوقفته أمه بزعقة جعلته ينسحب لمملكته وهو ما زال غاضبًا من موت والده، رأته يدخل قصره فتبعته لتوقفه:

-تعازي لموت الملك الأكبر يا مولاي.

صوتها جعل قلبه يرتجف فالتفت نحوها ينظر لعينيها قائلًا:

-تزوجيني يا ليديا؟!

ارتعش جسدها تأثرًا بينما انعقد لسانها فلم تستطع الرد عليه ليُكمل هو بلهفة لم يعتادها:

-حين ينتهي الحداد على والدي سأخبر أمي وأخي وسنُعلن زواجنا للجميع.

كانت تراقبهم من خلف البوابة الكبيرة، حتى أتت أختها الصغيرة تصيح بصوت مرتفع:

-ماذا تفعلين هنا يا مندا؟

وضعت يدها على فمها وانتقلت بها لبيتهم تعنفها:

-هل أنتِ مختلة؟!

رفعت كتفيها بتساؤل قائلة:

-ماذا فعلت؟!

صكت أسنانها بغيظ قائلة:

-كنتِ ستُضيعين كل خططي أيتها الحمقاء؟!

ضيقت عينيها:

-وما خططك أيتها الملكة؟!

أمسكت بشعرها الطويل تداعبه بعنج وهي تخبرها:

-بالفعل لم تخطئي أختي العزيزة فأنا سأصبح ملكة البحار.

اقتربت منها أختها بجدية تسألها:

-وكيف ستفعلين ذلك؟!

أجابتها وهي تلتف حولها:

-سأتزوج الملك طوطيائيل ووقتها سأغدو ملكة البحار الشمالية.

أمسكت أختها مرفقها لتوقفها عن الدوران حولها قائلة:

-ولما طوطيائيل بالتحديد؟! كنت أظنك ستقولين كفيائيل.

حركت رأسها وهي تسحب ذارعها من قبضة أختها وتتمدد على أريكتها الفضية المرصعة بالأحجار:

-راقبت الثلاثة ملوك في الأسابيع الماضية، ولم أجد منهم سوى طوطيائيل.

جلست أختها أمامها قائلة:

-اشرحي لي أكثر.

نظرت لها باهتمام لتوضح لها الأمر:

-الملك كفيائيل له من الهيبة والحكمة ما يجعله مستحيل المنال، أما أخيه دريائيل فيملك من الدهاء والمكر ما يجعله صعب المنال، وسيعرف فورًا ما أنوي فعله، ولهذا طوطيائيل هو الخيار المناسب فهو يملك من التهور والغباء ما يجعله فريسة سهل الحصول عليها ببساطة.

-وماذا عن ليديا التي عرض عليها الزواج اليوم؟!

أجابتها بابتسامة عريضة:

-لن يتزوجها فأخيه دريائيل سيأخذها منه بأبشع الطرق.

*****



# الفصل التاسع

حين خرجت الملكة من غرفتها انتظر بلقين بعض الوقت حتى تأكد من عدم وجود أحد حول غرفتها، ثم تسلل للداخل وأغلق الباب خلفه بهدوء، جال بعينيه في أركان الغرفة فلم يجد شيئًا ملفتًا فمن عادة والدته إذا خرجت من غرفتها أخفت كل محتويات الغرفة بخروجها؛ لكنه قرر أن يجازف بالبحث عما يريد.

أخرج خصلة من شعر والدته الملكة لينفث بها ببضع كلمات كما علمه دنهش، تحولت الخصلة السوداء للون الأصفر المضيء ثم التفت في الغرفة الفارغة بأكملها وكأنها تبحث عن شيء ما حتى وجدته فوقفت الخصلة فوق الشرفة، ثم تحولت لرماد وسقطت على أرضية الغرفة الحجرية.

خطى بلقين نحو رماد الخصلة وأمسكه بيده لينثره على الشرفة حتى ظهر الحجر يتلألأ مثل النجوم الساطعة، نظر للسماء فوجد القمر يواجهه، تصاعد الغضب والحقد في قلبه أضعافًا، فالجميع يعلم أن والدتهم تفضل إيتا عن الجميع لكن لهذه الدرجة لم يكن يتخيل!

التقط الحجر بكلتا يديه وخرج من غرفة الملكة مندفعًا نحو زنزانة دنهش.

*****

دخلت القصر على استحياء وهي تتجنب النظر لجوانبه؛ لكنها

رفعت رأسها حين أشار لها بني النعمان:

-اجلسي هنا حتى أعود.

تفحصت القصر سريعًا عندما اختفى، لتجده يعود وبجانبه إنسية بها من الجمال والقبول ما جعلها تقف أمامها تحييها بابتسامة جلية.

خاطبها بني النعمان وهو ينظر لروهان بعشق:

-هذه زوجتي روهان.

ابتسمت له ثانية وهي تشعر بطاقة حب كبيرة تنبعث منهما، بادلتها روهان الابتسامة بحذر ليحدثها نعمان وهو يشير نحو إيتا:

-هذه إيتا حارسة من السماء وكانت تود مساعدتنا في أمر هجوم الشياطين على قصرهم.

أشارت لها روهان لتجلس في حين اعتذر لهما نعمان وذهب وهو يخبر إيتا:

-سأضع لكِ خطة كما وعدتك وسوف أستدعي يوناس ليأتي إليكِ.

شكرته وهي تومئ إليه برأسها قبل أن يختفي وقد ظهر الامتنان على وجهها.

نظرت روهان لوجهها الذي يشع بالضوء وقد انتابتها نوبة غيظ من نظرتها لزوجها الذي تركهما وهرب كعادته، لتسألها روهان وقد

بدأ حنقها يزداد لكنها حاولت رسم ابتسامة على وجهها لأداء كرم الضيافة، كما يجب أن يكون:

-وهل سقطتِّ من السماء حتى تطلبي مساعدة زوجي؟!

قصدت الضغط على كلمة زوجي وهي ترفع لها حاجبًا.

ابتسمت لها إيتا برقة وهي تقول:

-لا لم أسقط من أجل زوجك لقد سقط من أجل كفيائيل؛ لكني تقابلت مع بني النعمان حين كان يؤدي واجب العزاء في ملك البحار.

تنحنحت روهان بحرج فباغتتها إيتا بالقول:

-لا تشعري بالحرج فلو كنت مكانك لفعلت أكثر من ذلك.

قاطعهم يوناس وهو يُقبل يد والدته ومن خلفه أتت إلينا لتشرئب بعنقها تتفحص إيتا بعينيها لتلكزها روهان في يدها فاعتدلت إلينا ليقدمها يوناس لإيتا.

وقفت إيتا مرة أخرى لكن هذه المرة ظهر التعجب على وجهها ليأتي نعمان وبيده إسطوانة ذهبية ملفوفة بعناية ليقدمها لإيتا قائلًا:

-هذه هي خطة الحماية والردع.

أجابته إيتا وهي تشير نحوهم:

-كيف تزوجت أنت وولدك من الإنس؟!

نظر لروهان بعشق وهو يجيبها:

-لقد امتلكت قلبي وجاء ولدي منها ليحذوا حذوي ويطبق قول الشاعر

« وَمَنْ يُشابِهُ أَبَاهُ فَما ظَلَمْ».

ضحك الجميع وطلب منهم نعمان الجلوس ليشير نحو إيتا:

-أخبرينا ما علاقتك بكفيائيل صديقي العزيز، ليجعلك تتركين قصرك ومهمتك في الحياة لأجله؟!

تنهدت إيتا لتبدأ بقص حكايتها مع الشياطين وكفيائيل وما تريد أن تفعله في هذه الحياة.

*****

وقف بلقين أمام القضبان ليمُد يده نحو دنهش ليتأمل الأخير بتركيز الحجر الذي بيده ثم نظر له بتعجب، بينما هز بلقين رأسه فأخذ دنهش الحجر المضيء الذي بمجرد لمسه له جعله يُظلم مثل الليل، ظل يتفحصه بحذر وهو يتساءل:

-هل هذا الحجر يخص ما أظنه؟!

أجابة بلقين وبداخله صوت يصرخ به فهذا الحجر يمثل حياة الحرس ووجوده بيد أحد الشياطين معناه هلاك الجميع، لكنه تجاهل هذا الصوت وأخرسه بداخله وهو يُجيبه:

-نعم، هو حجر إيتا.

نظر له دنهش وقد سيطر التعجب والسعادة على وجهه وهو يقول له:

-هذه الخطوة ليست بهينة أبدًا يا بلقين وفعلها مؤكد له سبب قوي.

أجابه بلقين وهو ينظر للحجر بشرود:

-تريد أن تسامحها وكأنها لم تفعل شيئًا أو تنتهك القوانين التي طالما رددتها علينا كل يوم وليلة عشناها.

وضع دنهش الحجر بحذر ولطف في مكان خفي في زنزانته، ثم استقام ليقف أمام بلقين خلف القضبان قائلًا:

-أنت تعرف جيدًا أن الملكة لن تعيش في القصر بدون ابنتها الكبرى والحامية الأقوى.

اشتعلت عين بلقين بالكره الشديد وهو يقول:

-لم يتبقَ إلا القليل وسوف أطيح بالملكة، وسأصبح ملك الحراس وسوف أكون الأقوى بمساندتكم، أليس كذلك؟!

ابتسم له دنهش بخبث يليق به وهو يشير للقضبان:

-طالما لن يسجن أحد منا بعد ذلك خلف هذه سنكون دومًا حلفاءك يا بلقين.

التفت ليعود لغرفته فعلى صوت دنهش بسؤال يلح عليه منذ قدومه للقصر:

-ما الذي فعلته لك إيتا لكي تكرهها بهذا الشكل؟

ردد بهمس لم يصل لدنهش:

-لم تفعل هي بل فعلت أمها ويجب أن أعاقبها على ما فعلته في أحب وأقرب أولادها كي تشعر بما شعرت به أنا.

*****

وقف طوطيائيل على عرش والده ووالدته تقف جواره وعلى جانبيه يقف أخواه، بينما يقف جميع الرعايا أمامه في حداد لليوم الثاني ليرفع هو يده بالجرة الذهبية والحزن يسيطر على صوته وهو يتلو:

«يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إلى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي».

ثم فتح الجرة الثانية ليتناثر رماد والده في الماء صانعًا دومة طفيفة انتهت بسقوط الرماد في الرمال الذهبية التي تفترش المحيط.

رفع رأسه عاليًا وبدأ بترتيل نعي على روح والده وصوت الرعية يؤمنون ورائه، جعل المحيط مثل المرجل وقد ازداد هياج البحر بنوة كبيرة كانت تبتلع كل شيء بحزن يصف دواخل كل من بالمملكة على ملكهم العظيم.

وفي اليوم الثالث فعل دريائيل بالمثل حتى انتهت مراسم التشييع في اليوم الثالث، ليجلس كفيائيل بجوار والدته وعلى جانبيه أخواه يجلسان بأسى وحسرة على موت أبيهما العزيز .

وفي نهاية اليوم الأخير أعلن كفيائيل أمام الممالك الثلاث أنه أصبح الملك الأعظم بموجب قانون المملكة.

بعد أن انتهت مراسم التتويج وألبسته والدته تاج أبيه تحت أنظار أخويه الحاقدة، انفض الجمع وكل ذهب لمملكته، جلس كفيائيل مع والدته يواسيها ويشد من أزرها حتى أخبرته أنها تريد المكوث بمفردها قليلًا.

تركها وصعد للسطح متوجهًا للكهف يبحث عنها، انقبض قلبه حينما بحث عنها بعينيه فلم يجدها، بدأ يناديها بصوت مرتجف يظهر عليه الحزن الشديد.

*****

كانت تقف مع يوناس في ردهة قصر الملك الأبيض حتى سمعت صوته المُغتم فأسرعت بالقول:

-أعتذر منك على مقاطعتك؛ لكن أريد الذهاب لكفيائيل فهو الآن في الكهف يناديني.

مد كفه إليها قائلًا:

-تعالِ معي أرافقك إلى هناك.

أمسكت به وفي غمضة عين كانت تقف أمام كفيائيل، نظر كفيائيل نحو يوناس ثم نظر إليها بتعجب فباغتته قائلة:

-لاحقًا، حبيبي.

صافحه يوناس بحرج ثم استأذن منه ليختفي من أمامهما لتحدثه هي بلهفة وهي تقترب منه محتضنة إياه:

-اشتقت لك كثيرًا يا كفيائي.

تنهد بألم شعرت هي به فمسدت خصلات شعره الطويل بحنان وهي تنعي والده وتحثه بحزن بالغ قائلة:

-تحدث معي يا كفيائيل لا تصمت هكذا.

ترقرقت عيناه بدموع حبيسة ليخرج صوته شجيًا وحزينًا:

-أبي كان صديقي الوحيد يا إيتا، أنا لم أفقد الأب والسند فقط لقد فقدت الصحبة الصالحة والحب الخالص.

احتضنته ثانية وهي تربت على ظهره وتردد بهمس:

-أنا هنا، أنا معك يا كفيائيل.

أبعدها عنه ينظر لعينيها البراقتين بسحر أخاذ، ثم بدأ يقترب منها حد الالتصاق محيطًا وجهها بكفيه وهو يهمس لها:

-لذلك عدت لكِ، ومن أجلك يا إيتا، فلم يتبق لي أحد سواكِ أنتِ وأمي الغالية .

ابتسمت له بخجل لتضيء عيناها بنور جعله يضيق عينيه مخافة من الضوء الشديد، حتى إنه لم يستطع منع نفسه من التقرب من شفتيها حتى لامسهما بشفتيه ليتفاجأ بها تصده بيديها التي وضعتها على صدره لتصبح حائلًا بينهما، حتى ابتعدت عنه تمامًا وهي تحدثه بحدة:

-لن أراعي حالتك النفسية مرة أخرى يا كفيائيل.

اعتذر منها وهو على وقفته وحذرها أن تتحرك من الكهف ريثما يعود، مرت دقائق حتى أتى ومعه أحد حكماء المسلمين ليشير نحوها قائلًا:

-هذه هي العروس يا سيدي.

تفاجأت إيتا بمقولته ونظرت نحوه بتعجب، بينما نظر الحكيم نحوها ينتظر إجابتها ليقف هو بجوارها هامسًا:

-لن ترفضي الزواج مني أليس كذلك؟!

ابتسمت نحوه وبصوت عالٍ أخبرتهم:

-بالطبع موافقة.

*****

جاءه الحارس التابع له يخبره أن طوطيائيل خرج من قصره يبحث عن ليديا، صرف الحارس المكلف بمراقبة أخيه وانطلق في لحظة نحو بورجا الذي اتفق معها مسبقًا على ما ستفعله مع أخيه.

استقبلته بورجا بابتسامة يعرفها جيدًا بعدما أخبرها أن تستعد لما خططا له وتنتظر إشارته، انطلق نحو أخيه طوطيائيل يراقبه من بعيد وهو ينتظر قدوم ليديا بعدما استدعها للقائه، وفي لحظات تحضرت لها بورجا بعدما سمعت إشارة دريائيل بدأت بتلاوة السورة القرآنية الخاصة بطوطيائيل كما أخبرها أخاه!

شعر طوطيـائيل بجسده يُسحب للخلف، بينما ازدادت حرارته بالارتفاع وعقله بدأ يدور مع إنهاء بورجا كل مرة من الثلاثين مرة يفقد السيطرة على جسده.

افتعل الماء حوله بضعة دوامات صغيرة، انتهت بوحدة كبيرة وصلت للسطح وحينها اندفع طوطيائيل رغمًا عنه ليجد نفسه في كوخ بورجا!

رفع يده ليضربها ففوجئ بكلتا يديه مكبلتين بأصفاد متصلة بسلسال ينتهي بحلقة موضوعة في أرضية الكوخ الصخري، ازداد غضبه أضعافًا واشتعل جسده بالنيران وهو يصرخ بها:

-حلي وثاقي أيتها الغانية.

خطت نحوه بعنج وحذر في آن واحد، حتى وصلت لموضعه بعدما انتهت من تعويذة تسخيره ليصبح طوطيائيل ملكًا لها.

ازداد صراخه وقد توهجت عيناه لتطلق شرارًا ناريًا وهو ينظر لوجهها وجسدها الذي لا يبالي بغضبه:

-سأعذبك يا بورجا حتى تترجين مني أن أقتلك وصدقيني لن أفعل.

التصقت بجسده الواقف أمامها وهي تمرر سبابتها على بشرته الزرقاء المجعدة، حتى كادت أن تحترق يديها من حرارته؛ لكنها تحاملت على نفسها لتحاول تهدئته حتى تصل إلى مبتغاها.

زمجر بغضب أشد جعلها تسحب يدها التي اشتعلت من وضعها

على جسده لتقول له بصوت مغوٍ وهي تلتف حوله مثل الأفعى:

-لم تترك لي وسيلة أخرى لكي أخبرك بما أكنه لك يا مولاي.

ارتخى جسده تلقائيًا من صوتها، فنقطة ضعفه النساء كما قال لها دريائيل، ابتسمت حين تلون جلد جسده بالأزرق القاتم واختفى احمرار لهيبه الى حد ما جعلها تقف أمام شفتيه تهمس له بهمس حار:

-أنا أحبك سيدي وأريدك بشدة.

ابتلع ريقه بصعوبة وهو يرى الرغبة تشتعل بعينيها وقد بدأت يدها بالتجول على جسده، حتى بدأ هو بالاقتراب منها يتعلق بلمساته بشغف لتلتفت هي خلفه تبعث بالإشارة المتفق عليها لأخيه دريائيل، ثم اقتربت من أذنيه بهمس زاد اشتعاله:

-سأفك وثاقك يا سيدي كي تمنحني ما تمنيته منك.

استجاب لإغوائها وسحر صوتها وكلماتها التي انتقتها بعناية فخرج صوته الجهوري محملًا برغبة بدأت بالتهام جسده وهو يجيبها:

-حسنًا سأفعلها معك يا بورجا الآن.

*****

حين وصلت الإشارة لدريائيل خرج من خلف الصخور، ليظهر أمام ليديا التي تقف منذ لحظات تبحث عن طوطيائيل الذي استدعاها واختفى.

تفاجأت ليديا بوجود دريائيل، لكنها انحنت امامه بإجلال تتجنب النظر لعينيه احترمًا وهي تسأله:

-عفوًا يا مولاي لكن مولاي طوطيائيل استدعاني هنا منذ قليل.

ازداد ضجيج قلبه بداخله وهو ينظر لوجهها الملائكي البريء الذي أسره حين وقعت عيناه عليها أول مرة فلم يستطع إلا أن يصارحها:

-تزوجيني يا ليديا!

رفعت وجهها وجحظت عيناها تعجبًا ليقترب هو منها بشغف لم يشعر به حيال امرأة قبلها ليحدثها بجدية:

-أنا أنتظر الإجابة!

ازدادت نبضات قلبها واهتز جسدها من المفاجأة، بينما شعرت بشيء داخلها يحثها على الموافقة في الحال، فالملك دريائيل تتمناه كل فتيات الممالك أجمع، فهو دائمًا صعب المنال ذو هيبة تأسر قلب أي فتاة عاقلة لكنها أجابت أخاه بنعم فهي ليست من هؤلاء الفتيات اللعوب، عادت لرشدها وأحنت رأسها بخجل وحزن لتجيبه بصوت مرتعش:

-لقد عرض عليّ الملك طوطيائيل الزواج وأنا وافقت يا سيدي.

أظهر الدهشة على وجهه وهو يرفع وجهها بإبهامه قائلًا:

-لم يُحدث أحد بهذا الأمر أبدًا!

احتقن وجهها ليكمل دريائيل بحيرة:

-لقد أخبر الجميع قبل وفاة أبي أنه يريد الزواج من ساحرة تسمى بورجا، وأبي رفض بشدة لكنه أصر على الأمر وحين واجهته بمفردنا أخبرنا أنه يقيم علاقة غير شرعية معها من فترة ليست بقصيرة ويشعر بالذنب حيال ذلك ويريد التوبة وتصحيح الأمر.

علامات الذهول ارتسمت على وجهها وفرغت فاها وكأنها تستمع لطلاسم لا تفهم منها شيئًا، مما جعل دريائيل يتصنع الغضب والحزن وهو يقول لها:

-أنتِ لا تصدقيني، أليس كذلك؟!

وقبل أن تنطق أمسك بخصرها لينتقل بها نحو كوخ بورجا ليقدمها أمامه حتى التصقت بنافذة كوخ الساحرة ليرتعش جسدها وتهرب من بين يدي دريائيل، حين رأت طوطيائيل يجامع بورجا والأخيرة تتغزل بحبه.

ارتمت داخل الماء ليتبعها دريائيل وقد بدأ القلق الشديد يسيطر عليه من جهتين، الأولى صدمتها التي ستجعلها حذرة من ناحيته، والأخرى أن تكون وقعت في غرام أخيه بالفعل وهو لن يتحمل ذلك، صعدت على جزيرة نائية لتجلس فوقها والحزن يسيطر عليها ليجلس دريائيل بجوارها يسأله بوحشة:

-هل عشقتِ أخي؟!

هزت رأسها نفيًا لتجيبه:

-لم يمتلك قلبي لكنه أخذ كلمتي وغدر بي وهذا ما يحزنني بشدة.

تنهد براحة ناقصة لن تكمل إلا بموافقتها، ليخبرها شيئًا كانت تعرفه لكنه غاب عنها حين وثقت في أخيه:

-جميع من في الممالك يعرف أخي جيدًا فهو يعشق النساء جميعهن ولا يفضل واحدة عن الأخرى، لو أخبرتني من قبل عن عرضه لكِ كنت أعددت لكِ قائمة بأسمائهمن جميعًا.

ازداد حنقها ووقفت تسأله بحزم:

-هل ما زال عرضك قائمًا يا مولاي؟

أجابها بجدية تخالف ما بداخله من سعادة:

-ما زال قائمًا لليديا التي أحببتها وأتمنى أن تبادلني نفس الشعور.

عادت للخلف خطوة على استحياء وهي تخبره حقيقة ما بداخلها:

-لم أستطع رفض طلب أخيك الملك، ليس من أجل حبي له لكن من أجل مكانته عند عائلتي وما فعله من أجل أبي، وأتمنى أن تصدقني لو قلت لك إنني لم أسعد بطلبه كما سعدت بطلبك أنت، هذا كل ما أستطيع قوله لك مولاي.

ثم التفت نحو المياه فأمسك دريائيل بيدها ليسحبها نحوه فالتصقت بصدره لتتعالى أنفاسهما معًا ليتساءل هو بلهفة شديدة:

-ما زلت أنتظر إجابتك.

نظرت نحو عينيه الزرقاويتين اللتين تماثلان لون بشرته، لتلمع

عيناها وهي تجيبه:

-نعم أتمنى الزواج بك.

ثم ابتعدت عنه راكضة نحو المياه، ومنها لغرفتها وهي تشعر بحرارته جسدها ترتفع، بينما قلبها يكاد يخرج من صدرها بانفعال واضح، لقد وقعت في حب الملك.

*****

اقترب دنهش من الجدار الفاصل بينه وبين عائنة ليهمس بفحيح أفعى وعيناه تزداد قتامة:

-لقد أعطى لي الأبله بلقين حجر إيتا.

كادت أن تتراقص عائنة في زنزانتها ليُكمل بسعادة:

-أيام قليلة وسنعود لعملنا على الأرض.

*****

# الفصل العاشر

بعدما انتهى الحكيم من كتابة العقد الذهبي بينهما بارك لهما وتركهما في الكهف وعاد للماء، نظر كفيائيل لزوجته بسعادة يتأمل ملامحها المبتهجة وهو يتنهد بعشق قائلًا:

-لقد أصبحتِ زوجتي الآن.

ابتسمت له بخجل ليقترب منها مُقبلًا إياها بشغف جعلها تهيم به ليبتعد عنها حينما تذكر ما عليه فعله الآن.

ضيقت عينيها بتعجب من حركته المفاجئة فأمسك بيدها وهو يقول:

-يجب أن أقدمك الآن لأمي وأخواتي وللمملكة بأكملها.

هزت رأسها إيجابًا رغم شعورها بالخوف من ردة فعلهم؛ لكن زوجها الملك معها وهذا يكفيها لتشعر بالأمان طوال حياتها.

خرج من الكهف يصحبها خلفه ليقف أمام الماء متسائلًا:

-هل تستطيعين عبور الماء ريثما نصل للقصر؟!

هزت رأسها نفيًا وهي تجيبه:

-لا أستطيع؛ لكن أستطيع رؤيتكم من هنا.

ابتسم لها بعشق رأته في عينيه لتعلو نبضات قلبها هيامًا به، ليقبل هو جبهتها قائلًا:

-لا بأس يا حبيبتي انتظرني هنا.

نزل للمياه ومنها لقصره،بينما جلست إيتا تراقب بكثب ما يحدث في القاع.

اسـتدعى كفيـائيل أمـه وأخـواه لتـأتي علـى عجـل، بينمـا جـاء دريائيل مسرعًا ولم يستطع طوطيائيل الإجابة على أخيه.

نـادى كفيـائيل علـى الحـرس لـيجتمعوا أمامـه ويـأمروا المملكة بأكملها أن تتبعه هو وأمه وأخوه للسطح.

ذهب الحرس ليفعلوا ما أمرهم به ملكهم، بينما رفعت أمه صوتها بحزم:

-ما الذي يحدث يا ولدي؟!

أجابها وهو يُقبل يدها:

-ستعرفين بعد لحظات يا أمي.

جاءه الحرس يقولون:

-المملكة جميعها تنتظر ..

أمسك بيد أمه وأخيه وانطلق للسطح نحو الجزيرة، بينما عادت إيتا للخلف وهي جاحظة العينان لا تصدق ما يفعله زوجها.

وقف أمامها وبجواره أمه وعلى الجانب الآخر أخوه دريائيل ومن خلفه الوزراء والرعايا يصطفون خلفهم ينتظرون ماذا سيحدث!

اقترب كفيائيل من إيتا التي وقفت على استحياء ليُخرج التاج

الملكي الذي صنعه خصيصًا من أجلها، ثم وضعها على رأسها تحت أنظارها المذهولة مما يفعل، ليُمسك كفها بين يده ويسحبها خلفه برفق ليقدمها لأمه وأخيه قائلًا:

-زوجتي إيتا ملكة البحار جميعها.

صافحتها أمه بحنق ظهر على وجهها، ثم انتقلت إيتا لأخيه لتصافحه بابتسامة بادلها إياها بغيظ مُبطن، وهو يلعن نفسه على ركضه خلف ليديا تاركًا أخيه الأكبر يفعل ما يحلو له بعدما مات والدهم لتُحبط جميع خططه بموته.

وقف كفيائيل أمام الجميع قائلًا بصوت جهوري رج الجزيرة بأكملها:

-حيوا ملكة البحار.

انطلق الجميع بصوت واحد:

-عاشت الملكة.

أمر الجميع بالذهاب دون وزرائه المقربين، لتنسحب والدته وقد توغر صدرها مما فعله ولدها الأكبر.

أخبر كفيائيل وزراءه أن لا يستدعيه أحد خلال أسبوع كامل لينحنوا بإجلال وطاعة أمامه، حتى صرفهم لتنطلق المملكة بأكملها خلف ملكتهم، بينما اختفى دريائيل من أمامهم عائدًا لمملكته ليفكر جيدًا وبحذر في خطواته القادمة.

عائد كفيائيل للكهف وهو يُمسك بيد إيتا يسحبها خلفه ليُدخلها

ثم عاد للمياه ليأتي بصخرة كبيرة تغطي فتحة الكهف بأكملها ليغلق بها المنفذ الوحيد للدخول، تعجبت إيتا من فعلته فسألته:

-ماذا تفعل يا كفيائيل؟!

أجابها وهو يحكُم إغلاق المنفذ:

-لقد اقترب وقت الصيف وقدوم البشر إلى الجزيرة ليعثو بها فسادًا، وسيتطفلون على كل شبر هنا ولو وجدوا الكهف لن نستطيع العيش به ثانية.

انتهى مما يفعله ثم انطلق نحوها يُمسك بكفيها لتتلألأ عيناها بسعادة وهو يُقبل يدها بعشق ليقترب منها ملتصقًا بها فتبسمت بخجل وهو يقترب من شفتيها ليجعد جبهته بتعجب وهي تتجنب ملامسته لشفتيها ليتسأل بهمس مغوٍ:

-ألا تريدني؟!

على استحياء نظرت لأسفل وهزت رأسها نفيًا، ليُكمل:

-إذن دعيني أمتلكك لأطفئ نار شوقي إليكِ يا إيتا.

نظرت لعينيه اللتين تلونتا باللون الذهبي البراق، ليقترب هو منها يلتهم شفتيها وهي تنظر لعينيه بانبهار وإعجاب.

*****

استغل انشغالها بالبحث عن بعض الأعشاب ليحاول الهروب منها فلم يستطع الخروج، كلما حاول الاختفاء يجد نفسه على ذات فراش بورجا، نظر للسلاسل المربوطة في أرضية الكوخ بضيق

وتعجب لما لا يستطيع الهروب من هذا المكان برغم أنها حر دون تقييد، زفر بضيق وهو يقف بغضب يتساءل بصوت حانق وهو يصك أسنانه:

-ما الذي فعلته بي هذه الملعونة؟!

فتحت باب الكوخ الذي أغلقته بالقفل ودلفت للداخل تضع الأغراض التي ابتاعتها على المنضدة الخشبية وهي تُجيبه:

-امتلكتك سيدي ولهذا لن تستطيع الخروج من هنا إلا إذا أذنت لك بذلك.

اقترب يلتمس كتفيها بإغواء وهو يهمس في أذنيها:

-لقد فعلت معكِ ما طلبته يا بورجا ومستعد لفعلها مرارًا وتكرارًا لكن اتركيني أذهب الآن وأطلقي سراحي وأعدك أننا سنتقابل كثيرًا.

بدأ يعبث بيده على جسدها لتتنهد وتتسارع أنفاسها وهي تضع ثوبها الطويل التي ترتديه ليظهر جسدها الممتلئ المغطى بقطعة صغيرة جعلته يفقد عقله وهو يُكمل:

-أقسم لكِ أنني استمتعت كثيرًا الليلة الماضية ولهذا ستجدني أنا من يطلبك بعد ذلك.

التفت نحوه تقترب من شفتيه بنهم دون أن تمسه مما جعله يبتلع ريقه وتزداد حرارة جسده لتهمس له بدورها وهي تمرر أصابعها المحترفة على جسده:

-صحيح ما قلت سيدي؟!

هز رأسه إيجابًا وهو يلتصق بجسدها باشتهاء شديد جعلها تسأله:

-هل أستطيع أن آخذ العهد منك؟!

أجابها وهو يلهث:

-حسنًا سأفعل ما تريدين لكن اتركيني الآن.

كاد أن يحملها فوضعت يدها على صدره وقد اشتعل جسده بالرغبة لتستغل حالته هذه وتمسك بكفيه الذي تركهما لها لتضعهما على كتاب لم ينظر إليه حتى ثم قالت له:

-إذن ردد خلفي.

اومأ برأسه وعيناه تتجول بنهم على جسدها بأكمله ليردد ورائها:

-عهدٌ ووعدٌ مني أن أصبح خادمك المخلص ولن أتوانى أو أفكر في فعل ما تأمرينني به وإن فعلت فلكِ كل الحق في تعذيبي.

انتبه للأصفاد الذهبية العريضة التي حاوطت رسغيه في اللحظة التي انتهى فيها من ترديد الكلمات ليشعر أنها خدعته كعادتها، فاشتعل جسده بالغضب وهو يصرخ بها:

-ما الذي فعلته بي؟!

مررت سبابتها على الأصفاد وقد لمعت عيناها بالسعادة لتجيبه:

-لقد أخذت منك العهد سيدي لتُصبح ملكي للأبد.

*****

ظلت تتأمل ملامحه الخشنة وعينيه المغلقتين في نومه وهي تبتسم وتتذكر أول لقاء بينهما، وكم تعلقت به من رقته وهدوئه، أحست بالحزن الشديد يجتاح قلبها حين تذكرت والدتها وأخواتها وتخليها عن مهمتها الأزلية التي خُلقت من أجلها، شعور بالذنب سيطر عليها ودوامة التفكير التي لا تنتهي أخذتها في جولة حتى شعرت بالتعب الشديد فغفت في مكانها بين ذراعيه.

شاهدته يجلس على حافة الشاطئ، يُمسك بصنارته المعدنية المميزة التي تتدلى داخل الماء، وقفت تتأمله من بعيد حتى التفت نحوها يبتسم لها قائلًا:

-لقد اشتقت إليك يا ابنتي وأنا هنا أنتظرك.

ثم عاد لما كان يفعله سابقًا.

استيقظت من نومها تبحث عن كفيائيل بجورها؛ لكنها لم تجده، ظلت في مكانها تنظر للفارغ أمامها وعقلها يدور باتجاهات مختلفة، ظهر كفيائيل بيده عدة أغراض ليزين بها باقي الكهف، وضع ما بيده وانطلق نحوها يداعب وجهها بسبابته وهو يقول:

-تعجبت من غفوتك هل تشعرين بسوء؟!

هزت رأسها نفيًا قائلة:

-أريد الذهاب لأبي يا كفيائيل.

*****

ذهب لقصره أولًا يبحث عن شيء يداري به أصفاده حتى لا يراه أحد على هذه الحالة، واصل السب واللعن وهو يبحث في غرفته عن غرض ما وهو يذكر بورجا بأبشع الصفات على ما فعلته به، كلما تـذكر أنها خدعته وهـو كالمجنون ضاجعها دون تـردد لعن نفسه معها.

غـادر القصـر مُسـرعًا، وهـو يضـع أصفاد مرصعة بالأحجار فـوق الذهبية التي تخص بورجا كانت هدية من والده؛ لكنه كان يكره ارتداءها، توجه لغرفة والدته وهو ينظر نحو رسغيه بحنق شديد ليخفي ذراعيه خلف ظهره قبل أن يقابلها ليجدها تجلس على مقعدها الكبير وعلامات الغضب ترتسم على وجهها الجامد جمود الموتى وهي تنظر للفراغ أمامها.

اقترب منها متسائلًا:

-ماذا بكِ يا أمي؟!

نظرت نحوه بعينين غائرتين ممتلئتين بالغيظ:

-لماذا لم تأتِ حين استدعاك الملك؟!

ارتبك من سؤالها ليجيب بثبات ظاهري وهو يتأكد من وجـود يديه خلف ظهره:

-كنت في مهمة عاجلة.

ثم عاجلها بالقول وهو يجلس على المقعد أمامها:

-ما الذي حدث ؟!

زفرت بضيق واشتعلت عيناها وهي تُخبره:

-لقد تزوج ملك البحار بحارسة من السماء دون موافقتنا التي يعلمها مُسبقًا.

صكت أسنانها بحدة وهي تنظر إليه:

-أخوك يتحداني بعدما توفي والده، أصبحت كلمتي وأوامري دون معنى بالنسبة إليه.

أمسك طوطيائيل بكفيها بين يديه تعاطفًا:

-اهدئ يا أمي الأمر ليس بهذه الأهمية، دعيه يتزوج من يُحب.

كادت أن تصب جام غضبها عليه لتضامنه مع أخيه الأكبر؛ لكن لفت نظرها الأساور التي يرتديها ولدها، وقبل أن تتساءل عما في يديه انسحب سريعًا يودعها:

-سأذهب لمباركته وزوجته، إلى اللقاء حبيبتي.

خرج من غرفتها للبهو الكبير ليبدأ باستدعاء ليديا التي لم تجيبه رغم ندائه عليها ثلاث مرات، تأفف بضيق ثم انطلق للكهف السري ليستدعي هناك دريائيل الذي أتاه على الفور مما جعله يسأله:

-ماذا سنفعل حيال ما حدث؟! لقد تزوجها أخوك كما خططنا لكن فشلت خططنا بموت والدك.

جلس دريائيل على إحدى الصخور الكبيرة مُجيبًا:

-لم يفشل أي شيء يا طوطيائيل.

جلس أخوه بجواره يتعجب بسؤال:

-اشرح لي ماذا ستفعل؟!

نظر نحوه وقد لمعت عيناه بالمكر قائلًا:

-لن نفعل أي شيء سيقوم الشياطين بذلك.

كل ما علينا فعله وهو تسليم مكان إيتا لهم ووقتها سيقتلونها، وسوف يعيش أخزك على الانتقام لها، لن ينتبه لنا ولا لأمه وحينها سنزيحه من الحكم.

*****

وقفت أمام والدها الذي كان يجلس كما رأته في حلمها منذ قليل؛ لكن الفرق أن هناك عدة شباب حوله يلعبون بمرح ويتضاحكون، نظرت إليه بملامح جامدة تتأمل وجهه الذي لم تره منذ قرون، التفت ناحيتها مبتسمًا ليقف أبناؤه عما كانوا يفعلون، سحبت كفها برفق من قبضة كفيائيل وهي تهمس له:

-لا تقلق سأكون بخير.

وقف والدها ليخطو نحوها فأوقفه ولده الأكبر قائلًا:

-من هذه؟

أزاحه والده من أمامه وهو يتجه إليها:

-هذه ابنتي الكبرى.

تعجبوا جميعًا حين وقف أبوهم أمامها ينظر لها بلهفة لم يعهدوها بأبيهم وهو يقول لها:

-لقد اشتقت إليكِ كثيرًا.

أدَامَت النَّظَرَ إليه فابتسم نحوها وهو يقول:

-حسنًا هيا للداخل.

ثم أشار نحو كفيائيل الذي لا يراه أحد غيره هو وابنته:

-تفضل معنا يا بُني.

ليشير بعدها لأبنائه الذين لحقوا بهم:

-وأنتم اتركونا بمفردنا.

عادوا للخارج وعلامات الدهشة تعتلي ملامحهم، ليجلسوا قرب الشاطئ وهم يتحدثون بأمر أختهم التي يلتقونها لأول مرة ومع أحد لم يروه!

جلس سيريوس على مقعده، بينما جلست إيتا أمامه وما زالت عيناها تتعلق بوجهه الذي أصبح براقًا من أجلها، ليترك كفيائيل مجالًا لهم ويجلس بعيدًا عنهم.

لم تنتظر إيتا كثيرًا قبل أن تسأله:

-لماذا تركتني؟!

أجابها وهو ينظر لعينيها اللتين تشبها عينا والدتها التي طالما عشقها:

-لنفس سبب تركك للقصر وزواجك من ملك من ملوك الجان.

ظهرت علامات الغضب على وجهها وهي تقول له:

-هل أحببت أمي يومًا؟

دون تردد أجابها:

-لم أعشق امرأة سواها في حياتي.

وقفت بحنق:

-إذن أسبابنا ليست متشابهة.

وقف أمامها مقدرًا غضبها منه ليوضح لها الأمر:

-رغبتي في عيش حياة مستقرة وآمنة كانت أقوى من حبي لها.

ابتعدت عنه لتخطو نحو الباب وهي تقول:

-وأكبر من حبك لنا أيضًا.

قبض على مرفقها وهو يحذرها بحدة:

-نحن لسنا بشرًا وهذه العواطف لا تخصنا بشيء، حماية الأرض هي مهمتكم فأنا وأمك قد أدينا واجبنا إلى أن جئتم.

جعدت جبهتها باستغراب ثم رفعت زاوية فمها بتهكم ثم نظرت نحو كفيائيل متحدثة:

-انظر من يتحدث عن عواطف البشر يا كفيائيل.

أعادت النظر نحوه لتُكمل:

-أبي الذي تركنا نواجه مصيرًا يتخطى سننا بقرون حتى يتزوج من إنسية وينجب أطفالًا من الإنس يحيا وسطهم في جزيرة نائية هادئة يعيش بها حياة البشر.

هتف بها:

-الزمي حدودك يا إيتا.

أشاحت بنظرها عنه، وهي تفلت مرفقها من يده ليقف أمامها مرة أخرى قائلًا:

-مثلك مثل أمك كنت أظن أنك شعرت بما شعرت به، ولهذا تركتِ حياتك وأخواتك وهبطي للأرض لكنك لا تفهمين ولا تشعرين.

نظر لها كفيائيل بعتب ليناديها:

-إيتا لا تنسي أنه أبوك.

تمتمت باعتذار واهٍ وهي تشير لزوجها بعينيها أن يتبعها ليوقفها أبوها للمرة الثالثة قائلًا:

-انتبهي لحياتك يا ابنتي فلن يتركَكِ الشياطين، فأنا تخفيت منهم بعد فعل المستحيل فلن يتركوا حارسًا يعيش على الأرض بسلام.

أجابته وهي تختفي من أمامه:

-لا تقلق، وسوف نتقابل ثانية.

عادت للكهف يتبعها كفيائيل الذي استمر في لومها على ما فعلته

مع والداها لتقف بغضب وهي تصيح به:

-أنت تربيت تحت كنف والدك لن تشعر بما شعرت به طوال حياتي فلا تلومني يا كفيائيل.

وقبل أن يجيبها وجد نعمان يقف أمامهم، نظر الثلاثة بعضهم لبعض ليقول نعمان:

-هل أتيت في وقت غير مناسب.

سأله كفيائيل:

-لا عليك يا صديقي، ما الذي حدث أخبرني؟

نظر نحو إيتا محدثًا إياها:

-لقد وصلتني معلومة أن دنهش وعائنة يستعدون للهروب من القصر ويجب أن تعرف الملكة هذا الأمر قبل هروبهم.

- وأنتِ تعرفين أنني لن أستطيع الصعود، ومصدري في قصركم لن يستطيع إبلاغ أحد الحرس وإلا سينكشف أمره.

زفرت بضيق وهي تردد:

-وأنا أيضًا لن أستطيع الصعود!

وقبل أن يتكلم كفيائيل أكملت إيتا:

-لكني سأستدعي أحد أخواتي لأبلغهم.

ثم خرجت من الكهف تنادي:

-بلقييييييين أحضر حالًا.

هبط بلقين على عجل وقد افتعلت الرمال إعصارًا خفيفًا ليقف أمام إيتا وعلامات الحزن ترتسم على وجهه قائلًا:

-لقد اشتقت إليكِ.

أومأت برأسها متفهمة ليُكمل بلقين وهو يقترب منها:

-أنا أتفهم اختيارك يا إيتا.

رفعت كفها أمامه لتوقفه عن الاسترسال لتبلغه ما حدث:

-لم أستدعيك لنناقش ما فعلته أنا، ناديتك لأقول لك أبلغ أمي أن دنهش وعائنة سوف يهربون من السجن ووقتها ستحل الكارثة على القصر.

تلون وجهه بالأسود القاتم وجحظت عيناه بالمفاجأة ليتساءل:

-من أبلغك هذا؟!

أجابته بحنق:

-وما الذي يهم في ذلك، اصعد فورًا وبلغ أمي ما أخبرتك به.

تركها بلقين ليصعد إلى القصر، بينما عادت إيتا للكهف لتُخبر كفيائيل ونعمان ما حدث، انطلق بلقين نحو زنزانة دنهش بغضب شديد لينفجر به حتى وصل صوته صادحًا إلى عائنة:

-اعرفوا الخائن بينكم وإلا أقسم لكم أنني سألغي كل شيء وسأترككم هنا تتعفنون في زنازينكم إلى أن تقوم الساعة.

ثم تركهم وخرج يخطو بعنف نحو غرفته.

*****

اهتاج طوطيائيل عندما نادى على ليديا للمرة الثالثة وهي لم تجيبه فاحتدم جسده لترتفع حرارته بغضب فوجد فتاة جميلة تبكي وهي تركض نحو عرشه، وخلفها الحارس ينهرها فأوقفه طوطيائيل واشار إليه أن يخرج ويتركها ثم أذن لها بالحديث لتتكلم وهي تشهق بالبكاء:

-أختي أيها الملك انقذها أرجوك فليس لي أحد في هذه الحياة سواها أتوسل إليك أغثني.

استدعى وزيره ليخرج معها فأوقفته قائلة:

-لاا أرجوك يا مولاي أريدك أنت فأختي تحتاج ملكًا قويًا كي يشفيها.

شعر طوطيائيل بالضيق منها؛ لكنه لم يستطع إلا أن يذهب معها لرؤية أختها.

وجد مندا ممددة على الأريكة مغمضة العينين وجسدها يرتعش تارة ويسكُن أخرى، وقف بجوارها يتأمل وجهها الأبيض وشعرها الأحمر الطويل الذي يتدلى من على أريكتها ويفترش الأرض لينتقل بعينيه لجسدها المنحوت بعناية وجمالها الصارخ، فلمعت عيناه برغبة وهو يجلس بجوارها يتحسس وجهها برفق لتبتسم أختها من خلفه، ثم رسمت الحزن على ملامحها مرة أخرى وهي تقول له:

-لقد ألقت عليها ساحرة تعويذة استعباد؛ لكنها لم تتحمل السحر وأنا لم أستطع فعل شيء من أجلها.

فكر قليلًا ثم قال لها وهو يستعد للرحيل:

-حسنًا أنتظرِ هنا وأنا سوف أعود بعد قليل.

انتقل لبورجا التي وقفت بابتسامة عريضة حين رأته وكأنه عرف ما يدور بخاطرها، لتقترب منه بخطوات بطيئة ومغوية فأوقفها بإشارة منه وهو ينظر لها بغضب مما فعلته المرة السابقة ليقول لها بصوت حاد:

-هناك فتاة في مملكتي تعرضت للسحر من قِبل ساحر ما أراد أن يستعبدها فلم تحتمل التعويذة، وإن لم أستطع إنقاذها على الفور سوف تموت.

عادت لمقعدها تتهادى في مشيتها لتخرج له ورقة سوداء اللون بها حروف ذهبية تظهر وتختفي لتناولها إياه وهي تخبره:

-حين تفتح الورقة وتبدأ في قراءة أول سطر ستظهر باقي الكلمات اِرقها بها وسوف تعود.

خطفها من يدها ثم اختفى وتركها تنحني أرضًا لتلتقط زرًا ماسيًا سقط من سرواله فنظرت له بابتسامة لتضعه في شنطة قماشية سوداء، ثم أخرجت شريطًا بيضاء من جيبها ونظرت له بتأمل، ثم عادت لمقعدها وهي تتلو تعويذة وتنظر للشريطة البيضاء بتركيز تام.

عاد طوطيائيل لغرفة مندا التي ما زالت نائمة تنتفض ليجلس بجوارها وهو يتلو الكلمات التي أعطها إياه بورجا، وحين انتهى سكن جسد مندا لتفتح عينيها الزمرديتين اللامعتين بإغواء، ثم انتفضت تلتصق بصدره وهي تشكره بصوت متقطع:

-أشكرك يا مولاي على إنقاذي، أنا مدينة لك بحياتي.

ثم أشارت من خلف ظهره لأختها بالانصراف لتختفي في لحظتها، بينما واصلت هي شكره وهي تتمرغ في أحضانه حتى أبعدها عنه برفق ينظر لعينيها بانبهار فتصنعت الخجل وهي تهمس له:

-لماذا تحدق بي هكذا يا مولاي؟!

أجابها بهمس مشابه:

-أنتِ جميلة جدًا يا..

-مندا.. اسمي مندا يا مولاي.

اعتدلت في مجلسها لتكشف عن ساقيها اللذان يلمعان كاللؤلؤ، فلم يستطع مقاومة جمالها واقترب منها يُقبلها بشغف، لتشجعه هي على المزيد حتى نالت ما خططت له.

*****

صاحت بورجا بسعادة وهي تتراقص بفرح وتضع كفها على بطنها وتردد:

-وأخيرًا أحمل في أحشائي ابن ملك من ملوك الجان.

ثم جلست لتلمع عيناها السوداء بمكر وهي تقول:

-سأصبح أنا بسحري، وولدي بقوته، ملوكًا ولن تردعني قوة على وجه الأرض.

*****

# الفصل الحادي عشر

-دبراان.

همس بها دنهش ليأتيه الساعي في التو مرددًا وهو يتأكد من خلو المكان إلا منهما:

-السمع والطاعة يا مولاي.

أمـره أن يقتـرب ففعـل دبـران حتـى التصـق جسـده بالقضـبان الحـديدية، ليتفـاجأ بـدنهش علـى الناحيـة الأخـرى يمسـك رقبتـه بحوافره، جحظت عيناه حين رأى يديه محلولتين من الأصفاد فعرف أن أجله اقترب، همس له دنهش وقد خرجت نيران الغضب من فمه وهو يحدثه:

-هل تعرف ما جزاء خيانة العظيم دنهش؟!

هز رأسه برعب وهو يشعر بالألم يفتك به من انغراز حوافر دنهش برقبته.

خفف دنهش قبضته وهو يسأله:

-أخبرت من بهروبنا؟!

تنفس بألم ليضغط دنهش على رقبته ثانية حتى كادت تنخلع بين يديه لينطق دبران بحروف متقطعة:

-ب ن ي ال نع مان.

خلـع دنـهش رأس دبـران بقبضـته لـيتحول السـاعي إلـى رمـاد

مُشتعل، نفض يديه باشمئزاز وهو يتوعد:

-حسنًا يا نعمان سوف نرى ما أقصى ما تستطيع فعله أنت وولدك.

استدعى بلقين فجائه ينظر لرفات دبران بإهمال وهو يسأله:

-هذا هو الخائن؟!

انتقل دنهش إليه يقبض على قميص بلقين الحجري وهو ينظر إليه وعيناه تغليان من الغضب حتى إنه جعل بلقين يهتز داخله بخوف حاول مدراته وهو يحذره:

-أجننت!!

-إن تحدثت معي بهذه الطريقة ثانية لن تشتاق لدبران لأن ستلحق به في لحظتها.

ثم تركه لينظر له بلقين بحنق؛ لكنه لن يجازف بتحدي دنهش فهو يعرفه جيدًا، تركه وغادر بعدما أخبره وهو يصك أسنانه:

-ستغادرون بعد منتصف الليل.

ثم اقترب من القضبان وقد اشتعل قلبه بالحقد ليؤكد عليه:

-ولا تنسى القضاء على إيتا هذا هو شرطي الوحيد.

ابتسم دنهش بانتصار قريب يستشعره وهو يردد:

-إيتا.

ثم همس:

-عاااتق.

ليأتيه عاتق وهو يرتعد، استند دنهش على الحائط خلفه بعدما أعاد أصفاده ليديه ثم أخذ نفسًا عميقًا ليُغمض عينيه وهو يتخيل أسوأ عقاب سيفعله مع إيتا، ليخبر عاتق وهو ما زال يعيش مع خيالته:

-نظف هذه الفوضى قبل مجيء أحدهم.

*****

وقفت تتحسس بطنها بحذر وهي تختبر هذه المشاعر لأول مرة، كائن لا تعرف كنهه ينمو بأحشائها، رددت بذهول وهي تشعر بنبضه تحت كفها:

-يا إلهي!

وجدته يقف خلفها ينظر نحوها بتعجب وهو يتساءل:

-ما الذي حدث؟!

التفتت نحوه وقد انفرجت أساريرها بسعادة بالغة وهي تأخذ يده لتضعها على بطنها وهي تُخبره:

-أنا أحمل في ولدك.

انعقد لسانه عن قول شيء وهو يتحسس ظاهر بطنها بحذر شديد، وينظر لعينيها ببهجة اجتاحته داخليًا لتشعر هي به وهي تضحك بخفة قائلة:

-ما بك يا كفيائيل؟!

احتضنها بقوة قائلًا:

-لا أستطيع مجاراة كل هذا يا إيتا.

ثم أبعدها عن صدره وهو يحتضن وجهها بين يديه ليُكمل:

-أنا اكتفيت بكِ حبيبتي وكنت أظن أنني حصلت على السعادة الكاملة لتأتين أنتِ بهذه البُشرى، لأصبح أكثر سعادة وهناء، أخبريني ما الذي أفعله لكِ!

أمسكت بكفيه اللتان تحتضنا وجهها لتُقبلهما برقة وهي تقول:

-لا أريد شيئًا سواك يا كفيائيل.

وصلهما صوت نعمان يستأذن للدخول فأذن له كفيائيل بعدما اعتدل في وقفته ليعتذر نعمان عن ظهوره المفاجئ فاقترب منه كفيائيل قائلًا:

-لا عليك يا أخي العزيز لقد جئت لتسمع البُشرى.

نظر له نعمان بتعجب وهو يتنهد:

-أخبرني يا صديقي فأنا أتوق بشدة لسماع خبر جيد.

ابتسمت إيتا وهي تنظر لعين كفيائيل التي امتلأت بالفخر وهو يخبره:

-إيتا تحمل طفلي.

برغم سعادته الكبيرة من أجل صديقه فإن الخوف سيطر على ملامحه رغم محاولته الواهية لإظهار سعادته هذه بقوله:

-مبارك لك يا أخي، سعدت من أجلك كثيرًا.

بينما بهتت ملامح إيتا هي تسأله:

-أخبرنا ما الذي حدث يا بني النعمان؟

تردد للحظات فهو لا يريد إفساد لحظة سعيدة كهذه، لكنه لم يجد مفرًا ليزفر بضيق قائلًا:

-جاءني الساعي منذ قليل يُخبرني أن دنهش قتل دبران؛ لكنه عرف من الخائن من الحرس.

اقتربت منه إيتا لتحفزه وهي تشعر داخلها بالخوف الشديد من معرفة من أخواتها يساعد الشياطين إلا أنها شجعت نعمان بنظرات الترقب من عينيها ليقف كفيائيل بجوارها يحتضن كتفيها بدعم وهما يسمعان بني النعمان يخبرهما:

-اسمه بلقين.

شهقت إيتا وهي تضع كفها على فمها ليُنهي نعمان خبره:

-وسوف يقوم بتهريب الشياطين في الساعات الأولى بعد منتصف الليل.

شعرت إيتا بالغضب الشديد يتملك كامل جسدها لتُقرر:

-سأصعد للقصر حالًا لأُخبر أمي ما حدث.

قبض كفيائيل على مرفقها ليقول لها:

-لن تفعلي يا إيتا.

احتدمت نظرتها نحوه بغيظ ليتدخل نعمان:

-اهدأوا يا أصدقاء.

ثم نظر نحو إيتا قائلًا:

-من المحتمل أن يكون هذا فخًا لكِ يا إيتا، خاصة أن بلقين أكد على دنهش ضرورة التخلص منكِ.

وهنا اشتعل جسد كفيائيل بالغضب ليردد:

-سأُدخله نار الأرض بيدي إلى أن تقوم الساعة ويدخله الله جهنم في الآخرة إن مس امرأتي بسوء.

حاول نعمان تهدئته:

-لا تقلق يا أخي لن يستطيع المساس بها أعدك بذلك.

صافحه كفيائيل بشكر قائلًا:

-حسنًا، وأنا سوف أجمع جيوش الممالك الثلاث تحت إمارتك.

اعترضت إيتا بامتعاض ظاهر وهي تخبرهم:

-أنا قادرة على حماية نفسي منهم أيها القويان، يبدوا أنكما نسيتما أنني أنا من أودعتهم السجن مرة وأستطيع أن أفعلها مرارًا.

وقبل أن يتكلم كفيائيل أوقفه نعمان لأنه يعلم صديقه جيدًا وقت غضبه لا يتفوه إلا بالترهات:

-نحن لا نقلل من قدرك يا إيتا؛ لكن الآن أنتِ مسئولة عن طفل في أحشائك ويجب عليكِ أن تحافظي على حياته.

زفرت بضيق وهي تقول لهم باستهزاء:

-حسنًا سأجلس هنا في الكهف أو أبحث ليا يا كفيائيل عن مخبأ داخل الأرض كي لا يصل الشياطين إليّ أنا وولدي، وأنا سوف أترك أمي وأخواتي دون علم بهرب الشياطين ليُهدم القصر فوق رؤوسهم جميعًا، لا يهم أنا وأبن كفيائيل أهم.

رفع نعمان يده أمام كفيائيل الذي كان على وشك الانفجار بها ليقول هو:

-رغم أنكِ تقولين هذا الاقتراح باستهزاء فإنه الحل الوحيد الآن من وجهة نظري.

ضيقت عينيها بحدة ليُكمل:

-لا تنظري نحوي هكذا، إن كنتي حريصة على سلامة ابنك «وبالمناسبة هو ليس ابن كفيائيل بمفرده» فسوف تأتين معي للقصر الملك الأبيض لا يستطيع عزازيل بنفسه أن يقترب منه.

انفعلت وهاجت حتى إن جسدها حاوطته هالة من ضوء شديد جعل نعمان وكفيائيل يتجنبان الوقوف بجوارها وهي تصرخ بهم:

-أتريدان مني أنا إيتا أقوى حارسة في السماء الهرب من حفنة

شياطين لم أستغرق دقائق في نفيهما! أنتما تهذيان.

نظر نعمان نحو كفيائيل فهو القادر حاليًا على امتصاص غضبها، ليقترب كفيائيل منها يُمسك بيديها ليُحدثها برفق:

-اهدأ يا حبيبتي فنحن نعرف قدرك جيدًا لكن..

أوقفته قائلة:

-ما زال حجري مع أمي، ولذالك ما زلت أتمتع بقوتي كاملة فأرجوكم لا تستهينوا بي فأنا لن أهرب إلى أي مكان وقادرة على حماية نفسي وولدي.

لم يستطع الضغط عليها أكثر من ذلك فنظر لنعمان قائلًا:

-أخبر ساعيك أن يوصل اسم الخائن للملكة بأي شكل.

ثم نظر لإيتا التي كادت تعترض ليوقفها:

-وأنتِ لن تصعدي للقصر وستظلين هنا في بيتك ولن نتناقش في هذا الأمر ثانية.

أومأت برأسها فهي لن تستطيع إقناعه بهذا الشكل.

قبَّل كفيها ثم أخذ نعمان واختفى، ذهب هو لمملكته، بينما ظل نعمان في الجزيرة ليستدعي الساعي كي يجد حلًا في توصيل اسم بلقين للملكة عبر حارس له كلمته وقوته في القصر حتى تصدقه الملكة.

جلس كفيائيل على عرش أبيه ينادي على والدته وأخواته ليأتوه

مسرعين، وقف أمام ثلاثتهم ليخبرهم:

-لقد جمعتكم اليوم كي أبلغكم بخبرين أحدهما حسن والآخر سيء.

وقف الجميع يترقب ليُكمل كفيائيل:

-زوجتي حامل.

وقع الخبر عليهم كالصاعقة ليُطلعهم على الثاني دون انتظار مباركة أحد منهم:

-واليوم جاءتني معلومة أن الشياطين سيهربون من سجنهم الذي في السماء ومهمتهم الأولى هي القضاء على زوجتي، لذا عليكم جمع الجيوش الثلاثة تحت راية القائد بني النعمان.

ثم أشار لأخويه:

-وأنتما ستكونان معي.

انحنى الأخوان بابتسامة حاولا إخفائها ليقولا له:

-سمعًا وطاعة أيها الملك، نحن معك وسنحمي زوجتك وابنك بأرواحنا.

صرفهم ليجمعوا الجيوش لتختفي أمه باختفاء والديها دون الحديث مع كفيائيل لينظر هو لظلها بحزن وهو يتأمل أن تتقبل إيتا في يوم من الأيام.

استدعى وزيره المقرب ليطلب منه:

-اختر لي أقوى عشرة جنود في ممالكنا واجعلهم يحرسون كهفي جيدًا وأخبرني إن حاولت إيتا الخروج.

انحنى الوزير له ثم انصرف ليفعل ما أمره به، بينما استمر كفيائيل على عرشه يفكر في خطة أخرى طالما كان يتمناها والده وقد بدأ بها بالفعل ولم يُخبر أحدًا بهذه الخطة سواه لكنه توفي قبل أن يُكمل ما كان يصبو إليه لنفي هؤلاء الشياطين في منفى أزلي.

*****

وقف الاثنان في الكهف السري الخاص بهم يبتسمان بسعادة بالغة على ما حدث، ليتكلم دريائيل بفرح:

-وأخيرًا قد حانت اللحظة التي ستجعلنا الملوك الوحيدين للبحار، لن نكون تحت إمارة كفيائيل بعد اليوم.

ابتسم طوطيائيل ليشاركه فرحه:

-نعم لم يعد سوى ساعات قليلة، يجب أن نفكر جيدًا فيما يجب علينا فعله لتنجح خطتنا، لقد كدت أموت بحسرتي حين قال إن زوجته حامل وفقدت الأمل من أن نبلغ مرادنا بعد هذا الخبر الأسود.

ظهر الشرر في عين دريائيل الذي قال له:

-أنا كنت أوقن أن الشياطين لن يتركوها.

التف حول أخيه ليأمره:

-اذهب الآن لبورجا وأخبرها ما حدث وأعلمها عن مكان إيتا.

انتقل طوطيائيل في لحظتها لكهف بورجا وحين رأته انطلقت نحوه بسعادة تخبره:

-أنا أحمل ابنتك يا مولاي.

*****

انطلق دريائيل نحو ليديا التي كانت تنتظره بشوق كبير ليسألها:

-أين والدك؟!

تعجبت من سؤاله؛ لكنها نادته ليأتي على الفور ينحني أمام الملك دريائيل وهو ينظر نحو ابنته بتعجب على وجودها معه خارج القصر، أخبره دريائيل بجدية:

-أنا قررت أن أتزوج ابنتك.

تهللت ملامح الرجل بالفرح ليُكمل دريائيل بتحذير:

-ولكنك لن تُخبر أخي طوطيائيل الآن ستنتظر حين أخبرك.

أجابه الوزير وهو ينحني أمامه ثانية:

-لا تقلق يا مولاي لن أخبر أحدًا حتى تأمرني بذلك.

أشار له لينصرف الوزير وهو يغمز لابنته بسعادة لتبتسم ليديا بخجل حتى أمسك دريائيل يدها قائلًا:

-أيام قليلة وستُصبحين زوجتي وتنيري قصري ومملكتي.

أسبلت جفنيها بحياء ليقبل جبهته:

-أنتظر هذا اليوم بفارغ الصبر حبيبتي.

لتُجيبه وهي تنظر لعينيه:

-وأنا أيضًا ما عدت أطيق الانتظار.

اختفت مندا عائدة لبيتها لتركض أختها نحوها تتساءل:

-ماذا وجدتي؟!

استمرت في القفز والتأرجح بخفة وهي تحكي لها بسرور:

-دريائيل سيخدع أخيه وسوف يتزوج بحبيبته.

صفقت أختها بسعادة وهي تقول:

-ولن يتبقى له أحد سواكِ!

وقفت مندا أمام مرأتها تتمايل بعنج:

-يجب أن يظل طوطيائيل تحت عيني حتى أعرف ما نقطة ضعفه وحينها سأجعله يتزوجني.

مررت كفيها على جسدها بطوله قائلة:

-وسأصبح ملكة البحار.

*****

شعرت بحركة غير مألوفة خارج الكهف، لتجد وزير زوجها

المُقرب ومعه عشرة من جنوده الظاهر على أجسادهم القوة الشديدة، شعرت بالغضب من زوجها الذي من الواضح أنه ما زال يستهين بها ولهذا كلف جنوده بحراستها، وقفوا باصطفاف حول الكهف متأهبين لأي دخيل من الإنس أو الجن أو الشياطين كما سمعت وزيره يأمرهم أن سلامتها بين يديهم وإن شعروا بالخطر فعليهم استدعاء الجيش بأكمله.

التفت حول نفسها بغيظ وقد ارتفع بداخلها التحدي فقررت أن تريه مدى قوتها، انطلقت للسماء دون أن يشعر أحد الجنود بها فقد استخدمت قوتها في الاختفاء بأقصى سرعة حتى إنهم لم يلحظوا غيابها.

وصلت للقصر لتتوقف حين شعرت بتعب لم تشعر به من قبل في حياتها لتردد بتعجب:

-ما الذي يحدث لي؟!

نادت بهمس على خباء الذي جاءها سريعًا بوجه بشوش كعادته ليسألها:

-لقد عدتِ يا أختي الغالية.

ابتسمت له بإرهاق ليشعر هو بمعانتها قائلًا:

-ما بك يا إيتا؟!

أمسكت بيده وهي تقول له:

-لا تقلق يا أخي، ليس هذا ما جئت لأجله، أنا أريد مقابلة أمي لأمر

ضروري.

خلع ردائه الخاص به وألبساها إياه ليصاحبها لغرفة الملكة دون أن يشعر بها أحد من أخواته.

طرق باب غرفتها لتأذن له بالدخول فدلفت إيتا بعدما خلعت رداء أخيها لتناوله إياه وهي تقول له:

-شكرًا لك يا أخي لكني أريد أن أبقى مع الملكة بمفردي.

نظرة واحدة لوجه ابنتها أخبرتها أنها ليست بخير، فانطلقت نحوها بنظرات غاضبة لتُخبرها إيتا على الفور:

-هناك خائن من أبنائك في القصر.

أوقفتها الملكة وهي تشير نحوها قائلة:

-أعلم، فهي تقف أمامي الآن.

شعرت بالأسى مما تقصده والدتها لكنها تجاوزت شعورها هذا لتخبرها بشكل أوضح:

-أنا لم أتفق مع الشياطين أن أخرجهم من السجن الليلة.

ازداد حنقها لتتساءل بدهشة:

-وكيف عرفتي هذه المعلومة القيمة وأنا لم أعرفها؟! هل جئتِ لتُعلميني كيف أدير قصري؟!

-اهدأ يا أمي أرجوك أنا لم...

لم تستطع إتمام جملتها ووقعت أرضًا مغشيًا عليها.

*****

صعد كفيائيل لكهفه فوجد جنوده الأشداء يلتفون حوله، شعر بالاطمئنان من رؤيتهم ودلف للداخل فلم يجد إيتا، انتابه نوبة غضب شديدة إثر شعوره أنها خدعته ليردد اسمها بصراخ حانق:

-إيتاااااااااا.

*****

# الفصل الثاني عشر

طرقات على باب غرفتها ازدادت ليستأذنها بلقين بالدخول، كادت الملكة تأذن له وهي تحمل إيتا بين يديها لتضعها على الأريكة الخاصة بها لتوقفها إيتا بتمتمة بالكاد سمعتها فيجا:

-إياكِ أن تأذني له يا أمي، بلقين هو الخائن.

وضعتها على الأريكة وهي تقول بصوت مرتفع ليسمعها من في الخارج:

-لا أريد أحدًا الآن اتركوني بمفردي.

جلست بجوارها وهي تشعر بالغضب الشديد من جميع أبنائها وبالأخص مَن تجلس أمامها وتدعي أن أخاها خائن، مؤكد زوجها الجني هو من أخبرها بذلك ليجعلها تكرههم جميعًا.

قررت فحصها لتعرف ما الذي حدث لها لتُصبح هزيلة بهذا الشكل، من الطبيعي أن تفقد بعضًا من قوتها نظرًا لأنها تعيش في بيئة غير بيئتها لكنها لن تضُعف هكذا، وضعت يدها على بطنها وهي ما زالت تتحدث مع نفسها عما حدث لابنتها الكبيرة لتتوقف بذهول حين شعرت بقلب الصغير ينبض تحت يدها، نفضت يدها سريعًا وقد ازدادت مشاعرها المتضاربة بين الخوف عليها والحزن لأجلها والغضب الشديد منها ومما فعلت.

تحركت من جانبها لتجلس على مقعدها تفكر ماذا تفعل مع هذه العنيدة التي لم ترث من أبيها سوى تمرده، حاولت أن تتمالك نفسها ثم انحنت لتأخذ حجرها ليمنح لها القوة حتى تعود

لرشدها، جحظت عيناها بذهول وهي تبحث عنه ولم تجده! أيقنت أن إيتا صادقة فلا أحد يستطيع دخول حجرتها سوى خمس من أبنائها البكريون وبالطبع بلقين منهم!

بدأت تتضح المؤامرة أمام عينيها، دومًا كان يغار منها لكن أن يحمل في قلبه ضغينة تجاه أخته ويكن لها هذا الكره لم يخطر ببالها على الإطلاق!

أخرجت الحجر الخاص بها لتضعه على بطنها وهي تُتمتم بعض الكلمات المترادفة ليخرج من الحجر ضوء أزرق خافت، تسلل داخلها بسرعة فائقة ليشع جسدها بنور أبيض ساطع قامت هي على إثره وهي تأخذ نفسًا عميقًا لتسألها بحيرة:

-ما الذي يحدث لي؟!

أجابتها وهي تُعيد حجرها لمخبئه:

-يبدو أن ابن الجني يستنزف قوتك.

اقتربت منها وقد شعرت بالإهانة مما قالت:

-أنتِ تعلمين جيدًا أن هذه ليست الحقيقة.

جلست فيجا لتتحدث إليها وقد شعرت بالخجل فهي لم تكذب من قبل، لأنها تعرف يقينًا أن حملها لن يؤثر على قوتها لكن اختفاء حجرها هو ما يعرضها للخطر.

-لقد اختفى الحجر الخاص بكِ.

لمعت عيناها بدموع حزن حبيسة وهي تستشعر غدر أخيها الذي

يريد لها الموت بأي شكل ولا تدري لما؟!

وقفت إيتا لتغادر القصر بأسى ثم مدت يدها لأمها بلفافة ذهبية قائلة لها:

-هذه خطة مُحكمة لتأمين القصر من الخارج ولقد أخبرتك بالخائن و....

شعرت بدوار شديد فتوقفت عن الحديث لتنتفض والدتها كي تلحق بها حاملة إياها قبل أن تقع على أرضية الغرفة، تعجبت فيجا بشدة مما يحدث مع ابنتها لقد أمدتها بالقوة اللازمة التي تكفيها حتى تستعيد لها الحجر.

-يا إلهي ما الذي يحدث لكِ يا ابنتي؟!

رددتها بحسرة وهي تنظر لوجهها المُعتم بعدما كان ينير السماء بأكملها، ظلت لحظات تفكر حتى عزمت أمرها وهي تقول:

-لا يوجد سوى حل واحد مُجبرة عليه.

*****

-نعماااان.

رددها كفيائيل برجاء فأتاه نعمان ينظر نحوه بتعجب من نبرة صوته ليسأله بتوجس:

-ماذا حدث؟!

استمر كفيائيل بالدوران حول نفسه ليُهدأ من روعه وهو يخبره:

-لقد خرجت إيتا بعدما اتفقنا أن لا تغادر الكهف ولا أعرف أين ذهبت.

ثم اقترب منه وقد ازداد توتره وهو يقول:

-هناك احتمال أن يكون أحد الشياطين اختطفها؟!

نفى نعمان الأمر:

-لا أعتقد ذلك، كنت سأعلم لو هرب أحدهم.

-حسنًا وكيف سأعرف مكانها الآن؟!

وضع نعمان يده على كتف كفيائيل قائلًا:

-لا تقلق يا أخي امرأتك عنيدة جدًا مؤكد ذهبت لوالدتها تحذرها مما علمت به.

نظر له كفيائيل والقلق يتراقص في عينيه:

-وهل هكذا تطمئنني؟!

رفع نعمان كفه أمامه وهو يردد:

-حسنًا، لحظات وسأخبرك مكانها.

لينادي بصوت مرتفع:

-يوناس، أحضر حالًا.

ظهر يوناس أمامهم ليأمره نعمان:

-استدعي عاتق في الحال واعرف منه هل إيتا في القصر أم غادرت؟!

-حسنًا يا أبي.

لحظات مرت وكفيائيل لا يتوقف عن الدوران حول نفسه وهو يردد:

-لقد تأخر يوناس حتمًا أصابها مكروه أنا أشعر بذالك.

حاول بني النعمان أن يهدئه حتى جاء يوناس ليقف الاثنان بترقب وهو يُخبرهم:

-أعتذر عن التأخير لكن عاتق لم يستجب لندائي فاضطررت للصعود مُتخفيًا وسمعت من أحدهم أن إيتا تجلس مع.....

-معي.. كانت معي.

قاطعته فيجا وهي تحمل ابنتها بين يديها ليركض كفيائيل نحوها يأخذها من بين يدها وهو ينظر لوجهها الذي انطفأ وجسده الساكن بين يديه ليصرخ في وجه الملكة:

-ماذا فعلتي بها؟!

نهره نعمان:

-اهدأ يا كفيائيل.

ثم أحنى رأسه بإجلال ليفعل يوناس بالمثل وهو يُحيها:

-لقد سعدت برؤيتك يا ملكة الحرس.

أحنت له رأسها لترد التحية بابتسامة رسمتها بالقوة لتقول لهم:

-لقد سرق أحد أبنائي حجر إيتا، لذلك هي الآن أصبحت أضعف من البشر ويجب عليكم حمايتها.

وضع كفيائيل إيتا على فراشها ووقف أمام الملكة ليسألها بقلق:

-ما هذا الحجر؟! وما علاقته بها؟!

ضمت أصابع كفيها بعضهم ببعض لتشرح له الأمر:

-كل حارس من السماء يولد يرتفع جزء من القمر ليدور حوله عدة مرات، وكلما زادت مرات الدوران زاد الحارس قوة، ثم يسقط هذا الحجر عندي في القصر فأخبئه في مكان آمن، لأن هذا الحجر يحمل قوة الحارس وأسراره.

صمتت لبرهة لتُكمل بحزن:

-كنت أضع حجر إيتا أمام ضوء القمر السادس،لذلك كانت قوتها تزداد.

بغضب شديد سألها كفيائيل:

-وكيف تمت سرقته أيها الملكة الحكيمة؟!

نظر له نعمان بغضب من اندفاعه، ثم أشار بيده ليوناس الذي حمل إيتا بين يديه واختفى ليُحدثهم نعمان بثقة:

-لا تقلقي عليها يا مولاتي فهي في حمايتي، ولن يمسها سوء وهي في قصري.

أومأت برأسها تشكره ليستأذن منها بالذهاب وقبل أن يختفي همس لكفيائيل:

-لا تنس أنها ملكة حراس السماء وأم زوجتك.

حاول كفيائيل السيطرة على استيائه منها وفضل الصمت حتى يسمع ما جاءت هي لتُخبره به، ألصقت كفيها بعضهم البعض وبشجن حاولت السيطرة عليه لكنه ظهر جليًا في صوتها وهي تُخبره:

-إيتا ليست ابنتي البكرية وحسب بل هي صديقتي الوحيدة التي تركتني وذهبت إليك، هل اختبرت هذا الشعور من قبل؟!

لقد تركني زوجي منذ قرون لأتصدى وحدي للشياطين حتى كبرت إيتا ودربتها لتُصبح أقوى مني، كي تغدوا هي الملكة في المستقبل لتفاجئني هي وتتخلى عن كل ذالك بما فيهم أنا لتكون معك.

أوقفها كفيائيل وقد بدأ يشعر بالتعاطف معها:

-إيتا أبدًا لم تتخلَ عنك ولا عن أخواتها بل أنتِ التي طردتها من القصر ورغم ذلك حين علمت بالخطر يُحدق بكم صعدت إليكِ دون أن تُفكر بمخاطر ما تفعله ورغم تحذيري لها لم تطيعني وركضت إليكِ.

أحست فيجا بالزهو والفخر بما قاله لتُخبره بأسف على وضعهم:

-لن يتمكن أبنائي جميعهم دون إيتا التصدي للشياطين لو حدثت

الكارثـــة واسـتطاعوا الخـروج مـن حبسـهم، لـذلك لـو فشـلت محـاولاتي سـوف تكـون ابنتـي أمانـة بـين يـديك حتـى أسـتعيد حجرها من ولدي بلقين.

أومأ برأسه مطمئنًا إياها، لتتركه هي وتعود للقصر وفي نيتها عقوبة لبلقين لم تنفذها على حارس من قبل.

*****

تمددت مندا على أريكتها وهي تتلاعب بخصلات شعرها الطويل بين يديها لتقفز في عقلها فكرة قررت أن تنفذها؛ لكن قبل ذلك عليها أن تسأل أختها التي تمتلك كتبًا عن السحر والجان ليس لها عـدد مما جعلها تلقي عليها تعويذة سحرية جعلت طوطيائيل يصدق بكونها خادمة لأحد سحرة الأنس.

نادتها بصراخ جعلها تأتي على عجل وهي تردد بذعر:

-ما الذي حدث؟!

وقفت مندا أمام أختها تتساءل بحماس:

-من هو أقوى ساحر بشري؟

تعجبت من سؤالها:

-وماذا تردين من أقوى ساحر بشري؟!

لكزتها مندا بضجر وهي تقول:

-أخبريني وحسب.

زفرت بضيق لتُجيبها:

-أقوى ساحرة في الوقت الحالي هي بورجا.

أمسكت مندا بيدها لتأمرها:

-خذيني إليها حالًا.

حركت رأسها بعدم فهم لكنها نفذت طلبها وانتقلت لكهف بورجا وهي تُخبرها:

-حين كنتي تحت تأثير التعويذة التي أطلقتها عليكِ راقبت طوطيائيل فوجدته جاء إلى بورجا كي تساعدك يبدو أنه يعرفها.

ابتسمت مندا بسعادة وهي تُردد:

-حسنًا هذا أفضل بكثير.

ثم أشارت لأختها كي تختفي ودخلت هي لبورجا تتهادى في خطواتها لتبتسم لها بورجا بسخرية ومندا تلتف حولها بعجرفة وهي تقول:

-لقد أقمت علاقة مع ملك البحار طوطيائيل، وكنت آمل أن أحمل طفله لكن لم يحدث ذلك.

انحنت لتواجهها ثم أكملت:

-فهل تملُكين حلًا لمشكلتي وسوف أكافئك في المقابل بشيء خاص وفريد.

رفعت بورجا زاوية فمها بابتسامة خبيثة وهي تتحسس بطنها

بسعادة لتُجيب مندا:

-لا تحملين هم النسل يا صديقتي تزوجيه أولًا واتركي الباقي لي.

ضيقت مندا عينيها بتعجب لتقول لها بمنطقية:

-وكيف لي أن أتزوجه؟! أنا أردت أن أحمل بطفله كي يتزوجني مُجبرًا.

وقفت بورجا تُمسك بكتفيها لتوقفها أمام مرآة سحرية أظهرتها أمامهم بفرقعة من يدها لتشير نحو جسد مندا قائلة:

-كُل هذا الجمال ولا تستطيعين أن تجعليه تحت قدميك طريحًا.

شعرت مندا بالغرور الشديد وقد ازداد إعجابها بنفسها أضعافًا وهي تطلع لوجهها وجسدها في المرآة لتناولها بورجا زجاجة صغيرة وضعتها في كفها قائلة:

-هذا الرزاز لا يذوب في المياه انثريه في غرفتك قبل مجيء طوطيائيل وسوف يفعل كل ما تطلبينه لكن انتبهي لصوتك.

التفتت لها مندا لتسألها بتعجب:

-وما الذي تريدينه مقابل كل هذه الخدمات؟!

جلست بورجا على مقعدها لتغمز لها بعينها تُجيبها:

-ستكونين مدينة لي بخدمة وحين يأتي وقتها سأطلبها منك.

تركتها مندا وهي تنظر للزجاجة في يدها وتبتسم قبل أن تختفي لتبحث عن طوطيائيل.

*****

تفاجأت فيجا بالهرج والمرج الذي ساد القصر لتصرخ بهم:

-أين بلقين وما الذي يحدث؟!

التزم الجميع الصمت ليخرج خباء من بينهم مطأطأ الرأس يجيب ملكته بسرعة فائقة:

-لقد أخرج بلقين الشياطين جميعهم من السجن واختفى، وهم في طريقهم الآن لهنا.

أخرجت الملكة اللفافة الذهبية وقسمت الحرس لأربع فرق كما هو مرسوم في اللفافة وأمرت كل قائد فرقة الوقوف على أحد المخارج ثم أكدت عليهم أن يحملوا الأسلحة الخفيفة فقط وأهمها سلسال النار، ثم أخذت الفريق الخامس الذي من المفترض أن تكون هي قائدته، المكون من أبنائها الخمسة البكريين لكن بعدم وجود إيتا وبلقين سيكون فريقًا ضعيفًا لكنها ستحاول الفوز بأي شكل.

طلبت من البقية أن يتبعوها ليحموا هم باب القصر الأمامي، وقفت على أهبة الاستعداد ليخرج عليهم دنهش وحوله ثلاثة من الشياطين، انهال عليهم الحرس بالضرب وحاولوا ربطهم بسلسال النار إلى أن جاءت عائنة هاربة من إحدى الفرق لتُساعد دنهش في الهروب منهم، حتى تبعتهم الملكة ومن خلفها خباء يساعدها وفي خضم المعركة قامت عائنة بأخذ سلسال خباء لتلفه حول الملكة التي حاولت التخلص منه؛ لكن دنهش أمسك بسلسالها

الملتف حولها يجرها نحوه من جهة كما تفعل عائنة من الجهة الأخـرى، لـم يسـتطع خبـاء محاربتـهم وحـده وإنقاذ امه فنادى أخواته الاثنين ليهرولا إليهم مما جعل دنهش يترك السلسال في الوقت نفسه الذي تركت به عائنة الطرف الآخر ليختفي الاثنان ويتـركون الملكـة تسـقط بإصابة بالغة جعلت أولادها يحملونها لغرفتها حتى أتى الحكماء على عجل ليطببها.

*****

فتحـت عينيـها ببـطء وهـي ما زالـت تشعر بإرهاق شديد لتجد روهـان بجوارهـا تُمسـك بيـدها وتبتسـم لـها بحـب جعلها تشعر بالطمأنينة لتعاجلها روهان بالقول:

-حمد الله على سلامتك حبيبتي.

تساءلت إيتا بقلق:

-ما الذي حدث؟ وأين أنا؟!

ثم وضعت يدها على بطنها بذعر لتتكلم روهان بسرعة:

-لا تقلقي فأنتِ وابنك بخير حبيبتي، أنتِ هنا في أمان معنا.

جلست إيتا وهي تلتفت حولها تبحث عن كفيائيل لتبتسم لها روهان وهي تُخبرها:

-زوجك كان هنا ولم يتركك للحظة واحدة؛ لكن أخوه استدعاه لأمر مهم فطلب مني مرافقتك حتى يعود، لكن إن كنت أزعجك سأتركك بمفردك.

رفعت كفها أمام روهان وهي تهز رأسها نفيًا قائلة:

-لا حبيبتي روهان فأنا أحتاجك معي.

انتبهت لها روهان لتقول إيتا:

-أريد أن أفعل شيئًا ما ولا أرغب في أن يعرف به أحد غيرك.

جلست روهان جوارها وهي تنصت لها:

-وأنا حافظة أسرارك هنا لا تقلقي أبدًا.

*****

شعرت بقدومهم فوقفت بورجا لترحب بهم بحفاوة:

-لقد اشتقت لكما كثيرًا.

ناولها دنهش حجر إيتا قائلًا:

-أريد أن أعرف مكانها حالًا.

أمسكت بورجا بحجر إيتا بين كفيها بذهول وهي تُردد:

-كيف حصلتما عليه؟!

وقفت عائنة أمامها بوجه أسود من الغضب وهي تُحذرها:

-افعلي ما طلبه منك دنهش دون أسئلة ساذجة.

استمرت في تحسسه وهي تُقلبه بين يديها لتُغمض عينيها تارة تستشعر قوته بجنون وهي تسري بجسدها الفاني، وتارة تفتحهما

لتحملق به في دهشة حتى صرخت بها عائنة:

-هيا يا بورجا قبل أن أحرقكِ حية.

اختض جسدها من صراخ عائنة لتضع حجرًا تحت أنفها قائلة:

-لا يستطيع أحد معرفة مكانها من الحجر سوى أحد الحرس.

اغتاظ دنهش بينما صرخت عائنة صرخة مكتومة، لتبتسم بورجا وهي ترفع حاجبها:

-انتظروا سأجرب طريقة.

انتظروا عدة دقائق وهي تصنع بعض الأعشاب الخاصة ثم وضعت الحجر على مكتبها الخشبي ونثرت فوقها الأعشاب ليهتز الحجر قليلًا فرفعته لأنفها تشتمه مرة أخرى لتقول لهم وهي مغمضة العينين:

-هي الآن في مملكة الملك الأبيض.

اهتاج دنهش ليشتعل جسده بالنار، بينما نفثت عائنة النار من فمها غضبًا وهي تُردد:

-لن نستطيع الوصول إليها هكذا!

خفتت نار دنهش وهو يحاول أن يُهدأ نفسه ليُفكر جيدًا وهو يقول:

-حتمًا سنجد طريقة نصل بها لإيتا دون أن نخل بالعهد من بني النعمان وولده.

ثم خطف الحجر من يد بورجا التي كانت تقبض عليه بيديها ليختفي من أمامها وهو يُتمتم:

-الصبر يا إيتا، الصبر.

*****

# الفصل الثالث عشر

وقف طوطيائيل في الكهف بتوتر ينتظر أخاه بعدما استدعاه وهو يتذكر بورجا التي أخبرته أنها تحمل طفلًا منه، هذه الساحرة المُختلة تريد أن تكون زوجة الملك، يجب عليَّ أن أتعجل بزواجي من ليديا.

أتاه دريائيل على عجل متسائلًا:

-ما الذي حدث؟!

أجابه طوطيائيل وهو يزفر بضيق:

-أريد أن أتزوج ليديا وأعلن عن ذلك.

تبدلت ملامح دريائيل لكنه أخفى ضيقه وهو يحذره:

-إياك أن تفعل ذلك.

تعجب أخوه من اندفاعه ليحاول فهم رفضه:

-لماذا؟!

تلكأ دريائيل بتوتر ليُجيبه:

-عندما ننتهي من أمر أخيك أولًا سوف نتفرغ لأمر زواجك، لا تُشتتنا في رغباتك يا طوطيائيل.

استشاط غضبًا من أخيه لكن اعتراضه منطقي فهم يحاولون السيطرة على حكم البحار، الآن وليس لديهم وقت لتحضيرات

الزواج وهو ينوي أن يكون زواجه من ليديا استثنائيًا.

هم بالمغادرة فأوقفه أخوه قائلاً:

-انتظر قليلًا دنهش وعائنة آتين هنا ويريدون مقابلتنا.

تعجب طوطيائيل وقبل أن يتساءل عن سبب مجيئهم وجدهم أمامه ليسألهم دريائيل بقلق ظاهر:

-هل وجدتم إيتا؟!

أجابته عائنة بغيظ وهي تنظر لدنهش:

-وجدنها، لكن...

أكمل دنهش بامتعاض:

-تحتمي في مملكة الملك الأبيض وبيننا وبينهم عهد لن نستطيع الاقتراب منها.

هاج طوطيائيل باندفاع ليكفهر وجهه بغضب شديد وهو يثور بهم:

-حفنة جُبناء.

أوقفه دريائيل بنظرة نارية لينتقل دنهش أمامه يقبض على عنقه بغل شديد حتى تعلقت عين طوطيائيل بألم لكنه لم يُظهر له ذلك ووقف ثابتًا يستمع لدنهش الذي حذره:

-لا تتعدي حدودك معي ثانية أيها الجني الحقير، فلو أردت لأنهيت حياتك الآن وقوتك لن تنفعك بشيء.

أمسك دريائيل بيده التي على عنق أخيه ليقبض عليها بقوة جعلت دنهش يترك طوطيائيل ليتساءل دريائيل باستهزاء:

-لم أعرف من قبل أن للشياطين عهدًا.

كاد أن يثور عليه دنهش فوقفت عائنة أمامهم لتصرخ بهم:

-اهدأوا، سنجد حلًا.

ثم نظرت نحو طوطيائيل الذي ما زال يشعر بوجع في عنقه لتوضح له الأمر:

-بني النعمان وابنه يملكون كتاب أسرار الجن وبعد حروب كثيرة بيننا كانت الغلبة لهم، عاهدهم أبي على عدم المساس بمملكتهم ولا دخول أحد من الخالدين إلى هناك لو فعلنا سيكون سجن بني النعمان مصيرنا، وأنتم لا تعرفون شيئًا عن هذا السجن فالخاص بالحرس لا يقارن به، لذلك لن نستطيع الدخول إلى هناك عليكم إيجاد حل آخر من جهتكم، يجب أن تخرج إيتا من هناك ووقتها سننقض عليها.

-إيتا تحمل طفلًا من كفيائيل.

قالها طوطيائيل وهو يتجنب النظر لدنهش، ليُكمل دريائيل بقلق:

-لو لم نتخلص من إيتا قبل أن تلد فلن نُصبح ملوك البحار وسيصبح ابن كفيائيل ولي العهد وقتها سوف تنتهي مساعدتنا لكم.

شعرت عائنة بالغضب الشديد بينما شعور دنهش كان مختلفًا، لقد

هاجمه إحساس بالغيرة الشديدة يفتك به ليدرك أنه وقع بالفعل في حُبها.

*****

انتقل كفيائيل لمملكة الملك الأبيض وهو ينادي على نعمان الذي حضر له على الفور يرحب به ويرشده لغرفة إيتا.

وجدوها تجلس مع روهان يتضاحكان على شيء ما، تنحنح نعمان حتى انتبهت له روهان لتقترب منه وهي تنظر لكفيائيل بتعجب وقد انتابها قليل من الخوف بسبب هيئته وشكله الغريب بالنسبة إليها، تركهم نعمان وأخذ بيد زوجته وانتقل خارجًا لتركض إيتا نحو كفيائيل تحتضنه بقوة ليشدد هو من احتضانها ويتمتم بالحمد على رؤيتها سالمة.

أبعدها عنه قليلًا عاتبًا:

-عصيت أمري يا إيتا وخدعتني بوعدك لي على عدم تركك للكهف.

نظرت لعينيه لترى الغضب يلتمع بداخلهما فرفرفت بأهدابها لتلمع مقلتيها بضوء خافت جعل كفيائيل يهيم بها وهي تقول:

-إنها أمي يا كفيائيل لن أقدر على الجلوس في مكاني وأنا أعرف أن الخطر يُحدق بها، ولو الثمن موتي سأفعل ذلك عن طيب خاطر.

ضمها لصدره بقوة وبصوت أجش مرتعب قال لها:

-لا تقولي ذلك مرة ثانية، ستعيشين معنا أنا وابنك ولن يمسك سوء وأنا على قيد الحياة، لكن..

ضيقت عينيها لتتسأل:

-أخبرني ما الذي حدث؟!

زفر بضيق وهو يُخبرها:

-لقد سرق بلقين الحجر الخاص بك من غرفة الملكة وعندي شك أنه أعطاه لدنهش، ولهذا السبب شعرتِ بالضعف ولم تتحملي.

إحساسها بالقهر والحزن الشديد من أخيها جعلها تقف ساهمة تنظر للفراغ أمامها بحرقة جعلت كفيائيل يُمسك كفيها بين يديه وهو يُحذرها بلهجة جدية وصارمة:

-لن تخرجي أبدًا من هذه المملكة يا إيتا حتى نستعيد حجرك وتعود لكِ قوتكِ.

أومأت برأسها وهي ما زالت شاردة تفكر في أخيها الذي يريد قتلها بأي شكل ولا تدري لما يفعل ذلك؟!

أعاد كفيائيل حديثه وهو يطلب منها النظر نحوه ليُكرر:

-هل سمعتني جيدًا، لن تغادري المملكة هنا فهم على عهد مع الشياطين لئلا يخطوا أسوار المملكة حتى من الخارج، ونعمان وولده سيحافظان على حياتكما بحياتهم، أرجوكِ يا حبيبتي لا تتصرفي تصرفًا أحمق سندفع ثمنه نحن الاثنان.

زفرت بضيق وهي تجيبه:

-حسنًا يا كفيائيل لن أخرج من هنا، كفى تحذيرات.

شعر أنه ضغط عليها بشكل كبير فتراجع قليلًا ليُقبلها برقة جعلتها تتنهد لينظر إليها وهو يضيق عينيه، فابتسمت بخجل لتُقبله هي الأخرى بشوق جعله يحملها على الفراش المخصص لها في الغرفة ليستمتع بعضهما ببعض، حتى سمع عدة نداءات من أخويه جعلته يتركها بغضب وهو يعدها أنه سيأتي إليها في وقت لاحق.

وضعت إيتا يدها على بطنها وهي تستشعر خطرًا كبيرًا على ولدها لا تعرف مصدره؛ لكن صوت أخوين كفيائيل جعل قلبها ينقبض وكأن ذبذبات صوتهما تريد أن تخبرها بشيء لا تعرف ماهيته؛ لكن جُل ما تشعر به الخطر من ناحيتهما.

حركت كفها على بطنها برقة حتى أحست بحركة تحت يدها وكأن جنينها يتواصل معها فشعرت بعاطفة كبيرة تُغلفها وهي تردد:

-أعدك يا ولدي العزيز لن يمسك أحد بسوء ولو دفعت ثمن ذلك روحي، سأدفعها من أجلك يا حبيبي ولن يقترب منك أحد سواء في حياتي أو بعد مماتي.

*****

بعد عدة أسابيع

عدة نداءات أطلقتها إيتا على روهان التي أتتها راكضة والذعر يتملكها من صوت إيتا الذي يظهر عليه الوهن الشديد، وجدتها تجلس وقدميها منفرجتان وتعاني آلام المخاض بقوة تُحسد

عليها، جلست روهان بجوارها تمسك بيدها وهي تستدعي نعمان الذي حضر سريعًا لتصرخ به:

-لا تنظر هنااا، واستدعي كفيائيل حالًا.

اختفى نعمان في لحظتها ليستدعي كفيائيل الذي لم يستغرق لحظات وكان أمام زوجته ينظر لها برعب من هيئتها التي يظهر عليها التعب الشديد. لحظات مرت وهي تتحمل الآلام الشديدة بصبر حتى ظهر ولدها لتبتسم روهان بفرحة كبيرة وهي تحمله بين يديها، لتلفه بقطعة قماش ذهبية قد أعطها كفيائيل لإيتا قبل ولادتها، ثم ناولته لأمه وخرجت من الغرفة لتحمله إيتا وقد ازدادت نبضات قلبها بسعادة بالغة، بينما يجلس كفيائيل بجوارها ينظر لولده الهادئ بذهول لتطلب منه زوجته:

-اتركني معه بمفردي يا كفيائيل.

تعجب من طلبها وقبل أن يتساءل لماذا أجابته:

-لي طقوس معه يجب عليَّ إتمامها.

قبل جبهتها برقة وخرج من الغرفة ليتركها مع ولدها التي نزعت عنه اللفافة ووضعته على حجرها، تنظر لعينيه التي فتحهما لتضيء باللون الذهبي كعين أبيه التي تعشقه. ابتسمت له وبدأت تدندن بصوتها ترتيلًا مقدسًا لتتحول عيناه من الذهبية للسوداء اللامعة.

ابتسمت بسعادة وحملته في أحضانها ثم رفعته ليقابل رأسها ووضعت يدها اليمنى تضغط على رأسه وهي تقول له:

-الآن سأنقل لك ذاكرتي وذاكرة أجدادي جميعهم ومعهم أسرار أبيك وعائلته التي لا أعرفها، احتفظ بها جيدًا يا ولدي حتى تتم عامك الثلاثمائة والخمسين وقتها ستعرف كل شيء عن الماضي.

تململ الطفل بين يديها لتهدئه:

-ششششششش اهدأ يا حبيبي وقرة عيني، لن تشعر بشيء، أعدك.

ثم نظرت لعينيه قبل أن تبدأ طقوسها لتسأله:

-سوف تسامحني على ما سأفعله بعد قليل أليس ذلك؟!

سكن جسده وابتسم لها لتقبله بشغف أم لا تريد في الحياة سوى سلامته لتُغمض عينيها وتبدأ في ترديد كلمات تحفظها جيدًا.

*****

وقفت في ردهة القصر الكبير تصرخ بهم جميعًا:

-ما معنى أنكم لا تجدونه أيها الأغبياء؟!

تحدث خباء إليها وهو ينظر للأسفل:

-أرجوكِ أيها الملكة العظيمة أن تعذرينا، لقد بحثنا عن بلقين في كل مكان على وجه الأرض ولم نجده.

-هذا لأنكم حمقى، فالحمقى هم ما لا يفعلون شيئًا مفيدًا في حياتهم.

حاولت إحداهن أن تتحدث فأوقفتها الملكة بزعقة:

-لا أحـد منكم يتحـدث معي على الإطـلاق حتى تقبضوا على الهاربين من الشياطين، الذين هربوا من سجنهم أمام أعينكم أيها الفشلة.

-لم يهرب سوى اثنان فقط من أربعين.

قالها خباء بغضب ظهر على صوته لتنهره أمه:

-حسنًا ننتظر حتى يهرب البقية وتموت أختك الكبرى، لأننا لم نستطع حتى الآن القبض عليهم ولا على الخائن، أتريد هذا؟!

اعتذر لها بندم لترفض اعتذاره قائلة:

-لو لم تجدوا الخائن بلقين في غضون يومين من الآن سأقوم بمعاقبتكم جميعًا.

ثم تركتهم وهبطت على الأرض لتقف أمام سيريوس الذي كان يجلس جلسته المفضلة للصيد، ليقف هو عندما رأها أمامه ينظر لها بذهول جعلها تقول له:

-لـن يستطيع أحـد أن يقبـض علـى الخـائن ويستعيد حجـر إيتـا ويعود بها للقصر سواك يا سيريوس.

*****

لقد مر وقـت طويل على وجود إيتا مع ولده ولم تستدعه أو تخرج من الغرفة وبني النعمان يلهيه بالحكايات التي بدأ يسأم منها، قـرر أن يـدخل للغرفـة لـيرى ما الذي يؤخرها هكذا، دلف للـداخل فلـم يجـد إيتا ولا ولدها ليصيح باسمها هاتفًا، فدخل

نعمان فزعًا ومن خلفهم روهان التي بدأت في البكاء بصمت حتى أمسك نعمان بيد كفيائيل لينتقل به لكهفهما والبحث عنهما.

*****

دخل بلقين عليهم بغضب شديد وهم يتحدثون ليصرخ بهم:

-لقد جازفت بحياتي وعائلتي وقصري من أجلكم لتمر الأسابيع وأنتما لم تعثران على إيتا حتى الآن!

وكلما سألتكما أخبرتموني أنه لم يعد سوى القليل.

وقفت عائنة بينما ظل دنهش على جلسته ينظر له بهدوء جعل بلقين يشعر بالغيظ الشديد منه ليهدر بهم:

-أقسم لكما إن مرت الليلة ولم يأتني خبر موت إيتا لأسخر كل قوتي لسجنكم مرة أخرى وس....

وقبل أن يُتم جملته كان دنهش يُمسك رقبته بكلتا يديه حتى اختنق بلقين وهو يحذره:

-هذا هو التحذير الثاني، لقد أخبرتك من قبل ألا تتكلم معي بهذه الطريقة.

وقفت عائنة تُمسك بيد دنهش لتنزلها من على رقبة بلقين هامسة له:

-اتركه فما زلنا نحتاجه.

تركه ليسقط أرضًا بينما نظرات بلقين إليه تكاد تحرقه حيًا وهو

مـا زال يتوعـدهم لتوقفه عائنة وهـي تتعمـد ملامسـة جسـده بشهوة، مما جعله ينظر لها بتعجب ليجدها تبتسم له قائلة:

-لا تقلق يا بلقين ستسمع خبرًا يسرك قريبًا.

تمالك نفسه أمامها وهو يزيح يدها من على جسده ليختفي من أمامهم وهو يشعر باستياء شديد وندم لما فعله، وسؤال وحيد يتردد بذهنه « لماذا لم أقتل أنا إيتا لأنتقم من أمي؟! وما كنت أضع رقبتي مع هؤلاء الملاعين».

*****

وصلت لكهفها وهي تحمل ولدها الساكن بين يديها مترددة من الدخول عليها، عزمت أمرها وأيقنت أن هذا هو الحل الوحيد فلن تجد إجابات مقنعة على أسئلتها إلا منها، دخلت الكهف لتجدها تجلس أمام بلورتها السحرية وبجوار البلورة شعلة من نار تأخذ منها الرماد وتضعه على البلورة لتهمس لها بكلمات تبدو غريبة، لتومض البلورة باللون الأحمر ثم انطفأت حين رأتها بورجا تقف أمامها فأصابها الذهول، وهي تضم حاجبيها وتردد:

-إيتا؟!

*****

# الفصل الرابع عشر

بعدما بحث عنها في كل بقاع الأرض، واستدعى والدتها التي بدورها فزعت من سؤالهم واختفت لتبحث عنها هي الأخرى، عاد نعمان لقصره وقد تكالبت عليه الهموم ورؤية صديقة المقرب حزينًا، مذعورًا، غاضبًا لا تفارق عينيه.

وجد روهان تجلس على أريكتها المفضلة والقهر على إيتا قد ظهر على وجهها ليزيدها عمرًا فوق عمرها، جلس بجوارها لتنتفض هي متفاجئة من وجوده، ليضم حاجبيه متعجبًا:

-ما بكِ يا حبيبتي؟!

لم تجب سؤاله لتسأله هي بلهفة:

-هل وجدتموها؟!

هز رأسه نفيًا لتنفجر هي ببكاء شديد جعل نعمان يحتضنها وهو يُمازحها:

-لم أعد أحتمل هرموناتك هذه يا روهان.

أبعدته عنها بغيظ ليبتسم هو لها وهو يعاود احتضانها، بينما هي ظلت تلكمه على صدره ليبتعد عنها حتى أمسك بكلتا يديها وهو يحدثها بجدية:

-أعتذر منك، حسنًا اهدأي.

ثم ترك يدها لتجفف وجنتيها من الدموع، لينظر نعمان لأنفها

الذي احمر من البكاء، فشعر بالحزن لأجلها.

قبَّل يديها بحنو ثم اقترب منها ليضع رأسها على صدره ويمرر كفيه على رأسها برفق لتهدأ قليلًا من نوبة بكائها، ليسألها نعمان علها تُفيد بأية معلومة:

-لم تُخبرك إيتا أي شيء على الإطلاق؟

هزت رأسها نفيًا من تحت يده التي ما زالت تُمسد على شعرها، زفر بضيق وهو يعاود سؤالها:

-حسنًا، لم تسمعيها وهي تحدث أحدهم أو حتى جنينها بأي شيء غريب جعلك تتعجبين؟!

تركت صدره لتجيبه بنفاد صبر:

-لا يا نعمان لم تتحدث معي في شيء.

شعر بالضيق الشديد من إحساسه بالعجز ليردد بأسى:

-أتمنى أن يكون ولدها في مكان آمن.

تمتمت روهان بخفوت:

-أنا لست قلقة على ولدها، كل ما يقلقني ما سيحدث لها هي.

قرب وجهه منها لينظر لها وهو يضيق عينيه فتجنبت النظر نحوه ليُدير وجهها إليه وهو يهتف بها:

-روهاااااان.

تأففت بامتعاض وهي تشعر بالحيرة الشديدة ليوضح لها الأمر:

-لو علم الشياطين أن إيتا خرجت من المملكة سيكون الموت مصيرها ومصير ولدها هل تعلمين ذلك؟!

رددت اسمه بوجوم:

-نعمان أرجوك، لا تضغط عليَّ.

صدح صوته عاليًا وهو يُخبرها:

-هل تعلمين ماذا أفعل كي لا يخرج خبر هروب إيتا من المملكة خارج هذه الغرفة؟! لو لم تعد إلى هنا الليلة لن تعيش لليلة أخرى.

شعرت بذنب كبير يتآكل قلبها المسكين، ورغم وعدها لإيتا فإنها لم تتحمل كتمان سر كهذا، طأطأت رأسها بخجل وهي تقول:

-حسنًا سأخبرك بكل شيء.

*****

تقدمت بورجا من إيتا التي ما زالت تحمل طفلها بين يديها وتضمه لصدرها خوفًا عليه من هذه الشيطانة الإنسية، وقفت بورجا أمامها تحييها بفرحة عارمة، ظهرت على وجهها فور رؤية إيتا تقف أمامها:

-ما هذه الزيارة السعيدة؟!

أجابتها إيتا وهي تنظر لعينيها لتتبين الكذب فيهما:

-سنرى إن كانت سعيدة أما لا؟

نظرت إيتا نحو طفلها الذي فتح عينيه ينظر إلى بورجا ببراءة وعيناه تتحول من الذهبية للأسود في كل لحظة، مما جعل بورجا تتأمله بإعجاب شديد وهي تقول:

-لقد أنجبتِ ولدًا قويًا مثلك.

تجاهلتها لتخبرها ما جاءت من أجله؛ لكن بورجا وضعت يدها على بطنها لتفاجأ إيتا بقولها:

-وأنا أيضًا سأنجب فتاة قوية كوالدها.

صمتت لوهلة تحاول بها أن تتبين مقصدها؛ لكنها تجاهلت الأمر وقررت أن تلتفت لما جاءت من أجله، لتهُم بسؤالها مباشرة:

-من هم أعداء ولدي سوى الملعونان دنهش وعائنة؟!

التفت بورجا حولها وهي تبتسم قائلة:

-وماذا سأجني من إجابة سؤالك؟!

أجابتها إيتا وهي ما زالت على وقفتها:

-ستجنين الكثير بل أكثر مما تتخيلين، فقط أجيبي.

تطلعت بورجا لعينيها فوجدت حدقتيها متسعتين بصدق فأجابتها:

-حسنًا يبدو أنكِ لا تخدعيني، لكن لتعلمي إذا خدعتني كعادتك ستجدين ما تطلقين عليهم ملعونين هنا في الحال، وإن نجوتِ أنتِ لن ينجو ولدك العزيز.

زفرت إيتا بضيق لتجيبها بورجا على الفور:

-الملك طوطيائيل ودريائيل، أخوان زوجك العزاز هم أكبر عدوين لكما.

لم تتوقع إيتا ذلك رغم شكوكها نحوهما وعدم الارتياح لهما حين مقابلتهما.

تطلعت لعمق عينيها لتجدها بالفعل صادقة، وما قالته مجرد وشاية لأجل انتقام ما تريده بورجا، التفتت بورجا بوجهها عن إيتا قائلة:

-هل تأكدتِ من صدقي؟ حسنًا ادفعي الثمن.

-أخبريني ما السبب في رغبتهما بقتل زوجي وولدي؟!

رفعت بورجا سبابتها امام إيتا وهي تحركها يمينًا ويسارًا قائلة:

-لم نتفق على سؤالين، اتفقنا على واحد.

رفعت إيتا كفها أمام بورجا باستسلام قائلة:

-حسنًا، معنى ذلك أن ما جئت من أجله هو الحل الوحيد وليس أمامي خيار آخر.

اقتربت منها بورجا ثانية لتتساءل بتعجب:

-أخبريني يا إيتا ما يدور في عقلك؟

رفعت رأسها تنظر إليها وهي تفكر بصوت مرتفع:

-كفيائيل سيحمي نفسه وإن لم يفعل فبني النعمان سيحميه، أما ولدي فلن ينجو من أعمامه ولو حدثت معجزة ونجا منهما لن ينجو من الشياطين أنا أعرفهم جيدًا سينتقمون من ولدي ليحرقوا قلبي عليه قبل أن يقتلوني، وأنا لم يعد لي قوة بعدما أخذ بلقين حجري لذلك ليس لدي سوى ما سأطلبه منكِ.

انتقلت بورجا بنظرتها للطفل وهي تقول لها بفحيح كالأفعى:

-كلي آذان صاغية.

-لم تسألي عن الثمن؟!

قالتها إيتا وهي تتأمل ملامح بورجا بتحفز شديد، لتضحك الأخيرة وهي تُجيب:

-أريد أن اتفاجأ.

أخذت إيتا نفسًا عميقًا لتقول بثبات دون تردد:

-ستحمين ولدي من كل هؤلاء، وسأترك لكِ الطريقة وحين تفعلين ما اتطلع إليه سيكون الثمن هو روحي، وأعتقد أن الثمن زهيد بالنسبة إلى طلبي.

قفزت بورجا ببهجة وحبور حتى إن كهفها الصغير لم يسعها من فرحتها الشديدة وهي تجيب إيتا:

-لم أكن أتخيل أبدًا هذا الثمن، ولذلك سأفعل المستحيل لأجلك.

ثم صمتت لتعاود الحديث وهي تضع أصابعها على فمها:

-أووه أقصد لأجل ولدك العزيز.

*****

كان يجلس وسط مكب النفايات الخاص به وفي يده حجر إيتا يتأمله بتركيز تام، وهو يفكر فيما قد يفعله به، جاءته عائنة لتُحدثه بحماس:

-وجدتها.

أخفى الحجر خلفه وهو يتساءل:

-من هي؟!

أجابته بهمس تردد صداه في الخواء من حولهم:

-إيتا.

انتبه لها بحواسه لتُكمل وهي تتراقص حوله بجنون:

-وجدت طريقة لأتخفى بها وأدخل لمملكة الملك الأبيض.

ثم جسدت له ما سيحدث بيدها:

-سأحمل إيتا بين يدي وأختفي، ثم أقتلها وأستدعي بلقين ليرها قبل أن تُصبح رمادًا وتتطاير في الهواء.

نظرت لوجهه الواجم بتعجب لتُقرب وجهها من عينيه قائلة:

-لم أرَ على وجهك أي علامات تدل على السعادة؟!

بصوت جاد وحازم هتف بها:

-اغربي عن وجهي يا عائنة الآن.

وقفت خلفه تنحني بجوار أذنه وبوجس قالت له:

-يبدو أنك غضبت لما فعلته، فكم كنت تريد أنت تملُكها بدلاً عن ملك البحار.

صاح بها مناديًا:

-عاااائنة، قلت لكِ اغربي عن وجهي.

خرجت عائنة من مكب النفايات تبتسم بخبث، ليعاود دنهش النظر للحجر مُحدثاً إياه:

-برغم ما فعلتيه معي وخداعك لي فإني أشعر بالحزن لموتك.

وضع الحجر في صندوق صغير وخبأه وسط القمامة، شعر بحركة ما وقبل أن يتحقق من الأمر جاءه خادم عزازيل ليُخبره أن والده يريد رؤيته على الفور.

وما إن اختفى مع الخادم حتى خرج سيريوس من عباءته التي يتوارى بها فهو ماهر في أمر التخفي من الشياطين وعدم شعور أحد منهم به، ظل ينبش عن مكان الصندوق وهو يشعر بالاختناق الشديد من رائحة القمامة القذرة ليتنفس الصعداء حين وجد الصندوق.

فتحه ليأخذ منه حجر إيتا ثم أغلقه مرة أخرى ووضعه مكانه واختفى على الفور.

*****

وصل نعمان للجزيرة ووقف أمام كهف كفيائيل وهو يناديه، ليأتيه الأخير على عجل وهو يتساءل بلهفة:

-هل وجدتها؟!

حاول نعمان طمأنته:

-توصلت لبعض المعلومات؟!

بتعجب سأله:

-ممن؟!

تردد نعمان في إخباره، فحدق به كفيائيل وهو يردد اسمه فرفع نعمان كفه أمامه باستسلام:

-حسنًا سأخبرك ما قصته عليَّ روهان زوجتي.

انتبه له كفيائيل لينقل له نعمان ما عرفه:

-ما حدثتني به روهان أن إيتا تشك في أحد ما قريب منكما أنه يريد قتلك وقتل ولدك، بالإضافة للشياطين الذين يبحثون عنها فقررت أن تذهب لإحدى الساحرات التي تعرفهم ل..

توقف نعمان عن السرد ليهدر به كفيائيل، فأكمل:

-قررت أن تُضحي بروحها مقابل أن تُنقذ حياة ولدك.

شعر كفيائيل بالارتياع مما سمعه وانقبض قلبه خوفًا ورعبًا على

حبيبته، ليتشتت فكره وهو يقف لا يعلم ماذا يفعل؟!

أدرك نعمان ما يمر به صديقه فربت على كتفه ليؤازره:

-لا تقلق يا كفيائيل سنصل إليها قبل أن تقوم بما جُنت به لتفعله.

ثم سأله وهو يفكر ماليًا:

هل تتوقع أن تذهب إيتا لمن من السحرة لتقوم بشيء كهذا؟!

فكر كفيائيل قليلًا ليتذكر وهي تحكي له عما فعلته في المرة الأخيرة وقبضها على دنهش ابن عزازيل.

-لقد ذكرت اسم ساحرة في هذه المنطقة تسمى...

شجعه نعمان ليتذكر وهو يعيد عليه الأسماء حتى وصل لبورجا فأوقفه كفيائيل قائلاً:

-نعم بالفعل هي بورجا.

لم ينتظرا وانتقلا لكوخ بورجا لكن للعجب لم يجدا أحدًا بالداخل بل والكوخ يبدو عليه الخراب وكأنه لم يسكنه أحد منذ سنوات.

ركل كفيائيل جدار الكوخ بغضب فتهدمت الجدران ليأخذه نعمان بالخارج وهو يقول له:

-اهدأ قليلًا يا كفيائيل.

ثم صاح:

-عااااتق احضر في الحال.

جاءه عاتق على عجل وهو يتساءل:

-ماذا حدث يا سيدي؟!

أجابه كفيائيل بنفاد صبر وتوتر ظاهر عليه:

-هل تعرف مكان الساحرة بورجا؟!

أجابه عاتق بتعجب:

-نعم فهي تسكن بكوخ في جزيرة.

قاطعه نعمان قائلاً:

-ذهبنا إلى هناك ولم نجدها ووجدنا الكوخ مهجورًا منذ زمن.

ظهرت الدهشة على وجه عاتق وهو يردد:

-لم يأتنا أي خبر عن انتقال بورجا من مكانها.

زفر نعمان بضيق قائلاً:

-عد للقصر واسأل عن مكانها الجديد وارجع في الحال سننتظرك هنا.

أومأ عاتق برأسه واختفى صاعدًا ليذهب لحارس بورجا يسأله عن مكانها الجديد، فلم يجده في غرفته، ظل يلُف القصر بحثًا عنه فلم يجده؛ لكنه وجد خباء يدلف لغرفته فأوقفه ليتحرى عن أخيه ليجد خباء حزينًا وهو يخبره:

-لقد أصيب إصابة شديدة من أحد الشياطين العاملين عند بورجا

وهو يحاول القبض عليه.

*****

تقف قرب نافذتها تنظر للسماء والحزن يلُفها من كل الجهات، فهي لا تعلم عن ابنتها الكبيرة شيئًا منذ أسابيع، وولدها الكبير خانها وخان أخته وهرب مع الشياطين ولا تستطيع العثور عليه، وحبيبها الذي وعدته أنها ستنظر لزواجهم بجدية وستفكر بالانتقال للعيش معه كما فعل زوجها وعاش حياته كما تمنى وتركهم.

ضيقت عينيها بدهشة وهي ترى حجرًا ينفصل عن القمر ويرتفع فوقه ليلف حوله بسرعة فائقة لم ترَ مثلها من قبل، جحظت عيناها بذهول لتجده تجاوز عدد لفات حجر إيتا بكثير لتردد:

-من هذا؟!

سقط الحجر بين يديها ليشع بالضوء الشديد حتى إنه أنار الغرفة بأكملها!

وضعت الحجر على أذنها لتبتسم بسعادة بالغة ثم قبلته بحب كبير واحتضنته وكأنه جزء منها، حركت يدها فوق الشرفة ليظهر موضع حجر إيتا، نظرت لمكانه بحزن بالغ، لتضع حجر ولدها في موضعه وهي تردد بخفوت:

-غيرتك منها قتلك يا ولدي.

ثم تمتمت بتعويذة أقوى مما سبقت حتى لا يستطيع أحد أن يقترب من هذا الحجر الخاص بحفيدها الأول والأقوى بين

الحرس جميعهم.

# الفصل الخامس عشر

عاد عاتق لكفيائيل وبني النعمان ليبلغهما ما عرفه، وجد الاثنان يقفان بتوتر وهما متحفزان لسماع ما جاء ليبلغهم به، ليحدثهم عاتق باضطراب ظاهر:

-لقد ذهبت لسؤال الحارس الخاص بمراقبة بورجا فوجدته يعاني إصابة بالغة من قِبل شيطان سخرته بورجا لخدمتها.

ظهر على وجههما الامتعاض ليسألهم عاتق:

-أخبروني ماذا تريدون من بورجا وأنا سأجد لكم الحل.

نظر كفيائيل لنعمان الذي أخبره على الفور:

-نريد معرفة مكان إيتا؟!

فكر عاتق قليلًا ليستوضح الأمر:

-وهل بورجا سوف تخبركما عن مكانها؟!

زفر كفيائيل بضيق قائلاً:

-دعك من بورجا نحن نريد الآن معرفة مكان إيتا؟! هل لديك طريقة؟!

أجابه عاتق بتلقائية:

-نعم، لدى الملكة حجر لكل حارس ومن خلاله سوف تخبركم بمكانها.

زفر كلاهما بغيظ وهما يشعرا أنهما في مأزق، فالحجر مع بلقين وبهذا لن يستطيعا العثور عليه، لم يجد نعمان حلًا سوى أن يأمر عـاتق بالصـعود للقصـر وإبـلاغ الملكـة بـأمر إيتـا علـها تسـتطيع مساعدتهم، وبالفعل صعد عاتق وأخبرها بضرورة مقابلة كفيائيل وبني النعمان، لم تنتظر كثيرًا وهبطت لتجدهما يقفان ينتظرونها بترقب، فشعرت بالسوء من رؤية وجههما المضطربين لتتساءل بقلق:

-ماذا حدث؟!

أخبرها كفيائيل ما حدث لتفزع فزعًا شديد لِما سمعته وهرولت عائدة لقصرها وهي تحذرهما حتى تردد صدى صوتها:

-اخفوا الأمر قدر ما استطعتم لو عرف الشياطين خروجها من مملكة الملك الأبيض ستضيع ابنتي.

بصوت مرتفع سألها كفيائيل:

-أين تذهبين؟!

أتاه صوتها ضعيف:

-لا تقلق سأعيدها إليك.

*****

جالسة هي أمام مبخرة كبيرة ذهبية اللون منقوش عليها تعويذة بلغـة الجـن الأصـليين، ومـن صـنع العـالم الجنـي الكبير آصف بـن بارخيا، أخرجتها بورجا من مكان سري كانت تضعها فيه لتظهر

المبخرة، بعدما نثرت عليها رماد أخرجته من زجاجة زرقاء اللون كانت تحملها في ثيابها وضعت بداخل المبخرة حجارة سوداء اللون، نزعتها من صندوق معلق على الحائط، ثم بتمتمة عدة كلمات أمام هذه المبخرة اشتعلت النار في الحجر الأسود بلون أزرق لتخمد كلما ألقت عليها عدة كلمات، ثم تشتعل مرة أخرى حينما تقول الكلمات نفسها بطريقة معكوسة، بينما تقف إيتا تنظر لولدها الذي يتوسط حجر بورجا يُمسك بكلتا قدميه وينظر إليها مبتسمًا لتتساقط منها دمعة التقطتها بورجا بيدها لتضعها وسط المبخرة فارتفعت النار الزرقاء في سقف الكوخ لتتكور على نفسها، ثم التفت النيران حول ولدها ذي الجسد الأزرق كوالده وعيناه التي تحولت للسوداء وهو ينظر لوالدته لتقف بورجا وترفعه بيدها عاليًا، حتى سقطت كرة النار بداخله ليفزع هو منها لكنه لم يبكِ بل أغمض عينيه ليتحول جسده من اللون الازرق للون الأبيض البشري وينمو شعر رأسه مثل البشر واختفى قرنيه الصغيرين لتصبح رأسه بشرية بالكامل.

أخذته إيتا من يد بورجا وهي تمرر سبابته بوجهه حتى فتح عينيه لتجدها ما زالت زرقاء غريبة الشكل كأبيه؛ لكن سرعان ما تحولت للأسود الطولي كعينيها فجعدا جبهتها بتعجب لترى عينيه تتحول لعين البشر بمقلتي أحدهما سوداء والأخرى زرقاء.

ابتسمت له وهي تُقبله ليبادلها الابتسامة حتى نادت بورجا على خادمها وهي تقول لإيتا:

-لقد تم الأمر.

جاء وقت الثمن حارستي العزيزة، قربت إيتا فمها من أُذن ولدها

هامسة:

-تذكرني دائمًا يا كنان، وعندما تبلغ الخامسة والثلاثين ستعرف كل شيء.

أنهت رسالتها التي حُفرت في عقله ثم ناولته للخادم وهي تسأل بورجا:

-إلى أين سيذهب به؟!

أجابتها بورجا وهي تقترب منها:

-لا تقلقي سيكون بأمان كما وعدتك طالما ستدفعين الثمن كاملًا.

وقفت إيتا تفرد ذراعيها بجوارها ثم قامت بثنيهم على صدرها وهي تُغمض عينيها وتسلم لها نفسها دون مقاومة، لتضع بورجا يدها على قلب إيتا وهي تردد كلمات مبهمة بصوت مرتفع، ليخرج ضوء أبيض اللون خافت من جسدها.

*****

ظهرت عائنة أمام دنهش الذي ما زال جالسًا على كرسيه وسط القُمامة لتُخبره وهي منبسطة الأسارير:

-لقد هربت إيتا من مملكة الملك الأبيض هي وولدها، وكفيائيل وبني النعمان يبحثان عنها في كل مكان.

وقف دنهش لينادي بلقين ليحضر الأخير في الحال قائلاً:

-هل انتهيتما من إيتا؟!

أجابت عائنة بحماس:

-لقد خرجت من المملكة وقد استدعاك دنهش كي تخبرنا بمكانها.

مد يده لدنهش قائلاً:

-أعط لي الحجر وأنا سأجدها.

أمسك دنهش بالصندوق ليُخرج منه الحجر ليصيح عاليًا بغضب شديد:

-أين الحجر؟!

ثم نعق مناديًا:

-عزقييييييل.

*****

عادت الملكة للأرض تنادي على كفيائيل وبني النعمان لتُبلغهما بخوف يختلط بالغضب الشديد:

-قبل أن تستدعوني بوقت قليل سقط حجر قوي جدًا من القمر، وقد عرفته فور رؤيته برغم أنني لم أرَ مثله من قبل، لكني حين أمسكت به شعرت بقلب قوي وروح مختلطة.

ثم نظرت نحو كفيائيل لتُكمل:

-روح جني يتميز بالطيبة والنقاء وروح حارسة قوية تتسم بالدهاء وتمتلئ بالحب.

نظرات عيناه تساءلت لتُجيب ڤيجا:

-نعم إنه ولدك، ولذالك صعدت لأعرف مكانه من خلال حجره ومؤكد إيتا لن تتركه؛ لكني وللعجب وجدت شيئًا لم أفهمه إلى الآن.

تساءل نعمان بقلق:

-ماذا وجدتِ يا مولاتي؟!

رفعت الحجر أمام أعينهم لتوضح لهم الأمر:

-كما ترون الحجر منطفئ تمامًا ولا أفهم السبب إطلاقًا.

نفخ كفيائيل وهو يصفق بكلتا يديه لتهيج الأمواج وترتفع إثر نوبة غضبه وهو يصيح:

-هل معنى ذلك أن ابني مااات؟!

أمسك نعمان بيديه ليهدر به:

-اهدأ حتى نفهم ما حدث.

اقتربت منه ڤيجا وبصوت حاسم وصارم:

-لو مات ولدك لكان الحجر هذا حفنة تراب، تمالك نفسك فأنا أعرف ابنتي جيدًا ستحمي ولدها ولو كان الثمن هو روحها.

وقف نعمان أمامها ولمعت بعقله فكرة ليسألها:

-ما اسم خادم بورجا من الشياطين؟!

أجابته فيجا وهي تحاول فهم ما يفكر به:

-عزقيل.

هتف نعمان:

-يوناس.

ليأتي ولده على الفور مُلبيًا:

-أمرك يا أبي.

وعل عجل طلب منه:

-ابحث لي عن شيطان أرضي يسمى عزقيل، واعرف لي مكانه في الحال.

مرت اللحظات ثقيلة عليهم حتى أتى يوناس قائلًا لهم:

-اتبعوني.

ذهبوا خلف يوناس الذي ظهر عند كوخ بورجا الجديد ليهجموا على الكهف فوجدوا دنهش وعائنة بالداخل، هجم كفيائيل على دنهش وبني النعمان أمسك بعائنة، بينما ذهب يوناس لبورجا يقيد يديها بقوة يسألها بصوت قوي:

-أين إيتا وولدها؟! أجيبي وإلا قتلتك في الحال.

رددت بخفوت تعويذة فابتسم يوناس قائلًا وهو يثني ذراعيها خلفها:

-هل تظنين أن تعاويذك هذه تؤثر بي!

تأوهت بألم وهي تشير إليه برأسها على حفنة رماد أسود يفترش البلورة التي انكسرت بسبب عراك دنهش وكفيائيل وهي تقول:

-كان هذا اختيارها.

صرخت بهم ڤيجا ليتوقفوا وهي تُخرج سلسالها الناري لتقبض عليهم فاختفى دنهش هاربًا، وقبل أن تهرب عائنة ترك يوناس بورجا ليُمسك بها فهربت بورجا بعدما ألقت بعض الكلمات وهي تنثر التراب الذي افتعل دخانًا كثيفًا ليلحق بها يوناس تاركًا عائنة للملكة ڤيجا، بعدما لفت السلسال حولها لتأخذها سجينة وتصعد للسماء وقد اجتاح الحزن قلبها بأكمله.

أمسك نعمان بكفيائيل قبل أن يلحق بدنهش الذي أصابه في جسده بأكمله، ليقول له نعمان:

-تعال معي للحكيم كي يضمد جرحك، وبالنسبة إلى دنهش فلا تقلق لن نتركه، أعدك.

انحنى كفيائيل على الأرض بحزن بالغ ليلملم رماد إيتا بين كفيه، وهو يقول بقهر شديد:

-لقد وعدتني أنك لن تتركيني، لقد أقسمتِ يا إيتا، لماذا فعلتِ بي ذلك؟!

أمسك نعمان بكتفيه لينتقل به نحو مملكته ليهدأ من روعه؛ لكنه كفيائيل أبى وانتقل لمملكته داخل البحار وهو يزعق بهم جميعًا:

-على جميع جيوش الممالك الثلاث أن يستعدوا للحرب الآن؟

*****

بعدما تأكد بلقين من خروج الجميع، دخل الكوخ ليجلس على ركبتيه وبين يديه رماد إيتا ينثره بين كفيه وهو يبتسم بنشوة منتصر ويردد:

-أخيرًا قمت بالتخلص منكِ يا إيتا، ولم يتبق سوى القليل على التخلص من الملكة وسيكون القصر بحراسه ملكًا لي.

انتقل نحو دنهش الذي يستشيط من الغضب حتى إن جسده يضج بالنيران ليصيح في بلقين:

-لقد أخذت الملكة عائنة، هل تعرف هذا؟! أم أن فرحتك بموت شقيقتك أعمتك عما حدث؟!

زفر بضيق وهو يقول له:

-لا تقلق لم يتبق سوى القليل وسأخرج الشياطين جميعهم من القصر حينما أتولى أنا زمام الأمور.

وقف دنهش أمامه وما زال الغضب يُشعل جسده ليسأله بغيظ:

-وماذا سنفعل مع كفيائيل وبني النعمان وممالكهم حين يغيرون علينا الحرب؟!

نظر له بلقين باشمئزاز قائلًا:

-وما الذي سيصيبك في حرب كهذا؟! ألست خالدًا؟!

صاح به وهو يضغط على رقبته بغيظ:

-سيموت جنودنا أيها الغبي، فلم يدخل بني النعمان حربًا بيننا إلا أنهى حياة نصف جنودنا لهذا نتجنب الحرب معهم، لو علم عزازيل أنني افتعلت هذه الحرب سيعاقبني بشدة، ولو أمسكني أحد هؤلاء الجن سأسجن في باطن الأرض ولن يستطيع أحد إخراجي.

نفض بلقين يد دنهش من على رقبته ليختفي وهو يقول له:

-لا تقلق أنقذ نفسك فقط وأنا سأحميك.

*****

أخذ نعمان كفيائيل وأخويه والثلاثة قادة للجيوش ومعهم الملكة لينتقلا للغرفة المُحصنة ليضع خطة الحرب.

وبعدما انتهى نعمان قالت لهم ڤيجا:

-اتركوا لي دنهش سأعود به للسجن.

طلب نعمان منها:

-اتركيه لي سأسجنه في سجن لا أحد يعرف مكانه.

رفضت قائلة:

-لا يا بني النعمان فهو سجيني أنا، ويجب أن أعود به كما عدت بعائنة لتعود ثقة أبنائي بي.

ثم تركتهم في الغرفة واستأذنت للخروج، تعجب نعمان لكنه

تجاهل الأمر لتنادي ڤيجا على الملك الأبيض كي يحضر في الحال، ليأتيها هو مُرحبًا:

-أنرتِ مملكتي يا ڤيجا، وأتمنى أن تنيرها للأبد.

تنهدت ڤيجا لتجلس على المقعد خلفها وهي منهكة القوى تشعر بالحزن الشديد على ابنتها التي قُتلت من قِبل أخيها، لتدمع عيناها بقهر على أبنائها الذين تركوا غايتهم وظلوا يركضون خلف أهوائهم.

جلس الملك الأبيض بجوارها يُمسك كفيها بحنان وهو يربت عليها قائلًا:

-سيمر يا ڤيجا كل هذا الألم سيمر صدقيني.

نظرت نحوه بعينين انطفأتا من الحزن لا تجد ما تحدثه به، وهي تُفكر هل لو تركتهم في الماضي كان حالهم سيصبح أفضل من هذا؟!

وقفت لتستعد للصعود؛ لكن الملك الأبيض لم يترك يديها ليحثها بالقول:

-انتظري قليلًا يا ڤيجا.

نظرت لعينيه وهي تُجيبه بأسى:

-يبدو أنني بالفعل انتظرت كثيرًا حتى ضاع كل شيء.

سحبت يدها من بين يده لتربت على كفيه بشكر وامتنان لمساندته إياه، ثم انطلقت عائدة للقصر لتُخبر أبنائها الثلاثة

للهبوط معها لحرب الجن على الشياطين.

# الفصل السادس عشر

ظهرت مندا أمامه تنحني له بإجلال ووجهها المذعور يُعبر عما بداخلها، ليتفاجأ طوطيائيل من ظهورها بعد كل هذه الفترة وهو قد بحث عنها وقتما أراد قضاء وقت ممتع، لم يحصل عليه من جنية قبلها ليسألها بقلق:

-أين كنتِ؟! لقد بحثت عنكِ كثيرًا.

اقتربت منه على استحياء وهي تضم كفيها بعضهما ببعض، ثم رفعت رأسها تنظر لعينيه بوله ثم بصوت مرتجف سألته:

-هل اشتقت لي يا مولاي؟!

نظر حوله ليتأكد من خلو غرفته ثم حاوط خصرها بيديه قائلاً:

-تعالِ معي لمكان خالٍ وسوف تعرفين عمليًا كم اشتقت إليكِ .

أبعدت يديه برفق قائلة:

-حسنًا سأفعل ما تأمر به، لكن انتظرني هنا قليلًا وسأعود إليك.

وقف متعجبًا ليراها تعود وهي تحمل بين يديها لفافة، حتى اقتربت منه وهي تنزع اللفافة من على وجهها ليرى طفلة غاية في الجمال بعينين ذهبيتين مثله تمامًا.

عيناه ارتجفت من المفاجأة وهو يتوقع القادم؛ لكنه أصر أن يسمعه وهو يشير نحو الرضيعة قائلًا:

-من هذه الطفلة؟!

أجابته وهو تبتسم وعيناها تلمعان:

-ابنتك يا مولاي.

جعد جبهته وبرقت عيناه بعدم تصديق، ليهتز صوت مندا بالبكاء وهي تُخبره:

-لقد اختفيت حينما عَلمت بحملي منك يا مولاي، خفت أن تقتلني حين تعرف، لكني لم أستطع إخفاء الأمر عنك بعدما أنجبتها.

عادت خطوتين للخلف وهي تحني رأسها بحزن شديد لتُكمل:

-الأمر عائد إليك يا مولاي لو أردت سأختفي من حياتك للأبد، ولن تراني مرة أخرى.

ظل ينتقل بنظراته منها للطفلة التي بيدها ليجد الرضيعة تبتسم له ليُسحر بجمالها الأخاذ، لكنه نفض رأسه واختفى من أمامها دون أن ينطق بحرف آخر.

رفعت رأسها تبتسم بخبث لتلتفت لمن خلفها يحاوط خصرها وهو يهمس إليها:

-سيهرب مِن الطفلة التي بيديك.

ثم تحسس بطنها برفق ليُكمل:

-أم من التي اللي تحملينها في أحشائك؟!

لمعت عيناها وهي تقول له:

-سيعود، لا بد أن يعود سريعًا قبل أن يظهر حملي.

-وكيف لكِ أن ترجعيه؟!

داعبت شعر ابنته بيدها وهي تحدثه بثقة:

-سيعود حين يعلم بخيانة أخيه له، لا تقلق قريبًا سنُصبح ملوك المملكة الشمالية.

*****

ذهب دريائيل للكهف السري واستدعى أخاه طوطيائيل ليأتيه الأخير على الفور، حينما سمع صوته وهو عائد لمملكته يفكر فيما سيفعله مع مندا وطفلتها وكيف يتجنب معرفة ليديا لهذه الحقيقة.

وقف أمام أخيه يتساءل:

-ما الذي حدث؟!

توتر دريائيل ظهر على صوته وهو يُخبره:

-لقد ناداك كفيائيل لتُحضر جيشك، سيقوم بالقبض على دنهش الليلة ومعه نعمان وولده والملكة ڤيجا.

أصاب طوطيائيل القلق حيال ما اتفقا عليه سابقًا ليسأله:

-سنفعل كما اتفقنا أليس كذلك؟!

هز دريائيل رأسه إيجابًا وهو يقول:

-نعم سنفعل؛ لكننا يجب أن نؤكد على دنهش ألا ينجو كفيائيل وإلا لن نضمن ردة فعل كفيائيل تجاهنا.

حرك طوطيائيل رأسه بإهمال وهو يقول:

-لا تخف لقد تخلصنا من زوجته وابنه و...

أوقفه دريائيل بقلق بالغ:

-لم نجد ولده إلى الآن ولا نعرف مكانه يا طوطيائيل ولذلك استدعيتك لنفكر في الأمر.

زفر أخوه بضيق:

-لقد وصلنا لآخر خطوة لنا قد خططنا لها منذ سنوات، أتريد منا أن نتراجع لمجرد خوفك من طفل أخفته أمه كي لا يصل إليه الشياطين.

التف دريائيل حول نفسه بتشتت قائلًا:

-أنا لست خائفًا من الطفل في الوقت الحالي أنا لا أتخيل لو كبر هذا الطفل وعلم بما فعلناه ماذا سيفعل بنا؟

علا صوت طوطيائيل وهو يهدر به:

-أتخاف من طفل لم يتم عامه الأول؟!

-أنا لا أفهمك أبدًا يا دريائيل، ثم من أين سيعلم هذا الطفل ما فعلنا حين يكبر؟!

بدلًا من أن تفكر فيما سنفعله بعد قليل وكيف لنا أن نتأكد من

موت كفيائيل حتى نتسلم المملكة بأكملها تفكر في ولده حين يكبر! ونسيت اتفقنا مع دنهش مقابل قتله لكفيائيل؟!

رفع دريائيل كفيه باستسلام وهو يردد:

-حسنًا هيا بنا نذهب إليه قبل أن يبحث عنا.

*****

وقف بني النعمان في المنتصف وبجواره كفيائيل وعلى الجانب الآخر وقف يوناس ليبدأ بني النعمان تلقين الجنود ما سيفعلونه مع الشياطين وترتيب صفوفهم في المعركة، أحني كفيائيل رأسه نحو نعمان ليسأله:

-أين باقي جنود مملكة الملك الأبيض؟!

أجابه نعمان بثقة:

-لا تقلق لن نحتاج للكثير يكفي هؤلاء، فلن يسمح عزازيل بدخول أعوانه لمعركة كهذه الغرض الأول منها الانتقام.

جعد كفيائيل جبهته بتعجب:

-ماذا تعني؟!

التفت له نعمان ليشرح له الأمر:

-عزازيل ليس بهذا الغباء فهو يعرف جيدًا من يواجه، ولذلك لن يسمح بخروج عدد كبير من الجنود التابعين لدنهش، خاصة أن السبب ليس مقنعًا بالنسبة إليه فالأصل في هؤلاء الشياطين هو

الجُبن وعدم مواجهتنا ولهذا اكاد أجزم أن تحرك دنهش نحونا له غرض آخر غير الانتقام لأنه بالفعل عرف بموت إيتا فلا يوجد مبرر لحربه هذه.

شعر كفيائيل بعدم الراحة من كلام صديقة، وبعد عدة تحليلات في عقله تبين أن نعمان على حق، لماذا يريد دنهش الحرب معه؟! هو من يريد الانتقام منه لأجل زوجته ولذلك فإن مكان دنهش الحقيقي هو الاختباء منهما، خصوصًا بعد علمه بوجود الملكة ڤيجا وأنه لن يستطيع الهرب منها مثل المرة الماضية وسيكون مصيره السجن؟!

فما الدافع لوجوده؟!

أصابته الحيرة ليبحث عن أخويه بعينيه فلم يجدهما حوله، كاد أن يناديهما حتى وجدهما أمامه يقفان بجواره وكل منهما يقود جيشه، استعدا جميعًا لإشارة بني النعمان عندما ظهر دنهش ومن خلفه عدد قليل من الشياطين يحملون أسلحة ويتأهبون للقتال.

زاد تعجب كفيائيل حين رأى بعينه ما أخبره به بني النعمان، لقد تحقق بالفعل فلا يوجد مع دنهش سوى القليل، مؤكد هناك خدعة ما.

أشار لهم نعمان ليبدأ التشابك بينهما بينما تركيز كفيائيل انصب على دنهش، ليذهب إليه تاركًا بني النعمان وولده والملكة ڤيجا يسلسلون من الشياطين من يستطيعون الإمساك به.

تخطى كفيائيل الشياطين الملتفون حول دنهش حتى لا يقترب منه أحد وعندما وصل إليه أشار دنهش لطوطيائيل ودريائيل

اللذان أشار لجيشهما بالانسحاب تحت أنظار يوناس، فتنقل ببصره سريعًا نحو كفيائيل الذي التفت الشياطين حوله في دائرة محكمة ليشتبك مع دنهش في معركة مميتة له ليزداد عدد الجنود من الجن المائي الموالين لملكهم طوطيائيل يقفون حائلًا بين يوناس وكفيائيل، بينما يقف جنود دريائيل أمام بني النعمان حتى لا ينقذوا كفيائيل من يد دنهش ليردد يوناس بحزن شديد وهو يقاتلهم وعيناه لا تفارق كفيائيل الذي بدأ جسده يرتخي في يد دنهش:

-لقد هلك ملك البحار.

*****

في الوقت الحالي

ما زال ينتفض جسد كِنان المُلقى على الأرضية المرمرية الخاصة بغرفة الملك دريائيل، الذي يقف مرتعدًا بينما تقف بجواره ليديا زوجته بخوف يُماثل خوفه لتهدر بهم منسا وهي تلتف حولهم:

-لقد مر يوم كامل وهو على هذه الحالة ولا يريد أحد منكم أن يخبرني ماذا يحدث له؟!

زعقة من عمها جعلتها تعود للخلف خطوة وهو يصرخ بها:

-لا تخافي عليه! خافي على والدك وعمك أيتها الحمقاء، فهو الآن في سبات لتعود إليه ذاكرة أمه وأجداده ولا ندري ماذا أخبرته أمه عنا.

اقتربت منه منسا بذهول وهي تسأله:

-أمه؟! أنت تعرف أمه؟!

أمسكت ليديا بيديه واختفت وهي تأخذه معها لغرفتهم وقد زاد توترها أضعاف وهي تقول له:

-هو الآن ضعيف وما زال على هيئته البشرية وقتله سيكون سهلًا ويسيرًا، لا تتردد يا دريائيل فحياتنا ستكون بين يديه إن استيقظ.

جلس منهكًا على المقعد خلفه وهو يفكر مليًا وبصوت مضطرب تحدث إليها:

-لا لا لن أستطيع قتله يا ليديا، أنتِ تعرفين أنني حاولت التكفير عن ذنبي فيما فعلته لأخي وزوجته، يكفينا ما حدث لنا في الماضي لن أتحمل أن أصاب بلعنة ثانية.

شعرت بالغيظ الشديد من موقفه السلبي فصرخت به:

-حسنًا انتظر حتى يفيق وهب له حياتك ومملكتك بأكملها مقابل أن يسامحك على ما فعلته.

ثم اقتربت من وجهه وهي تضيق عينيها بغضب:

-وصدقني لن يسامحك وسيقتلك في النهاية، ولذلك لن أنتظر حتى أصبح خادمة عند ابن أخيك الملك، سأفعل أنا الآن ما تعجز عن فعله أنت.

ثم تركته وذهبت وهو يهتف باسمها لتتراجع، ليصيح عاليًا:

-لا تفعلي يا ليديا فلا تنسي أنه ابن إيتا، لقد حذرت طوطيائيل ولم يسمع لي، الآن أنا أحذرك من الاقتراب منه.

أصابها الذعر حين وصلت للغرفة فلم تجد منسا ولا كِنان كما تركتهما!

صاحت باسمها غاضبة لتسمعها منسا وهي تتحرك بسرعة فائقة داخل المياه لتنتقل به لكهف مغلق اكتشفته منذ زمن قريب تحب الجلوس فيه وحين تريد الاختباء من والدها كان هو ملاذها الوحيد، صعدت للجزيرة ودلفت للكهف وهي تحمله بين يديها ثم وضعته على فراش مزين بالنجوم، الفراش الذي لا تستريح إلا عليه ولم تؤثر بها طبيعتها المائية عن الاستمتاع به.

نظرت لجسد كِنان الذي تغير تمامًا عما سبق، وما زال يتغير بين كل فينة وأخرى ولا تعلم ما السبب، جلست بجواره لتضع كفها على جبهته برقة وهي تناديه بوجوم:

-كِنان استيقظ أرجوك.

سكن جسده من اهتزازه وارتخت عضلاته وعروقه التي كانت على وشك الانفجار ليُصبح هادئًا تمامًا مثل النائم تمددت منسا بجواره لتغفو على كتفه وهي تتمنى أن يستيقظ وتعرف منه ماذا يحدث له! ولما أرادت زوجة عمها قتله؟!

*****

شعرت بشيء يهتز داخل الصندوق الخشبي الذي يحمل مجموعة من اللآلئ التي أخذتها من باطن البحار قبل هروبها مع زوجها

الإنسي، لقد ذهب زوجها للصيد ولا يوجد أحد بالمنزل، وضعت يدها تلقائيًا على بطنها التي تحمل ولد راجح وهي تلتف حولها خائفة من أحد جنود والدها قد عرف مكانها، توجهت نحو الصندوق لتفتحه فوجدت قلادة زرقاء كبيرة كانت تملكها منذ صغرها، وكلما فقدت هذه القلادة وجدتها تعود إليها بشكل ما لا تعرفه.

جعدت جبينها بتعجب فهي تتذكر جيدًا أنها لم تضع هذه القلادة داخل الصندوق فقد حذرتها والدتها من ارتدائها أبدًا وأخذتها منها منذ وقت طويل، رددت بخفوت:

-ما الذي أعادها لي، ووضعها هنا؟!

أمسكت القلادة بين يديها لتشع بالضوء الأزرق الذي يتغير للأحمر بمجرد لمسه، دفعت القلادة يديها وارتفعت للأعلى لتقف چيا متسمرة والقلادة تلتف حول رأسها!

*****

وصلت ليديا لقصر طوطيائيل متخفية من الجنود لتصل لممر سري تعرفه جيدًا عندما كانت تعيش في القصر مع والدها الوزير المقرب له، ليوصلها الممر لغرفة طوطيائيل الخاصة، دلفت داخل الغرفة تتفحصها فلم تجد بها أحدًا لتبدأ في الهمس باسمه حتى أتاها في لحظات جاحظ العينين ينظر لها مشدوهًا لا يصدق وجودها بعد كل هذه السنوات في غرفته الخاصة.

تحولت ملامحه للغضب وهو يسألها:

-ما الذي جاء بكِ إلى هنا؟! أليس بيننا عهد ألا تقربي مملكتي أنتِ والخائن زوجك.

أجابته بثبات ورغم ذلك خرج صوتها حادًا غليظًا:

-الخائن هو أنت يا طوطيائيل وليس أنا، لقد رأيتك بعيني..

وقبل أن يتحدث أوقفته بصرامة:

-أنا لم أتِ كي أتحدث عن الماضي الذي بيني وبينك أنا جئت هنا لأخبرك أن ابن كفيائيل عاد وهو الآن في سبات لتعود له ذاكرة أمه ولا ندري بماذا أخبرته.

ظهرت الدهشة جلية على وجهه وهو يحاول استيعاب ما تقول ليتساءل بقلق ظاهر:

-كيف حدث ذلك؟! ومن أين عاد؟!

أجابته وهي ترفع زاوية فمها بشماتة واضحة:

-ابنتك منسا هي من جاءت به لمملكتنا هاربة منك .

لم يفهم مقصدها وقد تشوش عقله بما تقول:

-لقد هربت ابنتي مع إنسي؟!

رددها بخفوت لتجيبه ليديا:

-لقد أخفاه أحد السحرة في جسد إنسي حتى لا يعثر عليه أحد منكم ولا من الشياطين.

زفر بضيق وهو يصرخ بوجهها:

-ولماذا لم تقتلوه وهو في مملكتكم؟!

أجابته بامتعاض:

-لم يوافق أخوك على قتله، فمنذ أن أصيبنا بلعنة عدم الإنجاب وهو خائف من لعنة أخرى تكون بزوال ملكه، فقد أخبره الساحر أن كل جني يقوم بأذية حارس من السماء تصيبه لعنة وأولها فقدان النسل.

لاح بنظره عنها باستهزاء وهو يردد:

-ولماذا لم أفقد أنا الإنجاب مثله، هراء يصدقه أخي المعتوه.

اقتربت ليديا منه وهي تحدثه بلطف:

-لم أتِ إلى هنا كي نناقش حياتنا الشخصية، أنا أريدك أن تبحث عن ابنتك وتقتل ابن أخيك قبل أن يشتد عوده ويصبح أقوى منا جميعًا، ووقتها لن ينجو منا أحد.

دخلت مندا عليهما لتراهما متقاربان لتهتف بهما بهياج وهي تقف في المنتصف بينهما:

-ماذا تفعل في الغرفة الخاصة بك مع حبك القديم يا مولاي؟!

أمسك طوطيائيل مرفقها ليقول لها بهدوء:

-اهدأي يا مندا لقد جاءت ليديا لتحذرنا من عودة ابن كفيائيل.

برقت عيناها بفزع، لقد اقتربت من تحقيق حلمها وقد بقي القليل

على إزاحة زوجها من الملك لتتسلم هي المملكة وبجوارها مركوم حبيبها السري، لكن مع عودة هذا الابن ستُحبط كل مخططاتها، حتى وإن قتل زوجها سيصبح هو الملك، توقفت في تفكيرها عند هذا الحد لتهتف به:

-يجب علينا قتله على الفور.

ثم نظرت نحو ليديا قائلة:

-وأنتِ عودي لمملكتك ولا تأتي إلى هنا ثانية.

اختفت ليديا وهي تنظر لمندا بغضب، بينما سكت طوطيائيل وهو يفكر كيف له أن يتخلص من ابن أخيه وزوجته وأخيه دريائيل لتكون المملكة بأكملها مِلكه وفوقها حبيبته القديمة التي أخذها منه أخوه.

*****

# الفصل السابع عشر

تململ جسده وارتجف تحت رأسها لتستيقظ هي سريعًا تنظر إليه وتتفحص جسده الذي اختلف كليًا عما كان قبل أن تغفو.

تمددت ملامحها بانشداه وهي تنظر لكل جزء في جسده بإمعان، لقد أصبح يماثلها في الطول بل أطول بقليل، عضلاته أصبحت سميكة وجسده تضاعف حجمه أضعافًا، لقد أصبح شعره أسود مثل الليل وطويلًا بكثافة غطت وجهه الذي غدى مثل البدر المنير، فتح عينيه لتنير بالأزرق الذي تحول للذهبي ثم أغلقهما لينفتحا مرة أخرى لتُصبح عيناه سوداء قاتمة بشكل طولي.

عادت للخلف بخوف ليعتدل هو قائمًا ينظر لجسده بتعجب، ثم رفع رأسه إليها ليجد فراشه المزين بالأحجار والكهف المألوف له، وقف يتأمل الكهف وعيناه تلمعان بضوء كثيف ليتحسس الفراش والجدران وكأنه يلمس والديه، اقترب منها يسألها بلهفة:

-من أين عرفتِ بهذا المكان؟!

تلكأت منسا قليلًا وهي تُشبع نظرها برؤيته لتجيبه بخفوت ظاهر عليه الحرج:

-صدفة، وجدته صدفة وأنا أتنزه في هذه الجزيرة.

ظل يلتف حول الجدران وهو يلتمسها بشوق مرددًا:

-هذا كهف والدي الذي رأيته، هو بالضبط.

اقتربت منهم تحاول لمس يده وهي تقول بصوت مرتجف:

-هل أنت بخير؟!

نظر لكفها الذي وضعته على رسغه ثم نظر لعينيها الذهبيتين التي لا تلمعان إلا حين تنظر إليه ثم أشاح بنظره بعيدًا عنها ليسبقها ببضع خطوات قائلًا:

-انقليني إلى عمك أولًا.

وقفت أمامه وبإصرار كبير أخبرته:

-لن نتحرك من هنا حتى تقول لي ماذا حدث معك؟! ولماذا اختلفت هيئتك هكذا وأصبحت تشبهنا إلى حد كبير؟! أنا أحتاج لأن أفهم يا كِنان.

أجابها بثبات وهو يخرج من الكهف المغلق بالصخور لتتبعه هي في ذهول من قدرته على التخفي:

-ستعرفين كل شيء في وقته لا تعجلي، والآن انقليني لعمك دريائيل.

*****

دلف راجح داخل بيته الصغير يناديها وهو يحمل صندوقًا مليئًا بالأسماك المتنوعة:

-چيا لقد أتيت ومعي طعام يكفينا لعدة أيام، وقد بعت كثيرًا من السمك اليوم.

توقف عن الحديث وهو يراها تقف أمام الحائط ورأسها معلق

للسقف تنظر للقلادة الكبيرة على شكل نجمة سداسية وفي منتصفها حجر أزرق عتيق يضيء الغرفة بأكملها، وتلتف النجمة حول رأس چيا التي تحولت عيناها من الزرقاء إلى السوداء القاتمة وكأن هناك شخصًا آخر يحتل جسدها. اقترب له، منها مرتعدًا ليلكزها في كتفها فلم تنتبه فأعاد لكزها وهو يناديها حتى نظرت نحوه لتسقط القلادة أرضًا وتعود عيناها للونها الأصلي شهقت چيا بفزع وهي تنظر لزوجها المرتعب قائلة:

-ما الذي حدث؟!

أجابها بصوت مرتجف:

-لا أعلم لقد أتيت ووجدتك تقفين.

لم يُكمل حديثه حين التقطت چيا القلادة لتمسها بيديها وبتعجب أخبرته:

-لقد وجدتها في صندوق مجوهراتي، هذه قلادتي منذ الصغر لكن أمي أخذتها مني من وقت طويل ولا أعلم من الذي أعادها لي أو من أين جاءت؟! وحين حاولت ارتداءها حدث ما رأيته أنت، وكأن أحدهم كبلني بأصفاد ولم أستطع الفكاك، اقترب منها يحضنها مطمئناً إياها:

-اهدأي يا حبيبتي، سنعرف...

توقف عن الحديث حين سمع طرقًا على باب البيت ليذهب بخطوات سريعة يفتح الباب وچيا تقف من خلفه، وجد بورجا تقف أمامه ليضم حاجبيه بتعجب متسائلًا:

-من أنتِ؟!

رفعت كفها لجسده فعاد للخلف مجرورًا حتى الحائط ليستقر جسده بأعلى الحائط مكبلًا بسلاسل لا يراها هو لكن چيا رأتها وركضت نحوه لتوقفها بورجا وهي تُمسك مرفقها لتجرها خلفها برفق، بينما ظلت چيا تقاومها وهي تصرخ بها وتحذرها:

-اتركيني أيتها الساحرة، واخرجي من هنا في الحال، فأنتِ لا تعرفين من أنا.

استمر راجح في ركل الحائط محاولًا النزول لكنه لم يستطع فظل يصرخ بها أن تترك زوجته ويحث زوجته على ضربها حتى أشارت بورجا بسبابتها نحو خرقة قماش لتتحرك الخرقة ذاهبة في الهواء على فم راجح لتمنعه من الحديث.

سحبت چيا مرفقها من يد بورجا بعنف لتسألها بغضب جعل عينيها تهتاج ووجهها يحتقن بالدماء:

-من أنتِ؟! وماذا تريدين؟!

أجابتها بثبات وهي تجلس على المقعد خلفها وتحرك بيدها مقعد آخر لتضعه خلف چيا:

-أنا أمك الحقيقة، وماذا أريد، ستعرفين حين تجلسين أمامي.

*****

انتقلت به لمملكة عمها كما طلب منها فهي تريد أن تفهم ماذا يحدث معه، نظر لبوابة القصر الكبير الذي تحيطه المياه من

جميع الاتجاهات ليدلف للداخل دون إذن أو انتظار ليقف عمه بتوتر واضح؛ لكنه حاول أن يتمالك نفسه أمام كِنان الذي سأله بصوت رخيم:

-أين أبي؟!

أحنى دريائيل رأسه بحرج فأكمل كِنان:

-إذن ما أخبرتني أمي به صحيح، لقد قتلتم أبي أنت وأخوك.

جحظت عين منسا وهي تنقلها من بين كِنان وعمها دريائيل الذي رفع رأسه ليتحدث:

-اهدأ يا بني، أنت لا تعرف ماذا حدث.

وقفت منسا في المنتصف بينهما تهتف بهما:

-أحد منكم يخبرني حالًا ما الذي يحدث هنا وإلا لن تأمنا شري.

ضحك كِنان باستهزاء وهو يشيح ببصره من على وجه منسا المحتقن ليقترب من عمه وبهمس قاتل قال له:

-استعد جيدًا سأعود إليك، قد حان وقت الحساب يا..عمي العزيز.

شهقت منسا وهي تردد:

-عمي؟! كيف هذا؟!

اختفى كِنان من أمامهم ليجلس دريائيل على مقعده بحسرة وهو يقول:

-ألم يكفي لعنتي؟! لقد كفرت عن ذنبي يا بني.

أحاطت منسا كتفيه لتهزه بعنف وهي تصيح به:

-أخبرني من هذا؟! ولما يناديك عمي؟!

بخفوت وبصوت نادم أخبرها:

-هذا هو الماضي الذي لم نستطع التخلص منه، لكنه هو الذي سوف يتخلص منا.

*****

شعرت ڤيجا بشيء غريب يحدث بالقصر ولا تعرف ماهيته، أسرعت خارج القصر تنظر للسماء فوجدت حجر كِنان يلتف حول القمر بشكل مبهر، ابتسمت حتى أدمعت عيناها واعتلت غيمتها وانطلقت نحو جزيرة سيريوس الذي كان كعادته أما البحيرة يصطاد، وقفت أمامه لتلمع عيناها بضوء محبب له ثم ابتسمت بسعادة وهي تنظر للسماء ليتبعها سيريوس بعينيه ففهم ما سر سعادتها.

اقترب منها يمسك يديها بفرحة عارمة وهو يردد:

-حمدا لله على عودته سالمًا.

خرجت من البيت حين شعرت بوجودها في الخارج لتركض نحوها تنظر لها بغرابة، وقبل أن تتساءل عن سبب مجيئها أشارت لها ڤيجا أن تنظر للسماء وترى الحجر وهو يلتف حول القمر بشكل مذهل وغاية في الجمال، عرفته على الفور لتضع

يدها على قلبها وعيناها تزرفان دموع الفرح ولأول مرة في حياتها ترى الدموع تسقط من عينيها بهذه الكثافة.

*****

تركت منسا عمها الذي ما زال يجلس بحسرته وتبعت كِنان الذي رأته يسبح من بعيد داخل المياه مثلها تمامًا، ظلت خلفه حتى خرج من المياه للكهف الذي كانا فيه منذ قليل، دلفت خلفه وهي تمسك بمرفقه وتضغط عليه بغيظ قائلة:

-أخبرني الآن من أنت؟

تنهد كِنان وعيناه تتجولان في الكهف وهو يرى والده ووالدته في كل جزء فيه، ليقول لها بصوته الأجش المتعب والحزين:

-أنا ابن لأم ضحت بروحها حتى تحميني كي أعيش، وأب مات بغدر وهو يحاول أن ينتقم لنا نحن الاثنين.

-أنت جن مائي؟!

نظر لعينيها الذهبيتين لتتلون عيناه السوداء بالضوء الذهبي مثلها وهي تنظر له فاغرة فاها من جمال وجهه وعيناه الآسرة ليجيبها وهو يُمسك يدها خارج الكهف:

-ليس هذا وحسب.

انطلق سابحًا في السماء لتشهق منسا من المفاجأة، وهو يعتلي إحدى السحب ويشير إليها لتسقط بجوار منسا، فمد لها كفه للتشبث بها فرفعها لتقف على الغيمة ليفرد هو ذراعيه مردد:

-وحارس للسماء.

خارت قوى منسا فجلست على الغيمة وقد أنهكتها كل هذه المفاجآت، فجلس كِنان بجوارها ليُحدثها بشجن يستشعره في قلبه:

-أمي تسمى إيتا ووالدي هو كفيائيل ملك ال...

أوقفته منسا وهي تضع كفها على فمه وهي تهتف:

-مستحيييييل!!

*****

يجلس على مقعده يستند بمرفقيه عليه وهو يفكر مليًا فيما سيفعله بهما، دخل وزيره المقرب لينحني أمامه وهو يخبره:

-لقد أصبح الجيش على أتم الاستعداد للحرب يا سيدي.

لم ينظر إليه وهو ما زال يفكر في القادم ليجيبه بإهمال:

-حسنًا أخبرهم أن ينتظروا إشارتي.

أجابه الوزير بانحناءة وهو ينسحب خارج الغرفة:

-أمرك يا مولاي، سأخبر قائد الجيش.

ترجل من على مقعده لينطلق نحو المحيط سابحًا لمملكة طوطيائيل لينظر لها من الخارج متوعدًا:

-لم يتبق سوى القليل، أرجو ألا تكون قد نسيتني يا طوطيائيل.

ثم أكمل سباحة للشاطئ وخرج لجزيرته ليدلف داخل الكهف الذي اشتم به رائحة مألوفة بالنسبة إليه، جعلته يجول بأنفه حول الجدران وهو يجعد جبهته بتعجب مرددًا:

-هذه رائحة جني أعرفه جيدًا.

*****

-هل أنت ابن عمي كفيائيل؟!

قالتها منسا بذهول، أومأ كِنان رأسه إيجابًا وهو يقول لها:

-نعم كفيائيل هو أبي وقد قام والدك وعمك بقتله من أجل الحصول على مُلك البحار وحدهما.

جحظت عين منسا وهي تهز رأسها نفيًا ليؤكد لها كِنان الأمر:

-صدقيني يا منسا هذا ما حدث، ولقد رأيتِ عمك لم ينكر فعلتهم.

احتقنت عيناه بالغضب ليُكمل:

-وسوف أنتقم منهم جميعًا.

صاحت به منسا:

-أنت لن تمس أبي بسوء.

اهتزت الغيمة من تحتهم لتتشبث به منسا وهو يهتف بها:

-أقول لك لقد قتلا والدي، أبدًا لن أتركهما يعيشان بعد اليوم.

نظرت فوقها فوجدت غيمة متلبدة فنفثت بها وكِنان ينظر نحوها

بتعجب حتى أسقطت الغيمة بضع قطرات من المياه لتستخدمها منسا في الهبوط وهي تحذره:

-لقد وقفت أمام الجميع لأحميك وأنت ما زلت بشري والآن سأقف أمامك لأحمي عائلتي من انتقامك الأسود هذا، فإن أردت أذيتهم فسوف تواجهني.

زفر كِنان بقوة وضيق، وهو يشعر بالسوء من غضب منسا عليه، لقد حركت هذه الجنية قلبه قبل أن يعرف حقيقته، لكنها امتلكته حين وقفت بجواره وآزرته في أضعف وقت مر عليه، لقد شعر بها وهي جواره تمسد شعره برفق وحنو افتقده بشدة وكأنها أمه، وحين استيقظ وجدها تغفو على كتفيه وتسبل جفنيها بأمان أشعره بحب لم يتذوقه من قبل إلا حين ينظر لعينيها.

شعر بالندم لمصارحتها فكم تمنى وجودها بجواره وقت أطول من هذا، نظر للسماء وهو يردد:

-ماذا أفعل الآن؟

# الفصل الثامن عشر

ذهبت لمملكة أبيها غاضبة وحانقة وهي تشعر بالاختناق الشديد، والدها الذي طالما اعتبرته رجلًا لا مثيل له تكتشف أنه قاتل ومَن؟! أخيه؟!

عقلها لا يستوعب الأمر وقلبها ينفطر ألمًا وهي مشتتة بين والداها وحبيبها الذي حاربت الجميع من أجله، دلفت للقصر فحاول أحد الجنود إيقافها لكنه تنحى عن طريقها بمجرد أن نظرت له بعينيها نظرة كادت أن تحرقه حيًا، وصلت لغرفة والدها فوجدته يجلس مع أحد وزرائه المقربين الذي تكرهه بشدة يتهامسان بينهما بشكل مريب، دومًا كانت تطلب من والدها أن يبعد هذا الرجل عنه فهو سيئ الخلق ودميم الوجه ولا تشعر تجاهه سوى بالسوء الشديد.

تمتمت بغيظ وهي تنظر لوزيره مركوم:

-رجل بغيض.

ثم بصوت مرتفع أمرته وهي تنظر نحوه باشمئزاز:

-اتركنا أنا وأبي بمفردنا.

-لا تذهب يا مركوم انتظرني بالخارج.

قالها الملك وهو يقترب من ابنته، ليحنى مركوم رأسه وعيناه تتفحص جسدها فاعتبرتها وقاحة منه لتشيح بنظرها عنه حتى خرج من الغرفة لتتلقى صفعة من والدها وهو يهتف بها:

-ما الذي أعادك إلى هنا أيتها الخائنة.

أعادت وجهها الذي ارتد للخلف إثر صفعته، لتواجهه بنظرات نارية وهي تصرخ به:

-عدت لأحميك من ابن أخيك الذي قتلته غدرًا لتحصل على حكم المملكة بمفردك.

صاح بهياج:

-أغربي عن وجهي ولا تأتي لهذه المملكة ثانية وإلا قتلتك مثلما قتلت عمك.

قذفته بسهام نظراتها الحارقة وقد تحولت عيناها للأحمر القاتم لتختفي من أمامه تاركة والدتها تناديها لتسبح نحو الجزيرة حيث المكان الوحيد الذي تشعر بالراحة فيه.

اقتربت منه مندا بخطوات واسعة والغضب يشتعل بجسدها كله لترتج الغرفة من دوي صوتها وهي تحدثه:

-أنت رجل عنيد ومتهور، ألا يكفيك هروب ابنتك الكبرى من وجهك الدميم، تجرأت أن تطرد ابنتي الحبيبة من مملكتها.

اقترب منها حتى التصق بها ثم مده يده الكبيرة نحو رقبتها ليضغط عليها بحقد شديد وعيناه حمراء من الغضب ليرتفع جسدها من على الأرض وقد جحظت عيناه من الاختناق ليردد هو بهمس وهو يصك أسنانه:

-لا ترفعي صوتك هكذا وتحاسبيني وإلا ستكون المرة الأخيرة

التي تتحدثين بها.

تركها لتسقط واقفة وهي تنظر له بحنق تكاد نظرتها تحرقه ليترك لها الغرفة بأكملها ويذهب، جلست على مقعده ليأتيه الحارس يستأذنها بدخول الوزير مركوم للملك، أشارت له بالإذن، فدخل الوزير مطأطأ الرأس حتى رآها بمفردها تجلس على المقعد الملكي، خطى نحوها وهو يلتفت يمينًا ويسارًا ليتأكد من خلو الغرفة إلا منهما ليقول لها بخفوت:

-أين ذهب طوطيائيل؟! هل خرج من الغرفة؟!

أومأت له برأسها وعيناها زائغتان تُفكر مليًا فيما ستفعله مع الملك، أمسكت بيد مركوم الموضوعة على المقعد لتختفي به في غرفتها الخاصة، ثم أمسكت كفيه تضغط عليهما بغيظ شديد وهي تقول له بحدة وقد تزينت كلمتها بالسخط:

-لن أنتظر يومًا آخر يجب أن نقتله في الحال قبل أن يعثر عليه ابن أخيه.

بتعجب شديد سألها:

-ولِمَا العجلة؟! هل حدث شيء؟! وأين منسا لقد جاءت وأنا مع طوطيائيل؟!

زفرت بضيق وهي تنفض يده من بين كفيها لتجلس على المقعد أمامها:

-لقد طردها من القصر، مؤكد ذهبت لابن عمها لو عرف هذا المعتوه مكانها سيقتلهما الاثنان.

انحنى برأسه يحدثها وهي ما زالت جالسة:

-لا تقلقي سأفعل اللازم.

أمسكت بيده قبل أن يرحل وبحزن شديد قالت بخفوت:

-ابنتنا يا مركوم، يجب أن تحافظ على حياتها فهي ستكون الملكة، لقد عانينا الكثير حتى استطعنا التخلص من چيا.

نزع كفها التي تمسك بمرفقه ليؤكد ما قاله سابقًا:

-قلت لكِ لا تقلقي أتركِ الأمر لي.

ثم تركها متوجهًا لملكه السري الذي يملك الحل بين يديه.

*****

وقفت چيا أمام زوجها الذي ما زال معلقًا على الحائط، لتتركه بعدما حاولت فك وثاقه ولم تستطع، لتشهق عاليًا عندما سمعت آخر جملة من بورجا لتردد چيا بذهول:

-أنتِ كاذبة، مندا هي أمي.

اقتربت منها بورجا لتشد يدها حتى تقف أمامها قائلة:

-لست كاذبة، وتستطيعين سؤال مندا.

ثم قربت وجهها للمرآة أمامها لتقف هي خلفها مرددة:

-انظر لوجهينا.

ثم رفعت كفها لمرآة ليتغير الانعكاس ويتضح وجهها البشري الذي يُشبه بورجا كثيرًا، جحظت عين چيا لتفقد النطق بينما أكملت بورجا:

-لقد أخفيت الجزء البشري في ملامحك تمامًا حتى لا يعرفك طوطيائيل وتتربين في كنفه ورعايته بعدما أنكر وجودك ورفض الاعتراف بكِ كابنته فهو يكره كل ما هو أنسي.

دفعتها چيا للخلف حتى تخرج من حصارها، ليشتد غضبها وهي تصرخ بها:

-تذمين أبي لما فعله وتتركين نفسك؟! لقد تخليتِ عني لمرأة ثانية تربيني حتى أصبح ابنة الملك؟! هذا كل ما أردتِ الحصول عليه؟!

زفرت بورجا بضيق قائلة:

-يبدو أن معاشرتك للبشر جعلتك تفكرين في أمور سطحية وتافهة، كان يجب أنا أقوم أنا بتربيتك حتى تصبحين ملكة قوية.

رفعت زاوية فمها بتهكم قائلة:

-حمدا لله أنك لم تربيني.

ثم قربت وجهها منها لتُكمل:

-ااه وللعلم أنتِ أيضًا بشرية يا بورجا.

اقتربت منها بورجا بعنف وهي تطرق على المنضدة أمامها لتهدر

بها:

-أنا أمك ولا يجوز لكِ مناداتي باسمي.

حدثتها چيا بهدوء وكأنها شعرت بالسعادة لأنها أغضبتها:

-أمي هي مندا شئتِ أم أبيتِ.

أمسكت بورجا كتفيها لتدفعها نحو الحائط دون أي مقاومة من چيا التي تركتها تفعل ما تفعله لتصك بورجا أسنانها بغيظ قائلة:

-لقد تركتك في المملكة تحت رعاية مندا لسبب قوي وليس لأن تتزوجي من أنسي وتتركي حكم المملكة لها ولابنتها.

دفعتها چيا برفق وتركتها على وقفتها لتذهب نحو راجح تحاول ثانية فك وثاقه وهي تُخبرها:

-لا علاقة لي بخططك، ولن أعود للمملكة مرة أخرى.

ثم نظرت نحو راجح الذي بادلها النظرات بابتسامة جعلتها تنزع الخرقة التي على فمه لتُكمل:

-لقد اخترت حياتي مع رجل أحبني وأحببته دون مصلحة وليس مثلك أنجبتني وتركتني لمصلحتك الخاصة.

نظر راجح لبورجا التي رفعت يدها أمامه وچيا ما زالت تواليها ظهرها؛ لكنها لاحظت جحوظ عين راجح فالتفتت سريعًا لتجد بورجا تحاول قذف كرة من نار نحو راجح فرفعت چيا كلتا يديها لتصد كرة النار هذه فعادة الكرة لبورجا لتقذف بها نحو المرآة لتتحطم وتقع بورجا أرضًا وقد أصيب جسدها من الزجاج.

نظرت چيا لكلتا يديها بتعجب شديد، ثم انتقلت ببصرها نحو راجح الذي ما زال مشدوهًا لما حدث، استغلت چيا وقوع بورجا ورفعت يدها لتحركهما نحو الاصفاد فانفتحت ليقع راجح أرضًا، وقفت بورجا بعد قليل وهي تسعل بشدة حتى هدأت بعد لحظات لتساعد چيا زوجها على الوقوف ثم وضعته خلفها تحسبًا لأي هجوم آخر من أمها.

نظرت چيا نحو بورجا بتعجب عندما بدأت بالتصفيق وهي تقول لها:

-لقد أبهرتني بحق، وأصبحتِ أقوى مما تصورت يا ابنتي العزيزة.

*****

جلست على الفراش تنحني لتحتضن قدميها بيديها وتضع رأسها على ركبتيها تهيم في الماضي وتتذكر كم تمنت أن يراها ويشعر بها، والآن ابتعد هو عنها وحتى والدها التي كانت تحتمي به طردها من قصره لتغدو في هذا الكهف دون عائلة ولا حتى حبيب، انتفض جسدها حين شعرت بيد أحدهم على راسها لتجده يرفع كفيه باستسلام قائلًا:

-لا تخافي .. هذا أنا.

نظرت له بتعجب وهي تجول بعينيها على الكهف بأكمله لتتأكد أنه لم يكن موجود حين أتت.

ابتسم وهو يقترب منها:

-أنا جئت الآن.

رددت بدهشة وهي تنظر له:

-وكيف لم أشعر بك؟!

اختفى ليظهر خلفها هامسًا:

-هل نسيتِ، أنا حارس سماء.

تنهدت بألم شق صدرها نصفين، ثم جلست على الفراش خلفها بإرهاق شديد، والتزمت الصمت.

جلس بجوارها وقد تألم بشدة لحالتها الحزينة هذه، فقد اعتاد أن يراها فتاة جميلة خفيفة الظل وحالمة، توقف للحظات وهو يطالع ما بداخله ليردده قلبه دون لسانه، والاهم من هذه الصفات جميعها أنها «عاشقة» شعر أنه اشتاق لكلمات العشق والغزل من بين شفتيها اللذان كرههما في وقت ما، كيف كان بهذا الغباء ولم يقدر نعمة مثلها!

وقف ليتحرك خطوة أمامها فلم ترفع رأسها لتنظر إليه، فجلس على ركبتيه ثم وضع كفيه على وجهها ليرفعه حتى نظرت إليه فتلاقت أعينهم بشغف جعلت عينيها تلمعان باللون الذهبي وعيناه تشع نورًا ليقرب فمه منها حتى أصبح أمام شفتيها فأغمض عينيه قائلًا:

-أعتقد أنني أحبك.

تسارعت أنفاسها لتقول بخفوت:

-أنا لا أعتقد أنني أحبك، أنا واثقة أنني لن أحب أحدًا غيرك.

نظر لعمق عينيها بتأثر:

-لم تتغير نبرة صوتك ولا نظرتك ولا حتى أنفاسك وأنتِ تقوليها لي حين كنت أنسي والآن لم تتغير أيضاً حتى بعدما عرفتي حقيقتي.

رفعت كفها تمرره على وجهه وهي تبتسم بعشق:

-أنا أحببت كِنان، يكون أنسيًا أو جنًا مائيًا أو حتى حارس من السماء لا يهمني فهو ما اختاره قلبي ولن يعشق أحد سواه.

اقتربت من شفتيه لتقبله فأوقفها بتردد لكنه لن يتخلى عن انتقامه حتى لو كان من أجلها، نظرت له بحيرة ليقطع حيرتها بجملة رشقت في صدرها كسهم غادر:

-حتى لو قلت لكِ إنني مصر أن أقتل والدك؟!

*****

أمسكها سيريوس من مرفقها بقوة لتنظر نحوه بحنق:

-اترك يدي يا أبي، دعني أرجوك.

وقف أمامها وبرد قاطع وحازم:

-لن أدعكِ تخرجين.

ثم هتف بها:

-أجننتِ لو خرجتِ من هنا سيعرف الملاعين مكانك على الفور.

حاولت سحب يدها لكنها لا تريد أن تستخدم العنف مع والدها لذا آثرت أن تحاول إقناعه بالعقل:

-حاول أن تتفهمني أرجوك، لم يعد هناك داعي لاختبائي لقد أصبح ولدي بأمان.

لم يقنع بحديثها وظل ممسكًا يدها وهو يقول لها:

-وأنتِ تعرفين أنكِ لن تكوني بأمان خارج جدران هذا المنزل.

شعرت بالغضب يتصاعد لجوفها لتصرخ به:

-أنا لا أريد أن أكون بأمان ثانية أنا كنت أريد حماية ولدي فقط، يا أبي أرجوك دعني أراه وأمتع عيني بوجهه الذي لم أشاهده منذ خمسة وثلاثين عامًا، دعني فأنا لست مثلك.

ترك يدها بحزن بالغ لما تفوهت به، فعادت تُمسك كفيه بأسف قائلة:

-أنا.. أنا أعتذر منك، أرجوك لا تغضب مني، لقد تجاوزت حدي معك.

سحب كفيه من بين يديها ليحاوط بهما وجهها المنير قائلًا:

-أنا لم أتركك يومًا واحدًا، كنت دومًا أراقبكم من بعيد أنتِ وأخواتك، لم يمر علي عام دون أن أستمتع برؤيتكم تكبرون وتصبحون أقوياء، أنا أبدًا لم أتخل عنكم.

شعرت بالندم من اعترافه هذه الذي لم يخبرها به من قبل، لتُقبل جبهته معتذرة عما بدر منها ثم حاولت إقناعه ثانية:

-دعني يا أبي أرى كِنان، لقد اشتقت إليه كثيرًا أكاد أجن من اشتياقي له ولرؤيته.

وقف مترددًا فهو لن يستطيع الذهاب معها وفي نفس الوقت لن يقدر على تركها هكذا بمفردها، فحاول أن يثنيها عن الأمر ثانية:

-ستفقدين حمايتك حين تخرجين، ولن أضمن عدم تعرضك لهجوم من الخائن بلقين أو الملعون دنهش ولم تكتمل قوة كِنان بعد كي يستطيع حمايتك.

جعدت جبهتها بدهشة قائلة:

-أنسيت أنني إيتا أقوى حارسة سماء؟!

كاد أن يتحدث فأوقفته:

-وكِنان ولدي أعرفه جيدًا سيقدر على حمايتي وحماية نفسه فهو ابني وابن كفيائيل.

صمتت بحرقة عند نطق اسمه وقهر شديد تحمله في صدرها منذ سنوات من أجل موته بسبب الغدر والطمع، ابتعدت عن أبيها بضع خطوات نحو الباب تنتظر موافقته حتى أومأ لها برأسه فاختفت من أمامه على الفور وهي تخبره:

-لن أعود إلا حين أزج بالملعونين في السجن الأبدي، فأنا لم ولن أنسى ثأري.

وقف سيريوس حائرًا فلم يجد غيرها ليناديها وهي ستعرف ما الذي يجب عليهم فعله لحماية ابنتهما.

*****

وصل مركوم للقصر السري الذي قام ببنائه مع جنود الملك المخلصين، دلف للداخل يسأل عن مكان الملك فأدخله الحارس غرفته بعد الاستئذان لينحني مركوم أمامه بإجلال مما جعل الملك يسأله:

-ما الجديد؟!

اقترب مركوم منه عدة خطوات ليجيبه بالكذبة التي حضرها وهو ذاهب إليه:

-لقد علمت أن الملك طوطيائيل سيغادر المملكة لعدة شهور ولا أعرف إلى أين سيذهب، لذلك جئت لأخبرك يا مولاي أن الليلة هي الفرصة الوحيدة للهجوم على المملكة الشمالية أولًا.

*****

وقف طوطيائيل أمام قصر أخيه ليحاوطه الحرس من جميع الاتجاهات وهو ما زال يقف بثبات جعلهم يهتزون خوفًا حين دوى صوته:

-أين دريائيل؟ أبلغوه أنني هنا.

وصل دريائيل على الفور حين سمع نداء أخيه ليقف خلف حرسه قائلًا:

-جئت للحرب أم للسلام؟!

أدار له طوطيائيل ظهره وهو يحدثه:

-اتبعني لكهفنا.

تردد دريائيل للحظات قبل أن يتبعه للكهف؛ لكنه عزم أمره وذهب خلفه دون حرس فهو يعلم أخاه جيدًا لن يتجرأ على أذيته.

*****

# الفصل التاسع عشر

استأذن القائد للدخول فأذن له الملك لينحني أمامه بتحية ملكية ثم قام بتحية مركوم ووقف قليلًا قبل أن يخبر الملك عما جاء من أجله، ففهم الملك أنه يريده بمفرده فطلب من مركوم الانتظار خارجًا، انحنى مركوم بالسمع والطاعة وغادر الغرفة ليبدأ القائد بالحديث:

-لقد استعد الجيش بأكمله يا مولاي ونحن الآن ننتظر إشارتك.

قام من مقعده وهو يفكر ثم سأله:

-أين طوطيائيل و دريائيل؟!

أجابه القائد بآلية:

-لقد أخبرني أحد مراقبيهما أنهما الآن يلتقيان ببعضهما في أحد الكهوف الأرضية.

ظهرت الدهشة جلية على ملامحه والتفت ينظر للقائد:

-كيف يلتقيان وبينهما حرب لم تنتهِ؟!

أخبره القائد عما وصله من أخبار:

-لقد ذهب الملك طوطيائيل لأخيه اليوم وطلب مقابلته وحين أتى أمره أن يتبعه لمكان ما، والمراقب الآخر خلفهم الآن.

لمعت عيناه بفضول ليأمر القائد:

-استدعِ لي هذا المراقب الآن.

انحنى مجيبًا:

-حسنًا يا مولاي، نادى الجني فجاءه على الفور وبعد التحية سأله القائد عن مكان الملكين فقال لهم:

-في كهف قريب من القصر الكبير.

اقترب منه الملك يأمره:

-اصحبني إلى هناك.

طلب من القائد أن يتبعهم فرفض الملك قائلًا:

-لن يأتي أحد منكم معي، وحين أعود سأخبركم بوقت الهجوم.

أمسك الجني يده وانتقل به إلى هناك.

*****

وقف دريائيل أمام أخيه الغاضب قائلًا:

-أنا أيضًا أحببتها.

هتف به طوطيائيل وهو يتمالك نفسه بقوة حتى لا يتقاتل معه:

-متى أحببتها، قل لي، أنت لم ترها إلا حين أخبرتك أنا عنها أيها الخائن الذي اتفقت مع الساحرة اللعينة حتى تخدع ليديا وتتزوجها أنت؟!

اقترب منه دريائيل وهو يحاول مراضاته:

-نعم لقد أخطأت بحقك وندمت على ما فعلته معك ومع كفيائيل، وجئت إليك مرارًا كي تسامحني لكن دومًا كنت ترفض مقابلتي.

ولاه طوطيائيل ظهره فالتفت ينظر إليه معاتبًا:

-كم من المرات بعثت إليك وزيري المقرب كي أخبرك أن نبحث عن ابن أخيك ونسلمه الحكم ونكفر عن ذنوبنا ونعود أخوة كما سبق؟!

نظر له باستحقار وهو يردد:

-كل هذا من أجل اعتقادك أن هناك لعنة أصابتك ولم تنجب بسببها أيها المختل؟!

زفر دريائيل بضيق:

-لا دخل لك باعتقادي، دعنا فيما نتحدث به.

اقترب منه يمسك يده:

-أنا أطلب منك الآن مسامحتي على الماضي ودعنا نعود مملكتين عظيمتين.

سحب طوطيائيل يده من يد أخيه قائلًا:

-أنا مستعد لذلك؛ لكن عليك أولاً أنت تسلمني ابنتي والبشري.

جعد دريائيل جبهته قائلًا:

-هو ليس بشري إنه كِنان ابن أخيك.

ثم ابتسم باستهزاء ليُكمل:

-ألم تُخبرك ليديا بالأمر؟!

جحظت عينا الملك بالخارج ليردد بذهول:

-كِنان ابني؟! ما زال حيًا!!

كاد أن يختفي عائدًا، لكنه توقف حين سمع دريائيل يقول:

-نعم أخبرتني وأنا أؤيدها يجب علينا قتله.

اختفى كفيائيل عائدًا لقصره ليصرخ بالجميع:

-سنهجم على المملكتين بعد ساعة واحدة من الآن هيا جهزوا العدة والعتاد.

*****

تجلس بجواره على الفراش وهو يحمل رأسها على صدره ويمسد شعرها الأسود الحريري الطويل، ويستمع لها وهي تقول بحزن شديد:

-أشعر أنني فقدت كل شيء يا راجح، لم أعد أشعر بالأمان ولا أعرف حقيقتي.

ثم رفعت رأسها تنظر إليه بعينين سوداويتين من الحزن:

-من أنا؟! ما حقيقتي؟!

حاوط وجهها الذي أصبح يماثل البشر إلى حد كبير، ثم مرر

سبابته على طول وجنتيها قائلاً:

-أنتِ چيا زوجتي وحبيبتي التي اخترتها على بنات الإنس إجمعهم لا تنسي هذا أبدًا.

ابتسمت ابتسامة رسمتها بالقوة وعقلها يدور بأفكار عدة لتقول له بخفوت:

-وأمي الساحرة اللعينة، لن تتركنا أبدًا وأنا خائفة عليك حبيبي.

قبل جبينها مطمئنًا:

-أنا لست قلقًا، أنا أثق أنك ستحميني، وبالنسبة إلى أمك الساحرة فستعرف أنك لستِ أهلاً لمرادها ومع قليل من الوقت سوف تتركنا بحالنا.

سألته والأمل يتسرب بداخلها:

-هل تظن ذلك؟!

أجابها بابتسامة عريضة:

-أنا واثق من ذلك، فلن تكون أبدًا مهما وصلت بجبروتها مثل أبيكِ ولقد استطعنا أن نهرب منه وأن يستسلم هو للأمر الواقع وتركنا.

شردت قليلًا لتعتدل قائلة:

-يجب علي أن أعود للمملكة.

ضم راجح حاجبيه بدهشة وأمسك كتفيها باعتراض:

-أجننتِ يا چيا؟! لو رجعتي إلى هناك لن تعودي للأرض ثانية!

أمسكت بكفيه تنزعهما من على كتفيها لتربت عليهما:

-لا تقلق يا حبيبي فلن يراني أحد، يجب أن أقابل مندا وأعرف منها ما الذي تخبئه أيضًا قبل مجيء الساحرة لنا علني أعرف ما يدور بعقلها، عليك فقط أن تعدني بأن تذهب لمكان آمن حتى لا تطولك يد بورجا.

هز رأسه نفيًا لتقترب منه تحتضنه:

-أرجوك يا راجح لا تقلق فأنا لن أتأخر عليك.

*****

وقفت بعنف تهتف به:

-حتى وإن كان كلامك صحيحًا ووالدي وعمي هما من تسببا في مقتل والدك ووالدتك، وحتى وإن طردني أبي من مملكتي وتبرأ مني كما فعل اليوم، أبدًا لن أسمح لك بقتله أو أن تمسه بسوء.

وقف أمامها يطالعها بتحدٍ واضح لتتلون عيناه وتصبح ذهبية مثلها:

-أنا لا أنتظر أن تسمحي لي بقتلهما يا منسا، لقد كان هذا قراري ولن أتراجع عنه، يجب عليهما أن يدفعا ثمن فعلتهما.

أمسكت منسا يده قبل أن يخرج مختفيًا من الكهف لتترجاه:

-أرجوك يا كنان لا تفعل، فهم أعمامك في النهاية.

نفض مرفقه من يدها وهو يقول لها بغضب شديد:

-وهل قاما هما بمراعاة هذا الأمر، وتركا أخيهما وأمي ولم يقوما بقتلهما؟! لا لن أتركهم لا بد أن يموتا بيدي كما قتلا والدي بيديهما.

سمع صوتها العذب الذي لم ينساه أبدًا وهي تقول من خلفه:

-والدتك لم تمت، والدتك سُجنت حتي تظل أنت بأمان!

*****

وقفت أمامها وعيناها يطلقان الشرر نحوها وهي تصرخ بها:

-ولما لم تخبريني من قبل أنكِ لعينة مثل الساحرة وجل ما تبحثان عنه أنتما الاثنان هو المُلك؟!

ضحكت ليديا باستفزاز لها قائلة:

-أمك هي من باعتك لي، لو أردتِ لوم أحد فلا تلومي الا هي، أنا كنت لكِي الأم التي طالما أحببتها أم نسيت؟!

صكت أسنانها بغيظ وهي تدور حولها:

-دومًا كنتي تفضلين منسا وكنت أتسأل لما؟! ألست ابنتها أيضًا؟!

ثم واجهتها لتنظر نحو عينيها باتهام متسائلة:

-وهل منسا ابنتك أيضًا أم ابنة بشرية أخرى؟!

دوى صوت ليديا عاليًا حتى سمعه طوطيائيل في عودته للقصر،

فانتقل سريعًا لغرفة ليديا لكنه توقف حين قالت:

-منسا ابنتي أنا أيتها الحمقاء.

ركلت چيا الحائط الزجاجي لتُصدر ضجيجًا وهي تصيح بها:

-وبما أنك تنجبين من أبي لماذا أخذتني منها؟!

زفرت بضيق وقد توغر صدرها من هذه المواجهة:

-قلتها لكِ وسأقولها ثانية علكِ تفهمين، أنا لم أخذك من أمك المصون لقد باعتك لي لأن والدك العزيز لا يريد الاعتراف بابنة نصفها بشري، فكل ما كان يريده هو عدم معاداة والدته الملكة حتى ترضى عنه، بالاضافة لكرهه الشديد لما هو بشري، لذلك بدلًا من أن تقفي أمامي هكذا تحاسبيني على تربيتك لكِ مع ابنتي فلذة كبدي حاسبي والدك الذي رفض الاعتراف بكِ من البداية.

دخل طوطيائيل عليهما وهو ينظر نحو ليديا بامتعاض وقد اشتعل جسده بالغضب، فنظرت ليديا بدورها لچيا بغيظ شديد فاقتربت چيا من أبيها تطالعه بحزن بالغ وقبل أن ينطق أحدهم اختفت چيا في غمضة عين.

*****

هبطت ڤيجا في الصحراء لتنادي عليه عدة مرات حتى استطاع نعمان سماعها ليأتيها على الفور ملبيًا، وقف أمام ڤيجا يحيها بإجلال ثم استقام لينظر نحوها بتساؤل جعلها تحاول إخباره ما جاءت من أجله:

-أعتذر عن استدعائك بهذا الشكل؛ لكني لم أجد أحدًا غيرك لمساعدتي.

شعر نعمان بالقلق ليحثها على التحدث بحرية دون حرج:

-لا عليكِ مولاتي فأنا يسعدني دومًا مساعدتك.

تلكأت قليلاً ونعمان يطالعها بفضول وقد شعر أنها تخبئ خبرًا ما لتقطع ڤيجا شكوكه:

-أريد منك أن تحمي إيتا.

ردد في ذهول:

-إيتا؟!

زاغت عيناها بحرج لتؤكد له ما قالته:

-نعم، إيتا ابنتي ما زالت حية، وسوف تعرف التفاصيل لاحقًا، الآن يجب عليك إيجادها وحمايتها لأنني الآن في مهمة كبيرة ولن أستطيع تركها.

تجاوز نعمان ذهوله ليسألها بمنطقية:

-وأين سأجد إيتا؟!

مدت له يدها بالحجر قائلة:

-هذا هو حجرها ولا أحد يستطيع معرفة موقعها من خلاله سوى الحرس لذلك أنا سأدلك على مكانها وستذهب إليها في الحال.

-حسنًا، أخبريني ولا تقلقي.

وشوشت الحجر بهمسات جعلته يرتفع عاليًا ليدور فوق رؤوسهم عـدة دورات سـريعة حتـى تـوقف عنـد جـهة الجنـوب لتضـيء النجوم في السماء وتتخذ شكلًا هلاليًا، تأملتها ڤيجا جيدًا ثم قالت لهما:

-هي الآن في كهفها القديم الذي تزوجت به كفيائيل.

أوقفته قبل أن ينتقل لتؤكد عليه:

-تأكد من عدم وجود أحد خارج الكهف، لأن ما فعلته النجوم الآن يستطيع بلقين أن يعرف مكانها من خلاله، لقد خرجت إيتا من درع الحماية التي صنعته لها بورجا لترى ولدها، أرجوك حافظ على سلامتها.

أومأ لها نعمان برأسه ليطمئنها:

-لا تقلقي أبدًا عليهما فهما في حمايتي من الآن.

*****

# الفصل الأخير

انتقل نعمان للغرفة السرية ليناديي:

-يوناس.. أحضر في الحال.

جائه ولده مسرعًا يتساءل متعجبًا وهو ينظر للغرفة السرية:

-ما الذي حدث؟!

أجابه وما زالت الدهشة تعتلي ملامحه:

-إيتا ما زالت حية و..

توقف عن الحديث حين هتف يوناس:

-كيف حدث ذلك؟! لقد رأينا رمادها!

هز نعمان رأسه:

-لا أعرف؛ لكني أعتقد أنها خدعة ما من الملكة حتى يتركها دنهش وبلقين.

شرد يوناس قليلًا وهو يقول لأبيه:

-وماذا سنفعل الآن؟!

تنهد نعمان:

-يجب علينا حمايتها.

حرك يوناس رأسه:

-لا يا أبي لم أقصد السؤال عن إيتا أنا كنت أتساءل عن كفيائيل.

ضم نعمان حاجبيه باستغراب:

-ما به كفيائيل؟! مؤكد سيعرف بالأمر.

-كفيائيل سيهجم الليلة على المملكتين الشمالية والجنوبية وسيقضي على أخويه.

أصاب نعمان الفزع مما سمعه ليعمل عقله بالقوة القصوى وهو يقول غاضبًا:

-الغبي لم يستمع لي وقرر أن يهدم كل شيء.

ثم أمسك يد ولده قائلًا:

-يجب علينا أن نوقفه بأي ثمن.

*****

وقفت إيتا أمامه تنظر له بشوق وكأن الكون توقف عند هذه اللحظة، تتأمل ملامحه بشغف وترفض إزاحة بصرها من عليه، لا تصدق أنه أصبح شابًا قويًا وجميلًا هكذا، تشعر بالفخر والندم وتود لو تعود السنوات لتراه فيها كل لحظة ولن يجبرها الخوف على تركه أبدًا، بينما هو يبادلها نظراتها المحبة بأخرى متعجبة مليئة بالغرابة وهو يُعيد ما شاهده في سباته ليتأكد من وجودها أمامه الآن.

وفي خضم حيرته اقتربت منه ترفع كفها بتردد لا تضمن ردة

فعله، لتدنوا بكفها تلامس وجهه فابتعد عنها بارتباك واضح لتتلألأ عيناها بالدموع ليرتسم مشهد في عقله لعينيها الدامعتين هذه نفسها وهي تُقبله قائلة:

- «تذكرني دائمًا يا كنان وعندما تبلغ الخامسة والثلاثين ستعرف كل شيء».

رددت بخفوت وهي لا تعرف ما يدور بعقله:

-لا تبتعد عني يا ولدي، لقد تمنيت لمسك ولو لمرة واحدة طوال السنوات الفائتة.

هز رأسه وهو يُغمض عينيه مرددًا:

-كيف عشتِ لقد رأيتك وأنتِ...

وضعت يدها على فمه قائلة:

-كل ما رأيته كان صحيحًا، لكن بورجا أخذتك مني قبل أن ترى البقية.

سألها بفضول شديد:

-ماذا حدث أخبريني؟!

تنهدت وخطت نحو فراشها القديم وهي تتحسسه بيدها ومشاهدها مع كفيائيل تتوالى على ذهنها لتعود مشاعرها في الاهتياج، رغم عدم نسيانها لأي من هذه التفاصيل أبدًا، لكن وجودها هنا في الكهف أمر آخر.

نظرت منسا لكِنان الذي أشار لها أن تتركها وهو يشعر ما تحسه أمه من ألم الفقد، فقد شعر به أول ما استيقظ في هذا المكان.

جلست على الفراش وهي تحاول استجماع شتات نفسها وهي تخبرهم:

-عندما أنهت بورجا مراسمها في إخفائك، وجعلت جسدك يبدو كالإنس، سلمتك لحارسها من الجن الأرضي لكني لم أعرف اسمه ولم أستطع رؤية وجهه ولا ملامحه، لقد أخذك منها واختفى سريعًا، وجاء وقت دفع الثمن.

وقفت إيتا تمرر كفها على الجدران التي شهدت عشقها الأبدي ثم خطت لتقف أمام ولدها تضع يدها على رأسه فأغمض عينيه ليرى ما حدث.

-لا تقلقي سيكون بأمان كما وعدتك طالما ستدفعين الثمن كاملًا.

وقفت إيتا تفرد ذراعيها بجوارها ثم قامت بثنيهم على صدرها وهي تُغمض عينيها وتسلم لها نفسها دون مقاومة لتضع بورجا يدها على قلب إيتا وهي تردد كلمات مبهمة بصوت مرتفع، ليخرج ضوء أبيض اللون خافت من جسدها.

دخل سيروس للكوخ ثم رفع يده أمام بورجا لتعود للوراء حتى ارتطمت بالحائط خلفها لتسقط أرضًا، حمل إيتا بين ذراعيه وقبل أن يختفي قامت بورجا تترنح من الاصطدام وبصوت متقطع قالت له:

-لقد قطعت لي ابنتك وعدًا وإن لم تنفذه في الحال سوف تظل

هكذا بين الحياة والموت.

نظر سيريوس لجسد إيتا الساكن بين يديه ليتبين له صحة حديثها فهتف بها:

-سأقتلك إن لم توقظيها.

ضحكت بورجا وهي تقترب منه:

-لن تستطيع، حتى وإن فعلت سيأتي دنهش وبلقين في غضون دقائق وإن وجدوني ميتة سيجدوا من يدلهم على مكانك المخفي وسيعلمون أن إيتا ما زالت حية، وفوق كل ذلك لو مسني أي أذي سيُقتل حفيدك الغالي الذي دفعت أمه حياتها لتحميه.

نظر له بغضب شديد لتنفجر في الضحك، أخرج سيروس الجحر الخاص به أمام عين بورجا التي توقفت عن الضحك على الفور وهي تقف أمامه بذهول ليعرض عليها سيروس الأمر:

-ستأخذين حجري ومؤكد تعرفين قيمته، ستوقظين ابنتي وسوف تلقين عليها تعويذة حماية كي لا يعرف أحد الملاعيين مكانها، حتى نقبض عليهما وفوق كل ذلك لن يُمس حفيدي أي أذى وستقولين لي مكانه.

ضمت حاجبيها وضيقت عينيها بتفكر لتداعب خصلات شعرها الطويل بسبابتها قائلة:

-سأحمي ابنتك بتعويذة لن يستطيع الشياطين العثور عليها وسوف أوهمهم أنها ماتت، لكنها لن تخرج من منزلك للأبد، وسأحمي حفيدك حتى يصل لسن السبات وقتها لن يكون لي

سلطة عليه ومقابل هذين الخدمتين سأخذ الحجر.

تـردد سيريوس بالقبول فهو يريـد أن يعرف مكان حفيـده لكنه يعرف أنها ليست بهذا الغباء فلو عرف مكانه سيأخذ حجره منها، وسوف يجعل كِنان في كنفه وحمايته، همست له بجوار أذنيه الطويلتين:

-الوقت ينفد أيها الحارس العظيم.

أزاحت إيتا يدها من على رأس ولدها ليفتح عينيه متسائلًا:

-وهل وافق جدي؟!

أومت برأسها:

-نعم، لقد أوشك دنهش وبلقين وقتها على القدوم فلم يجد سبيل سوى الموافقة.

شعر بالألم قائلًا:

-ولماذا لم تبحثي عني؟!

تأملته بوجع يزداد كلما شعرت في عينيه بلومها:

-لم أستطع الخروج من المنزل خوفًا عليك، ولم يدخر جدك ولا جـدتك ولا أصـدقاء والـدك الأقرباء جهدًا للبحث عنك، لقد كنا نبحث عن طفل إنسي ولا يوجد هناك أي علامة مميزة لك، حتى حجرك خفت وأظلم عندما تحولت لهيئتك البشرية ولم نجد أي دليل على وجودك في أي مكان قريب، وبورجا علمت أن جدك لن يتركها فـاختفت لسنوات طويلة لم نعثر لها على مكان حتى

ظهرت ثانية وبعد تهديدات عديدة وصلتها من أجدادك أعطت لهم عنوانًا لك ذهبوا إليه على الفور لكنهم لم يعثروا عليك وأخفت هي مكانك معللة أنها لا تعرف سوى هذا العنوان، وأن الجني المكلف بحراستك قد تركها وتمرد عليها لكنه لن يستطيع مخالفة العهد وإلا سيُحرق.

أقبلت عليه ليسألها بتعجب:

-وما المميز في حجر جدي لتوافق بورجا على مساعدتكم بهذا الشكل؟!

أجابته وهي تنظر لمنسا وكأنها تراها لأول مرة:

-جدك من الحرس الأقوياء وحجره يجعل الأنس بشباب دائم وقوة أبدية.

ثم سألته بخفوت وهي تشير نحو منسا:

-من هذه الجنية؟!

نظر كِنان نحو منسا قائلًا:

-ابنة طوطيائيل.

جحظت عين إيتا ثم تحولت نظرتها للغضب لتطالع ولدها بعتاب فأسرع كِنان بالقول:

-لا تخافي يا أمي فهي..

صمت قليلاً لتراقبه منسا وهي تضيق عينيها فهمس لأمه:

-هي حبيبتي.

نظرت إليه بذهول فأومأ إليه برأسه وقد تذكر السؤال الأهم، ليجعل منسا تستمع لما حدث، فهز رأسه بتساؤل وهو يحدق بمنسا التي وقفت بانتباه:

-وما الذي حدث لأبي؟!

أجابته والحزن يخيم على وجهها:

-عندما علم بموتي واختفائك، وأن الشياطين هم السبب فيما حدث، قرر أن يُغير عليهم بجيشه وجيوش أخويه، وحين اشتدت المعركة وصارت في أوجها وانتصر جيوش والدك على الشياطين وقبل أن تسلسل أمي دنهش سحب أعمامك جيوشهم وتركوا والدك للشياطين بل وكلفوا قادتهم والأقوياء من جنودهم أن يحمو الشياطين الذين التفوا حول والدك ليردوه قتيلًا قبل أن يهرب دنهش وبعض من أعوانه.

تلونت عيناه بالأسود القاتم من الغضب وهو ينظر لمنسا التي التزمت الصمت وهي تنتظر حكمه على أمل أن تردعه هي ووالدته لكنه صدمها بالقول:

-لن أسامحهم أبدًا عما فعلوه بأبي.

ليرفع قبضته أمامها:

-وسأقتلهم بيدي هذه.

تأملت منسا عينيه بحسرة، لتتماسك أمامه وتحاول إخراج

صوتها ثابت رغم اهتزازه:

-لقد اخترت طريقك يا كِنان، ويجب أن تعرف أنني أيضًا اتخذت قراري، لذلك لن تواجه أبي بمفرده.

ثم تركتهم واختفت.

*****

جلس على التلة وهو ينظر للسماء بحسرة ولم يبهت الغضب في قلبه بل يزداد اشتعالًا كلما وضع خطة لإطاحة بفيجا لتفشل جميع خططه على مدار السنوات العديدة الفائتة، وكأن الحظ السيئ أصبح حليفه بعدما صادق الملاعين الجبناء، وكلما أراد أن يجعل أحد أخواته يساعدانه يجدهم ينصبون له فخًا ليقبضوا عليه، لو كان أخوه المُقرب ما زال حيًا ما وصل لحالته هذه.

كتم صرخاته المقهورة حتى لا يسمعه أحد الحرس كاد أن يختفي من مكانه ويعود لمخبأه قبل أن يستدل أحد عليه، رأى نجم إيتا يعلو في السماء بوضوح شديد لتجحظ عيناه بذهول مجازفًا بحياته صاعدًا للسماء ليقترب من النجم بذهول حتى تأكد أنها هي بالفعل، وقبل نزوله رأه أحد الحرس فأتبعه وبعد عدة مناوشات استطاع الاختباء منه ليعود الحارس للقصر يبلغ خباء والملكة عما رأى.

ظهر بلقين أمام دنهش وما زالت الدهشة تعلو وجهه وهو يردد بخفوت وكأن أذنه لا تصدق ما ينطقه:

-لقد خدعونا، إيتا ما زالت على قيد الحياة.

*****

جمـــع جيشـــه خلفـه وتحـرك بـالجزء الأول منـه نحـو مملكـة طوطيـائيل، بينمـا أعـط الأوامـر لوزيـره المقـرب وقائـد الجيش لـيتحركوا بـالجزء الثـاني نحـو مملكـة أخيـه دريـائيل، وقبل أن ينتقل للمملكة وجد نعمان يقف أمامه ليوقف الجميع عن التقدم محدثًا إياه:

-لا تفعل ذلك، تراجع يا كفيائيل.

نظر له بغضب قائلًا:

-ابتعد عن طريقي يا نعمان، لقد فقدت صداقتي حين تخليت عن مساعدتي.

اقترب منه نعمان بهدوء وبصوت عاقل قال له:

-لا تنسَ أنهم أخويك، وأن والدك اختارك لتكون ملكهم لما توسمه فيك من عقل وحكمة وقلب كبير، تعقل قبل أن تندم على فعلتك يا صديقي.

جلل صوته في الجزيرة لتهتز أرضها من صراخه بنعمان:

-أخواي اللذان تدافع عنهما قد قاموا بخيانتي ولولالك أنت وولدك لكنت الآن حفنة تراب في قاع المحيط بسبب جشعهما، وفوق كل هذا فهما السبب الرئيسي في موت زوجتي والمرأة الوحيدة التي أحببتها، وتركوني لأتعفن على هذه الجزيرة، بينما هما ينعمان بمُلكي الـذي وهبنـي إيـاه أبـي، ولـولا جنـودي المخلصين وهذا المكان الذي كان من ضمن خطة أبي للإطاحة بالشياطين كنت

سأحيا ذليلًا.

ثم أشار للجيش ليتبعوه متخطيًا بني النعمان الذي وقف حائرًا من إخباره بعودة زوجته وحبيبته أمام كل هؤلاء الجيش؛ لكنه قرر أن يجازف فهو لن يتوقف عما يريده إلا إذا علم بعودتها، وقف نعمان ينظر أمامه على كفيائيل الذي يزحف نحو المحيط ليهتف بصوت مرتفع:

-لقد عادت إيتا.

توقف كفيائيل يكذب أذنيه، لو أحد غير بني النعمان أخبره بذلك كان سيكمل طريقه دون حتى الانتباه له لكن نعمان لا يكذب قط، لهذا عاد يقف أمامه بعدما أشار للجيش بالتوقف، تسارعت أنفاسه واضطرب جسده بذبذبات كثيرة تشبه البرق وهو يسأله بحذر:

-ماذا قلت؟!

*****

بدأت تلومه على ما فعله مع منسا ليشعر هو بالأسى من أجلها؛ لكن رغبته في الانتقام كانت أقوى من حبه لها، توقفت إيتا حين وجدت يوناس يقف أمامهم ينحني بتحية وقد رسم ابتسامته المحببة على وجهه لتتفاجأ إيتا بوجوده، بينما هم كِنان بالهجوم عليه فأوقفته إيتا بيدها وهي تلقي السلام على يوناس و تقول له:

-لقد أشتقت إليك وإلى والدتك كثيرًا يا يوناس.

نظر كِنان لأمه بتعجب ثم انتقل ببصره ليوناس الذي مد له يده بالسلام حثته إيتا بالقول:

-قم بالسلام على أخيك يا كِنان.

حين التقت أعينهما عاد بذاكرته التي حملها بعقله ليتذكر وجهه فابتسم له بألفة ليسلم عليه بحرارة جعلت يوناس يضمه بود كبير، فقد ولد هذا الشاب الجميل على يديه.

انتهوا من الترحيب الحار ليبلغهم يوناس ما جاء من أجله:

-يجب أن تأتي معي للمملكة يا مولاتي.

أمسكت إيتا بمرفق ولدها وهي تهز رأسها نفيًا:

-لن أترك ولدي أبدًا بعد الآن، لا تقلقوا علينا سأحمي ولدي وسيحمني ولدي.

اعترض يوناس بقلق:

-مؤكدًا بلقين ودنهش عرفوا بأمر عودتك التي وبالمناسبة لم تأتِ أبدًا في وقتها ولذلك لن يتركوك يا مولاتي، لم يتبق لنا سوى القليل ونسجنهم فلا تحبطي خططنا.

قالت بإصرار لن تتراجع عنه:

-لن أترك ولدي أبدًا، لن أفعلها ثانية.

نظر يوناس برجاء لكِنان:

-حسنًا تعال معنا يا كِنان، وأرجوك لا ترفض.

ضيق كِنان عينيه برفض قاطع قائلًا:

-لا لن أذهب لمكان سوى مملكة أعمامي، خذ أمي لمكان آمن وأنا سأقتل من قتل والدي.

ابتسم يوناس لهما حتى نظرا الاثنان له بتعجب وهو يقول:

-أبوك ما زال حيًا.

*****

انطلقت منسا نحو مملكة والدها فأوقفها الحارس الكبير الموجود على باب القصر قائلًا:

-لقد أمرنا والدك بعدم دخولك للقصر.

برقت بعينيها الذهبيتين نحوه فهاجت المياه حولهم ليرتعد الحارس؛ لكنه ما زال يمنعها من الدخول، توجهت نحوه بسرعة كبيرة جعلته يختفي من أمامها لتدلف داخل القصر ومنها لغرفة والدها التي أغلقتها خلفها لتسمع تمتمات استجداء من صوت تعرفه جيدًا، بحثت عن الصوت في أركان الغرفة ليتضح من غرفة والدتها فهرولت نحوها على الفور، لتصرخ حين وجدت والدها يقبض على عنق والدتها بكفيه، بينما والدتها جاحظة العينين ثم بدأت في السكون حتى زادات منسا من صراخها لترتخي يد والدها إثر صوتها، لتجر هي جسد مندا من بين يديه وهو يهتف بها:

-خائنة، ويجب أن أقتلك.

وقفت أمام والدتها تحميها، بينما جلست مندا تستعيد قوتها لتصيح منسا بأبيها:

-ما الذي تفعله بأمي؟!

أجابها بغضب:

-أمك خائنة، وأنتِ أيضاً خائنة، سأقتلكما.

هدرت به بهياج وقد اشتد سخطها منه:

-وأنت ماذا تكون بعدما شاركت أنت وأخوك في موت أخيكم الكبير، طمعًا في مُلكه، بينما عاديت الآخر من أجل حبيبتك التي أخذها منك، جميعكم خونة وخداعين وتستحقون القتل كلكم، وبدلًا من أن أترككم تنالون ما تستحقوا تركت من أحبه قلبي وعاديته كي أحميك يا أبي.

استغل مركوم حديثه مع ابنته وتسلل من خلفه ليستل سيفه يطعنه به في قلبه، ليقع طوطيائيل تحت أعين منسا المصدومة التي فاقت من صدمتها وهي تصرخ به:

-إبييييييي.

وقبل أن تركض نحوه أمسكتها مندا من الخلف لتهمس في أذنها وعيناها لا تفارقان طوطيائيل الذي يلفظ أنفاسه الأخيرة:

-مركوم هو والدك الحقيقي.

*****

# الخاتمة

جلست منسا على ركبتيها بجوار أبيها الذي يحتضر، بينما حاولت مندا أن تسحبها خارج الغرفة وهي تُعيد عليها قولها:

-اتركيه يا منسا فهو ليس والدك.

عيناه بدأ تزرف الدموع وهو ينظر إليها فوضعت يدها على أذنه وهي تهز له رأسها لتضغط على مسامعه جيدًا، ثم أطلقت عدة صراخت جعلت الجميع يختفي من الغرفة قبل أن يلقون حتفهم من صوتها القاتل.

بدأت في نداء الحكماء الذين هرولوا لغرفة الملك، لتنزع منسا كفيها من على أذن طوطيائيل الذي ما إن دخل الحكماء قال لها بصوت خافت:

-أخرجيهم من الغرفة لا أريد أحدًا سواكِ.

حاولت الاعتراض:

-لكن يا أبي..

قاطعها بإصرار وهو يرفع يده نحو الحكماء ليغادروا الغرفة:

-أطيعي أمري يا ابنتي أرجوكِ.

أشارت لهم بالخروج فخرج الجميع، لتُمسك يديه الاثنتين ودموعها تتساقط، ليُجفف هو دموعها بسبابته ليحدثها بوهنٍ:

-دومًا كان أبي وأمي يُفضلان أخي كفيائيل، وكانا يحاولن إبعاده

عنا، في بادئ الأمر كنت أشعر بالحزن؛ لكن فيما بعد كان دريائيل يساندني وبدلًا من أن يعوضني حنانهما كان يجعلني أشعر بالغيرة والحقد من كفيائيل، وكلما مرت سنة كان حقدي منه يزيد وغيرتي تشتعل، وكلما اجتمعت بدريائيل كان يشعل غيرتي وحقدي أضعافًا ليدفعني أنا إلى مواجهة والدي ليغضب عليّ أكثر، بينما هو يظل المدلل ذا القلب الكبير.

توقف ليستعيد بعضًا من أنفاسه، فحثته منسا أن يصمت ويدخر قوته إلا أنه أبى أن يصمت ليُكمل:

-حين حاولت إطاحة كفيائيل من الحكم بعدما سلمه أبي المملكة بأكملها رغم أنه كان يأبى ذلك اشتعل قلبي بالنيران، وإردت أن أفعل أي شيء حتى لا يحصل على ما وددت دومًا الحصول عليه، لذلك تعاونت مع أخي لنفعل ما فعلناه ليغدر بي أخي ويخدع الفتاة الوحيدة التي أحببتها.

نظر لها بعينين دامعتين وقلب كاد يتوقف من آلامه:

-وجاءت أمك وبورجا بخداعي.

ثم رفع جزءًا من سترة الذهبية ليريها يديه وأثر الأصفاد التي كانت بهما قائلاً:

-هذه الآثار كانت اصفادًا كبلتني بها بورجا لسنوات لتجعلني عبدًا لها، وكان هذا بمساعدة أخي العزيز دريائيل وقد عانيت الكثير لأتحرر منها، أعترف أنني أخطأت لكن كل من حولي خدعني يا ابنتي وفي النهاية قتلني الوزير المقرب من عمك كفيائيل بعدما خانني مع زوجتي.

شهقت منسا وهي تسأله:

-مركوم وزير عمي؟!

ارتخت يداه التي تتمسك بها منسا ليجيبها:

-نعم، لقد أخبرني قائد الجيش أنه راقب مركوم لشكه في سلوكه فوجده يصعد لجزيرة منئية بعيدة وعندما لحق به رأه مع أخي.

تراخى صوته بشدة ليضغط على يدها بضعف قائلاً:

-أنتِ ابنتي الحبيبة الغالية التي لم أرفض لها طلبًا قط، كنتي دومًا نقطة ضعفي والوحيدة التي ملكت قلبي بعدما تركتني أختك، وصيتي لكِ يا ابنتي تعاوني مع أختك وانتقمي من كل من خدعوني، لا تتركيهم ينعمون بحياتهم بعدما فعلوه بي.

تراخى جفنيه بوهن ليفتحهما ثانية وهو يرى ابنته تبكي بشدة على ما حدث له ليستغل حزنها الشديد مؤكدًا عليها ما يريده:

-أنا أعرفك قوية وذا بأس وستصبحين ملكة ذي سطوة وعتو، جففي دموعك هذه وتحلي بالصلابة والقوة المطلوبه لتريحي والدك في موته.

أنا أحبك يا ابنتي.

-قالها ثم لفظ أنفاس الأخيرة، ليتحول جسده لرماد بين يديها، تتابعت شهقتها بقهر تشعر به وغضب يجتاحها من كل من حولها، لقد عاش والدها مخدوعًا ومات مغدورًا به.

وقفت تجفف دموعها في المرآة ثم استقامت وقد تحولت عينيها للاحمر الناري وهي تنظر لانعكاسها بغل وضغينة تُكنها للجميع، لم تشعر بها من قبل، انحنت لتلتقط تاج والدها ثم ارتدته بعدما جمعت رفاته في جرة تخصها ولم تنسَ أن تأخذ سيفه بيدها.

خرجت من غرفته لترى أمها والوزير مركوم يقفان أمام باب الغرفة، ومن خلفهم جنود الملك المقربين ووزرائه وبعض من خدم القصر، اقتربت من مركوم بوجه عابس ليبادلها نظراتها بابتسامة وهو يفرد ذراعيه لها قائلا:

-ابنتي العزيزة.

ابتسمت له وهي تقترب منه حتى بقي بينها خطوة واحدة لتستل سيف والدها وتطعنه في قلبه كما فعل بوالدها، صرخت بها مندا وهي تركض نحوها:

- لاا يا منسا إنه والدك الحقيقي.

لتنحني على ركبتيها أمام مركوم وهي تبكيه، فهتفت منسا بالجنود قائلة:

-لقد قتلت قاتل أبي وهذه الخائنة ليست أمي خذوها للسجن.

تردد الجنود بالتحرك فجهر صوتها:

-بموجب قانون المملكة فأنا وبعد وفاة أبي الملك أصبحت ملكة البحار الشمالية، وعليكم طاعتي وإلا اعتبرتكم من الخائنين.

انحنى الجميع إليها وركض الجنود نحو مندا ليُمسكو بكلتا يديها

يجروها خلفهم بينما هي تصرخ بابنتها:

-ستدفعين ثمن ما فعلتيه يا ملعونة.

خرجت منسا للمملكة وهي تتجاهل صوت والدتها ليجتمع جميع من في المملكة أمامها ليبدأ الوزراء في تتويجها على العرش، وتبدأ هي مراسم الحداد على والدها الملك.

*****

بعد عدة أيام

جلس كفيائيل على عرشه وبجواره ولده كِنان وقد استعاد مملكة والـده الكبـيرة، لـيطلب مـن وزرائـه جمع المملكتـين الشمالية والجنوبية تحت رايته كما في السابق، فاستجاب دريائيل على الفـور وذهـب لـيطلب مـن أخيـه السـماح علـى مـا فعله ليرفض كفيائيل مقابلته الشخصية، وطلب من ولده كِنان أن يلحق بعمه يراضيه، فذهب كِنان على مضض ليقابل عمه في مملكته، لحق به في قصره ليطلب كِنان الإذن بالدخول، رحب به دريائيل وقد بدا الحزن على وجهه ليجلس كِنان أمامه قائلًا:

-لا تـحزن يـا عمي فأبي ليس مستعدًا الآن لمسامحتك على ما فعلته به، فأرجوك لا تبتئس، اترك هذا الأمر للزمن يداويه.

هز دريائيل رأسه بالموافقة ليتركه كِنان وبدلًا من أن يعود لمملكة أبيه ذهب لمنسا التي تجاهلت دعوتهم وطلبهم لانضمام مملكتها للمملكة الكبيرة وصل لقصرها الكبير وطلب الإذن بالدخول، لكن الحارس أخبره أنها ليست في المملكة، شعر بالحزن داخله وقرر

أن يصعد للكهف عله يرتاح مع أمه.

*****

وقفت منسا خلف چيا التي كانت تصنع الطعام لتشعر بها أختها فابتسمت وهي تلتفت لتحضنها بشوق فوجدت منسا تحتضنها بجفاء، ابتعدت عنها تمسك كلتا يديها ليجلسا سويًا على الأريكة الكبيرة وهي تتساءل بقلق:

-ما الذي حدث؟!

نظرت لها منسا بنظرات تعجبت لها چيا، فهي لم ترَ القسوة بعين أختها هكذا من قبل، لتبدأ منسا بقص ما حدث على أختها التي بدأت في البُكاء الشديد على والدها، تركتها منسا تعيش لحظات حزنها لتصدمها بالقول:

-لقد طلب مني والدي أن ننضم لبعضنا البعض وننتقم منهم جميعًا.

جففت چيا دموعها بدهشة وهي تردد:

-ننتقم ممن؟!

أجابتها منسا بجمود:

-بورجا ودريائيل وكفيائيل وليديا، يجب أن يموت جميع من خدعوا والدنا.

وقفت چيا بفزع قائلة:

-لا يا منسا لا تفعليها، اتركيهم لمصيرهم، وسوف ينتقم الله منهم إن كانوا مخطئين بحقه ويكفي أنك قتلت والدك الحقيقي.

وقفت منسا بعنف ثم نظرت لها بعينين حمروانين:

-لا تقولي والدي الحقيقي، ليس لدي والد سوى طوطيائيل الذي مات غدرًا، وأنتِ ابنته الجبانة الخائنة مثلهم لا تريد أخذ ثأر والدك، لذلك أنا من الآن ليس لدي أخت.

ثم تركتها تهتف باسمها واختفت.

وبينما هي عائدة للمملكة وجدت كِنان يخرج من قصرها، توقفت وقلبها يقرع بداخلها لكن صوت والدها يتردد على مسامعها ويأبى أن يتركها، شعر كِنان بوجودها فالتفت ينظر نحوها فتظاهرت بالقوة أمامه وتجاهلت وجوده لتدلف للقصر، أمسك كِنان مرفقها قائلًا:

-لماذا تجاهلت دعوة الملك في الانضمام للمملكة الكبيرة.

نفضت يدها بعنف من قبضته واستقامت بشموخ قائلة:

-مملكتي لا تنتمي لأي مملكة أخرى لا كبيرة ولا صغيرة.

نظراته الغاضبة جعلتها تُجعد ملامحها بحنق ليتساءل هو بتعجب:

-ماذا تقولين أنتِ؟!

ناطحته بصوتها الجاد:

-ما سمعته أيها الملك.

أمسك يدها برفق هذه المرة وخفف من حدة صوته وهو يطلب منها:

-تعالي معي للجزيرة لنتكلم هناك، فأنا..

تردد قليلًا لكنه عزم أمره أن يُخبرها عما بداخله:

-لقد اشتقت إليكِ.

نبضات قلبها الغادر تعالت بعشق لم تستطع التخلص منه، لكنها نفضته عن قلبها وعقلها وقد عُميت عيناها عن كل شيء في الحياة سوى الانتقام، سحبت يدها وبنفس الجمود قالت له:

-وأنا لم أشتق لأحد سوى أبي، الذي سأنتقم من كل من خانه وغدر به وتسبب بموته، وأولهم كفيائيل.

ثم تركته على وقفته ودلفت لقصرها وهي تهدر بالحرس:

-لن تطأ قدم أحد من الخونة أو أبنائهم لهذه المملكة وإن حدث فاقتلوه على الفور.

*****

صعد لأمه في الكهف وقد تملكه الحزن الشديد على ما حدث، ليجدها تبكي بحرقة وجِدته الملكة طريحة على فراش أمه، وحولها الأطباء وعدد كبير من الحرس يقفون وعلى رؤوسهم الطير ليتساءل هو بذعر:

-ماذا يحدث هنا؟!

ركضت أمه نحوه وهي تهتف بألم:

-لقد استولى بلقين على القصر وأخرج الشياطين من السجون بمساعدة دهنش الملعون وقد أصيبت أمي إصابة بالغة.

ثم التفتت لأخواتها والغضب يشعل جسدها وهي تقول لهم:

-سأصعد لهم في الحال، ولن أعود إلا بعد قتل بلقين وحبس دنهش وأعوانه للأبد، أو أموت مقابل ذلك، أمسك كِنان مرفقها وبإصرار بدا بعينيه قال لها:

-وأنا ساتي معكِ ....

تمت بحمد الله ٩/٩/٢٠١٩




للترجمة والتدريب والنشر والتوزيع

dreidibrahim@gmail.com

ibda3bookstore@gmail.com